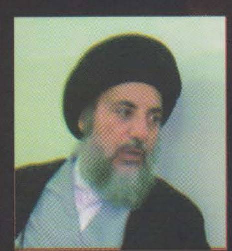
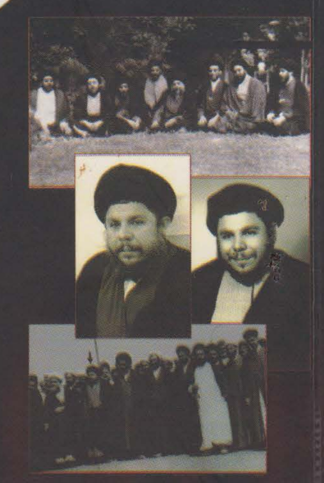




الإمام الشهيد الصدر (رض)







آية الله شهيد المحراب

السيد محمد باقر الحكيم (قدس)


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الإمام

الشهيد الصدر (رض)

آية الله شهيد المحراب

السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)



الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
دولة الكويت



القدس للطباعة والنشر

نقال : ٦٠٦٦٩٩٧ - alquds_@hotmail.com

إهــداء

كتاب بقلم شهيد عن سيرة شهيد شاطره بكل جوارحه من سوح الجهاد بالفكر والقلم إلى الشهادة والدم المبذول كوقود لسير سفينة الحياة والإنسانية إلى وجهتها الصحيحة لم يملا ولم يكلا حتى بإستشهادهما هما شاهدين خالدين ما بقي اليل والنهار ويوم القيامة لهم مقام يجمع مداد العلماء ودماء الشهداء إلى السائرين تحت هذه المنارة الخالدة التي لا تنطفأ بإتجاه الهدف المقدس أهدي تجديد طباعة هذه الآثار الخالدة

الناشر

فارس عبيد

«الجزء الأول»

الإمام
الشهيد الصدر (رض)

ملامح من السيرة الذاتية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

انّ كتابتي للسيرة الذاتية لشخصية فذّة وعظيمة كالشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده) تعتبر مهمة صعبة للغاية، ولاسيما مع وجود هذا الفاصل التاريخي المليء بالأحداث الجسام الذي توالى على الذاكرة أولاً، وعدم تدوين الأحداث والنقاط ثانياً، والانقطاع عن المصادر الحقيقية القريبة في حياته ثالثاً. ولكن مع ذلك سوف أبذل سعيي في ذلك من خلال استعادة الذكريات والرجوع إلى بعض ما تحدثت به عنه في بداية خروجي من العراق من خلال الخطابات والأحاديث الصحفية الكثيرة والاستناد إلى بعض الوثائق الشخصية (القليلة) الموجودة لديّ[1]. وبعض المعلومات الموثقة التي أعتمدها وهي قليلة لديَّ ولاسيما فيما يتعلق

---

(١) هناك مجموعة من الرسائل عددها ( ) ومجموع صفحاتها ( ) احتفظت بها عند خروجي من العراق وهي رسائل سمح الزمن بوجودها بسبب السفر لي وله (رض) حيث كنا نتراسل أثناء ذلك، وهي وثائق قليلة النظير بحسب علمي واطلاعي حول رسائله (قده).

بالأسرة الكريمة لآل الصدر والتي كتبها العلاّمة أخونا الفقيد السيد عبد الغني الأردبيلي في حياة الشهيد الصدر وتحت نظره.

ومما يزيد في تعقيد الكتابة حول الشهيد الصدر وخصوصاً هذا الجانب انّ جماعة من القريبين للشهيد الصدر (رض) تحدثوا - مع الأسف - عن سيرته الذاتية من خلال الأحاديث المرسلة أو الاستناد إلى أشخاص لاحظت على حديثهم عدم الدقة أو المبالغة والمغالات، بل تجاوز الحقيقة أحياناً بكتمان بعضها أو إدعاء بعض. كما انّ هناك آخرين نسبوا للشهيد الصدر أموراً دون أي مستند إلاّ الاشاعة أو الأحاديث العابرة التي يتناقلها العوام حيث وجدت من خلال التجربة الشخصية لي ولبعض من عايشتهم تراكم مثل هذه القضايا التخيلية عادة حول الشخصيات الكبيرة والفذّة بتصور أنّ ذلك يضفى عليها حالة من التقديس والمثالية، مع انّ هذه الشخصيات في سمو ذاتها وعلو شأنها هي في غنىً عن ذلك ويكفيها بيان الحقيقة بشأنها.

ولا أريد أن أدعي الامتياز في ما أكتب، ولكني أحاول بكل جهدي أن أكتب الحقيقة أداءً للواجب الأخلاقي والأدبي الذي لازلت أشعر به تجاه أستاذي وصديقي ورائد المسيرة الاسلامية الجهادية الحقة التي لازلنا نواصلها في طريق المحن والآلام.

لقد كانت معرفتي به المبكرة نسبياً ومعاشرتي له الطويلة كمياً وكيفياً هي المعين الذي أستمد منه هذه الكتابة بعد التوكل على الله والتماس التوفيق منه تعالى، والله من وراء القصد.

كانت علاقتي بالشهيد الصدر قد استمرت حوالي ربع قرن من الزمان منذ سنة ٥٦م/٧٦هـ وحتى استشهاده سنة ثمانين ميلادية (١٤٠٠هـ)، وقد اتسمت هذه العلاقة بالتلمذة العامة والخصوصية، والصداقة الأخوية القوية، والعواطف الجياشة، والارتباط المصيري، والتقارن في الأحداث، والاشتراك في الهموم والآمال والطموحات، وقضاء الساعات الطويلة معاً في كل يوم تقريباً ولعدة سنوات ولاسيما في مرحلة ما قبل تصديه للمرجعية الدينية وتوسع دائرة نشاطه الاجتماعي، وعلاقاته الحوزوية وهو أمر يعرفه كثير من الأصدقاء ودائرة واسعة من الحوزة العلمية والطلائع الرسالية.

إنّ الكتابة في السيرة الذاتية فيها منافع كثيرة ولها دور كبير في تعريف شخصياتنا وفهمهم وتفسير مواقفهم، كما لها دور كبير في الاعتبار وفي فهم التاريخ وسننه وتقلباته وطريقة التعامل مع الأحداث وفهمها، وفي الاقتداء والتأسي بهذه الشخصيات الفذة والاستفادة من تجاربها للأجيال الآتية خصوصاً إذا كان العلماء من المعاصرين الذين نعرف كثيراً من

ظروفهم الخاصة ومواصفاتهم التي تجعلهم أقرب إلى الواقعية من حياتنا وأكثر وضوحاً في انطباقها على الواقع المعاش[٢].

وسوف أحاول في هذه المقالة أن أعرض بصورة موجزة معالم وأبعاد في مسيرته الذاتية تعتمد بشكل أساسي على ما لمسته أو سمعته منه أو شاهدته من أحداث وقضايا مع شيء من التحليل والاستنتاج مما أراه مناسباً مع فهمي لهذه القضايا والأحداث.

وسوف أكتفي في كثير من الموارد بالاشارة إلى الحدث والقضية ولاسيما تلك الأمور التي كنت قد تناولتها بالحديث المطبوع والمنشور عن الشهيد الصدر (رض) وذلك اعتماداً على معرفة التفاصيل من خلال تلك الأبحاث والمنشورات التي آمل أن أجمعها مع هذا المقال في كتاب عن الشهيد الصدر.

والله ولي التوفيق والسداد.

---

(٢) لقد كتبت في القدوة الصالحة مقالة جعلتها مقدمة لمحاولة الكتابة عن شخصيات ثلاثة عرفتهم عن كثب وتأثرت بهم إلى حد كبير هم الامام الحكيم والشهيد الصدر والامام الخميني، وقد طبع المقال في مقدمة كتابة موجزة عن الامام الخميني أيام حياته.

تقسيم البحث:

ويمكن تقسيم الحديث في السيرة الذاتية إلى أربعة فصول:

الأول: الولادة والنشأة.

الثاني: الصفات الحميدة.

الثالث: الأخلاق الفاضلة.

الرابع: العلاقات الاجتماعية.

الفصل الأول

الولادة والنشأة

لقد ولد الشهيد الصدر (رض) في مدينة الكاظمية المقدسة مرقد الامامين السابع والتاسع من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هما الامام موسى بن جعفر الكاظم وحفيده الامام محمد بن علي بن موسى الجواد التقي[٣].

وكانت ولادته في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة

---

(٣) حيث دفن هذان الامامان في مقابر قريش فتحول قبرهما بعد ذلك محوراً لوجود هذه المدينة الكبيرة، ويوجد إلى جانبهما قبور كبار علماء أهل السنة مثل أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وكبار علماء الشيعة مثل الشيخ المفيد والسيد المرتضى والسيد الرضي والشيخ نصير الدين الطوسي وغيرهم من كبار العلماء.

١٣٥٣هجرية وهو يوم مبارك في روايات أهل البيت (ع)، إذ هو من أيام الصوم الأربعة حيث كان فيه حسب هذه الروايات (دحو الأرض) وهو يوم انتشرت فيه رحمة الله للعبادة والاجتماع لذكر الله، وفي رواية انّ فيه ولادة إبراهيم (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) وفيه يقوم القائم[٤].

وقد توفي والده في ٢٧ جمادي الأولى سنة ١٣٥٦هـ فيكون عمره عند وفاة والده سنتين وسبعة أشهر تقريباً، وبذلك يكون شهيدنا قد عاش بداية حياته (اليتم المبكر)، ولكن الشهيد الصدر كان في الوقت نفسه ينتمي إلى أسرة علمية عريقة في العلم والشرف من جانب الأب.

وأما من ناحية الأم، فأمه الفاضلة التقية إبنة آية الله الشيخ عبد الحسين آل ياسين حفيد آية الله العظمى الشيخ محمد حسن آل ياسين أحد المراجع العظام في بغداد والكاظمية، وقد خلف الشيخ عبد الحسين ثلاثة من الذكور العلماء المعروفين أبرزهم المرجع الكبير آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين الذي رجع إليه قسم من العراقيين وأكثرية أبناء المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية (الأحساء والقطيف) وقسم من اللبنانيين بعد وفاة المرجع الكبير آية الله العظمى السيد أبو الحسن الاصفهاني سنة ١٣٦٥هـ الذي كانت عام وفاته ١٣٧٠هـ.

(٤) راجع مفاتيح الجنان ـ ص٢٤٨.

وكان أخواه الآخران الشيخ مرتضى آل ياسين رئيس جماعة العلماء في النجف الأشرف والشيخ راضي آل ياسين المؤلف المعروف بتأليف كتاب صلح الحسن(٥).

وقد كان (رضوان الله عليه) يحدثني عن العلاقات الوطيدة المعنوية والعاطفية المتبادلة القائمة بين جده لأبيه السيد اسماعيل الصدر وجده لأمه الشيخ عبد الحسين آل ياسين، الذي تتلمذ على يد جده السيد اسماعيل، بأن الأولاد الأربعة لجده السيد اسماعيل ـ وهم آية الله السيد محمد مهدي الصدر والفاضل السيد جواد الصدر وآية الله السيد حيدر الصدر وآية الله السيد صدر الدين الصدر ـ قد تزوجوا جميعاً بنات جده لأمه الشيخ عبد الحسين آل ياسين وقد انسجموا معهن في هذا الزواج إلاّ عمه السيد صدر الدين، وعندئذ لم يجد بُداً من أن يهاجر إلى أيران إذ كان من المتعذر معنوياً وعاطفياً ـ بسبب العلاقات العائلية الوطيدة التي أشرت إليها ـ أن يتزوج وهو في العراق، وفي ايران تزوج من كريمة آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي القمي، وأولدها ثلاثة من البنين الذكور هم آية الله السيد رضا الصدر وآية الله المغيب الامام موسى الصدر والوجيه

---

(٥) يمكن الوقوف على تفاصيل أحوال الأسرة الكريمة من خلال الرسالة التي ألّفها فضيلة العلاّمة السيد عبد الغني الأردبيلي تحت نظر السيد الشهيد وأشار إلى كثير من تفاصيلها سماحة السيد الحائري في مقدمة كتابه (مباحث الأصول) في تقرير بحث الأصول للشهيد الصدر.

السيد علي، وستة من البنات احداهن زوجة الشهيد الصدر العلوية فاطمة الصدر أم ولده جعفر.

كما حدثني أنّ عمّه الأكبر السيد محمد مهدي الصدر قد ورث جده في الشؤون الاجتماعية باعتباره الابن الأكبر فكانت بيده إدارة الأوقاف والمكتبة العلمية، والديوان (البراني) والشؤون الأخرى ذات العلاقة بوالده، وكان الأخوة الأعلام في الود والمحبة والايثار بحيث يرون أنفسهم شخصاً واحداً فتركوا له التصرف في كل الأمور حفظاً لشؤون الأسرة المعنوية وشأنه العلمي والاجتماعي(٦).

ويبدو انه تميّز من بين الأخوة الأربعة بالجانب العلمي والذكاء النادر آية الله السيد حيدر والد الشهيد الصدر، ومن بعده آية الله السيد صدر الدين الصدر الذي أصبح أحد ثلاثة من مدرسي الحوزة العلمية في قم المهمين الذين تمكنوا من أن يحافظوا على حوزة قم بعد وفاة المرجع الكبير والمؤسس لها في العصر الحديث الشيخ عبد الكريم الحائري، والآخران هما آية الله السيد محمد الحجة الكوهكمري صاحب المدرسة الحجتية المعروفة في قم وآية الله السيد محمد تقي الخونساري، وذلك إلى حين

(٦) كان يذكر الشهيد الصدر انّ عمه السيد مهدي قد خلّف ثلاثة من الذكور هم آية الله السيد محمد صادق الصدر والسيد أبو الحسن الصدر والسيد الذي استولى على التركة وانتهى به الأمر أن باع المكتبة الجليلة لجده السيد إسماعيل الصدر.

مجيء آية الله العظمى السيد حسين البروجردي الطباطبائي واستلامه زمام المرجعية.

ولكن السيد حيدر الذي عرف وتميّز بالعلم والذكاء النادر عاجله الموت كما عاجل ولديه من بعده السيد اسماعيل والسيد محمد باقر، حيث ماتوا جميعاً في سن متقاربة لم تبلغ الخمسين.

وقد فتح السيد الشهيد الصدر عيونه في ظل اليتم وبرعاية والدته الثكلى والمثقل بالهموم والثكل والفقر والفاقة وبرعاية أخيه الفتى اليافع السيد إسماعيل الذي كان عمره عند فقد والده حوالي ستة عشر عاماً.

ويبدو انّ اليتم هذا يمثل معلماً مهماً في الشخصية الذاتية للشهيد الصدر كما هو كذلك بالنسبة إلى جده السيد إسماعيل الذي كان عمره ستة سنوات حين وفاة والده ولاسيما وانّ هذا اليتم اقترن بالفقر والفاقة والعيالة وبالحيرة والتردد والخوف من الضياع في مسيرة الحياة كما سوف نتبين، وبذلك كان الشهيد الصدر مصداقاً من مصاديق سورة الضحى التي تصف حالة النبي الأعظم (ص) ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى﴾.

وظاهرة اليتم والحيرة ظاهرة نجدها في إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ونبينا محمد (ص)، ولا يبعد أن تكون موجودة في نوح عليه السلام ولها مداليل نفسية وتربوية وإجتماعية أشرت إلى جانب منها في الحديث عن ترجمة الامام الحكيم (قدس سره)

الذي كان يتصف بهذه الظاهرة أيضاً.

كما هي ظاهرة في كثير من العظماء في عصرنا ومنهم الامام الخميني (رض) خصوصاً إذا كان هذا اليتم مرتبطاً بجذور تاريخية صالحة فانه سوف يعبّر عن تكامل في حركة الانسان من خلال ارتباطه بجذره[٧]، واعتماده على الله تعالى في مسيرته والثقة بالنفس وقوة العزم والارادة و الاستقامة في اجتياز العقبات والآلام والمحن والصعاب.

الظروف الصعبة:

وقد كان أن فتح الشهيد الصدر (رض) عينيه على هذا الوضع الداخلي الصعب، والظروف الاجتماعية المعقدة، ولكن كان إلى جانب ذلك أيضاً آفاقاً جديدة واسعة ورحبة في هذه الدنيا قد انفتحت أمامه وكانت بأجمعها تلح وتضغط عليه بالانتباه إليها والتحرك نحوها:

١ـ أما الوضع الداخلي الصعب فقد تمثل باليتم والفقر والفاقة الشديدة بالرغم من التراث العلمي، والأسرة الكريمة، والموقع الاجتماعي الخاص بالعم الأكبر.

مضافاً إلى ذلك والدته الممتحنة في حياتها حيث انها ابتليت بفقد

(٧) لقد تحدث الشهيد الصدر عن دور هذه الجذور التاريخية في شخصية الانسان في رسالته (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء ــ الاسلام يقود الحياة ــ ص١٦٧). كما تحدثنا عن ذلك في بحث الامامة واختصاصها بأهل البيت (ع) بصورة أكثر تفصيلاً وأوسع شمولاً، وهو كتاب تحت الطبع.

الأولاد بعد الولادة فقد فقدت مجموعة منهم في حياتها قبل ولادته وأخته العلوية الفاضلة بنت الهدى حتى انها كانت تعبّر عن ذلك أحياناً (بأني قد ملأت منهم القبور)، وقد نذرت جميع ما تملك من ذهب صدقة لله تعالى إذا حفظ الله ولدها الشهيد الصدر، وأوفت بعهدها ونذرها هذا في تسليم الأموال تحت ميزاب الذهب في مرقد الامام علي (عليه السلام) حيث كانوا يتقربون عنده بالدعاء والوفاء بالنذور.

كما كانت رضوان الله عليها تلبس إلى آخر أيامها سواراً من حديد دفعاً للشر والأذى عن أولادها، ولكن شاء الله تعالى أن تفقدهم جميعاً مرة أخرى في حياتها بعد أن كبروا واكتملوا وأصبحوا محط الآمال العريضة في الأمة وجميع أطرافها الواسعة، ولا مرد لمشيئة الله تعالى وهي عبرة في التاريخ والسير، وحكمة إلهية وبلاء دنيوي بشّر الله الصابرين به ﴿ولنبلونكم بنقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين﴾ وقضاء رباني لا يغني عنه شيء، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم مشيراً إلى ذلك نقلاً عن يعقوب في وصيته لأولاده عندما ذهبوا ليتحسسوا من يوسف (ع) ﴿يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء انّ الحكم إلاّ لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون، ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلاّ حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف/٦٧-٦٨)

٢ـ وأما الظروف الاجتماعية، فقد كانت تتمثل بظاهرة سيئة شهدها ذلك العصر والأيام التالية له وهي ظاهرة الانكفاء والضمور في الأسر العلمية العريقة التي كان يتخلى كثير من أبنائها عن الانتماء إلى مسلك أهل العلم والحوزة العلمية لينصرفوا إلى الأعمال الدينوية، ولا أريد في هذا المجال أن أسمي العوائل العلمية المجيدة التي كانت تزخر بالعلماء وطلاب الحوزة العلمية والتي تقلصت بعد ذلك إلى حد خطير، إذ قد يحمل ذلك على الإساءة إليها، ولكنها على أي حال كانت ظاهرة اجتماعية لها أسبابها الموضوعية والروحية والاجتماعية، وكانت تشكل ضغطاً كبيراً على الشهيد الصدر (رض) وهو فتى صغير وضعته في موقع الحيرة والتردد في اختيار الطريق والمنهج الذي يسلكه في حياته.

٣ـ وأما الآفاق الجديدة فقد كانت تتمثل في وجود الفرص الجيدة للانفتاح على بابين واسعين في ذلك الوقت:

أحدهما: باب الدراسة النظامية التي تنتهي بالانسان إلى (الجامعة) وآفاقها، وهي من أفضل وأهم وأشرف الآفاق المفتوحة أمامه.

وثانيهما: باب التوظيف والدخول في الأجهزة الحكومية والترقي فيها.

وهذه الأبواب لم تكن مفتوحة أمام كل أحد من الناس، بل أمام الخاصة منهم، وقد كان الشهيد الصدر من هؤلاء الخاصة لسبب ذاتي وهو نبوغه المتميّز كما سوف أشير إليه، وسبب خارجي إجتماعي وهو انتماؤه إلى هذه الأسرة التي أصبح لها موقع خاص في الدولة والجهاز

الحاكم بعد قيام الحكم الوطني ولاسيما في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وأحداثها في العراق وذلك بسبب وجود الزعيم السياسي والديني السيد محمد الصدر الذي تسلّم عدة مواقع مهمة في الحكم، كعضو هيئة الوصاية على العرش عند غياب الوصي ووجود الملك الصغير، ورئيس مجلس الأعيان (الشيوخ)، ورئيس الوزراء، وغير ذلك من المواقع، وكان له اهتمام خاص بالشهيد الصدر لظروفه الصعبة ونبوغه المبكر وقربه المكاني منه في الكاظمية وقرابته الأسرية.

الاختيار الصعب:

لقد كان أمام الشهيد الصدر (رض) أن يختار طريقه في ظل ومثل هذه الظروف والملابسات، وكان ذلك بداية لمسيرة (المعاناة) التي لازمته منذ الطفولة واتسمت بها حياته كلها كما سوف نلاحظ، حيث كان عليه أن يتحمل مسؤولية هذا الخيار وحده في محيط كان يضغط بالاتجاه الآخر.

وقد حدثني (رض) بذلك حيث كان قد اختار وحده طريق الآباء والأجداد الصالحين والأنبياء والأئمة الطاهرين، وهو طريق طلب العلم وحمل مسؤولية إبلاغ الرسالة الالهية، في وقت كان الجميع ممن يحيط به ــ باستثناء والدته ـ يرجح الخيارات الأخرى المفتوحة ــ أو يسكت عنها ــ والتي سار فيها أقرانه من معارفه وأرحامه.

وكان يرى لأمه في ذلك فضلاً إلى فضلها الآخر وهو انها كانت الوحيدة من بين هؤلاء من شجعه على هذا الخيار دون إلحاح، ولذا كان

يكن لها بسبب ذلك ـ إلى جانب الحب والعطف وخفض جناح الذل من الرحمة ـ والاحترام والتقدير.

وهذا الاختيار ـ مضافاً إلى روح المعاناة التي يشتمل عليها ـ يعبّر منذ البداية والفتوة عن إرادة قوية، وشجاعة عالية، ووعي متميّز، في شخصيته سوف أشير إليهما في موضعه.

المعاناة والابتلاء:

لقد كان ذلك كما ذكرت بداية معاناته الشخصية في حياته أو بداية الامتحان والابتلاء الذي يخص الله تعالى به أولياءه من عباده ويتعاهدهم به كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة كما ورد في الحديث الشريف (إنّ الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة)[8]. وهو ابتلاء الاجتباء والاصطفاء للأنبياء والربانيين والأحبار (إنّ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمائل فالأمائل)[9].

ويمكن أن نلخص المعاناة والابتلاء في الجانب الذاتي والشخصي الذي مر به الشهيد الصدر (رض) ـ مع قطع النظر عن الامتحان والابتلاء الذي تعرض له الشهيد الصدر من خلال نشاطه وعمله الاجتماعي والعلمي والثقافي فانّ لذلك حديث آخر ـ بالأمور التالية:

---

(٨) الوسائل ـ ج٢/ ص٩٠٦ عن الامامين الباقر والصادق.

(٩) الوسائل ـ ج٢/ ص٩٠٧عن الامامين الباقر والصادق.

١- امتحان اليتم وفقد الأحبة الذي تحدثت عنه.

٢- الامتحان في اختيار الطريق الذي هداه الله تعالى فيه إلى طريق العلم وحمل الرسالة الالهية.

٣- الامتحان والمعاناة بالفقر والفاقة والحرمان، فهو إنسان فقير لا يوجد من يكفله من أهله وذويه ومريديه لأنّ أخاه وأمه كانوا فقراء مثله وأسرته القريبة كانت تظن فيه وفي ما تركه أبوه خيراً، كما تظن في الناس المحيطين به الخير أيضاً، فتركوه لهذا الظن الحسن.

لقد حدثني (رض) كمثال على هذا الظن الحسن أنه كان يعيش في دار ملاصقة لدار خاله المرجع الكبير الشيخ محمد رضا آل ياسين، وهو مرجع ترده الأموال الشرعية مثل بقية المراجع الآخرين، وكانت ظروف الشهيد الصدر المعيشية في حالة ضيق وشدة، ولكنه لم يتلق المساعدة المطلوبة من خاله كطالب علم متفوق ورحم قريب وجارٍ عزيز ومن أسرة علمية مرموقة وتنطبق عليه جميع العناوين المطلوبة من الحقوق الشرعية، لأن خاله - مع حبه واحترامه له لقربه ونبوغه - كان يتصور ان حالته المعيشية عادية، ويأبى الشهيد الصدر لعزته وكرامته أن يتحدث عن أحواله هذه ويبقى حاله على هذه الشدة والفاقة، واذا كان حال خاله الملاصق له في حسن الظن هذا فكيف بحال غيره؟!.

وكان الآخرون يظنون - بطبيعة الحال - ان أوضاعه عادية وطبيعية، لأن له هذه العلاقة العلمية و الاجتماعية والرحمية بهذا المركز الاجتماعي

الديني، وليس ذلك غريباً فقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة بقوله تعالى ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾.

٤ـ الابتلاء والامتحان في إدارة أمور المعيشة، فهو مع فقره كان الإبن الصغير في العائلة والمساعدات تأتي الى الكبير عادة مع انه هو الذي كان يتحمل المسؤولية الكبيرة في مجال تأمين الحياة المعيشية، ويقوم أخوه الأكبر بالصرف مما يلقي على هذا الأمر بثقل جديد.

لقد حدثني (رض) مرة عن هذا الامر بانه واجه صعوبة كبيرة في ادارة هذه الحياة في هذه الفترة ولا سيما بعد هجرته الى النجف الاشرف مع عائلته وانقطاعه عن الوسط الاجتماعي الكاظمي القريب منه ومن والده، فذكر انه اضطر إلى بيع بعض الممتلكات البسيطة من الأثاث وغيره مما كان لديهم في الكاظمية ليحولها الى سيولة نقدية ويشتري بذلك حصة سيارة تستخدم للأجرة على طريق النجف ـ الكوفة وعلى نحو المضاربة ليحل بذلك جانباً من المشكلة المعقدة.

وكان يذكر انه كان يدير هذا الامر مع تفرغه لطلب العلم من ناحية وبعيداً عن الأنظار لحساسية مثل هذا العمل اجتماعياً في ذلك الوقت من ناحية أخرى ولاسيما هذا النوع من النشاط، وحتى انّ أبناء العائلة ومنهم الأخ الأكبر لم يكن مطلعاً على هذا الأمر، وكان يصرف المال الذي يهيأه الشهيد الصدر دون سؤال، وكان قلب الشهيد الواسع وفكره النير

وطهارة قلب الأخ الكبير كلها عوامل مساعدة لتعميق هذا الامتحان والمعاناة، فهو الذي كان يتحمل المسؤولية ويهيء النفقات وينفذ الخطة بعيداً عن العيون والأنظار، وكان أخوه يصرف الأموال وعلى راحته أحياناً.

وقد استمر هذا النوع من المعاناة إلى وقت متأخر من حياته رضوان الله عليه، لقد كان يرى استخدام هذا النهج في تدبير أمور المعيشة ـ على الظاهر ـ منهجاً يتأسى فيه بأئمة أهل البيت عليهم السلام ولكنه لم يكن معروفاً في الاوساط الحوزوية على الأقل ان لم يكن عيباً في نظرهم، وان كان معروفاً في روايات أهل البيت ولا سيما الامامين الصادقين (عليهم السلام)[١٠].

٥ـ المعاناة في ادارة أمور الأسرة وتحمل مسؤوليتها الاقتصادية والداخلية حيث كان يتحمل مسؤولية العائلة كلها مع انه الاخ الأصغر والأعزب والمتفرغ لطلب العلم والمضحي لاجله والمنقطع عن العلاقات الاجتماعية العامة كما سوف أشير، فهو الذي يتحمل مداراة والدته المريضة وتربية أخته الصغيرة ورعاية شؤون أسرة أخيه الكبير، وكل ذلك يتم في رضىً بالقضاء، وفي انسجام ـ روحي وعاطفي ـ كامل مع العائلة، وفي مواصلة

---

(١٠) راجع بهذا الشأن ماذكرناه في كتابنا (دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة) ـ ج١/ص٤٣٣ـ٤٣٤.

عالية وفريدة للبحث العلمي وفي عزة وكرامة متناهية.

المعاناة في طلب العلم:

كما انّ هناك بعداً آخر في هذه المعاناة كان يتمثل في معاناة طلب العلم فقد بدأ التعلّم في المدرسة الابتدائية لجمعية منتدى النشر في الكاظمية حيث وجد نفسه وهو الطفل الصغير يستوعب الدروس فيها ويتميز على أقرانه بدرجة واضحة ويلفت اليه نظر معلميه، ولم تكن هذه الدراسة تلبي طموحه العلمي ولا تملأ فراغه الروحي والمعنوي بالرغم من أنها كانت في بعض الأحيان تعبر عن مظاهر من الامتياز والتشجيع من خلال تمثيله للمدرسة في المناسبات الدينية والشعائر الحسينية بإلقاءه الخطب والكلمات نيابة عنها في الملأ العام أو في الصحن الكاظمي الشريف مما كان يلفت إليه الأنظار ويضعه في موقع الإعجاب والثناء ، لأن ميله وبعد ذلك سعيه كان باتجاه طلب العلم في الحوزات العلمية، وهذه الدراسة في المدارس النظامية لا تنفعه في ذلك شيئاً مذكوراً، وقد تنفع غيره ممن يريد أن يصل إلى الدراسة الجامعية النظامية.

مضافاً إلى انّ الجو الاجتماعي والعلمي المحيط به لم يكن يسمح - على ما يبدو - بأن يملأ هذا الفراغ من خلال فرصة أخرى غير المطالعة التي لم تكن تشبع ميله العلمي ولا تملأ غوره، الأمر الذي جعله يفكر في الهجرة إلى النجف الأشرف مع عائلته الكريمة وهو في سن الثانية عشرة وقد استفاد علمياً من أخيه في بعض المراحل الابتدائية، إلاّ انّ نبوغه المبكر كان

يفرض عليه ان يطوي المراحل الدراسية بسرعة ليصل إلى غايته النبيلة في المستوى والمحتوى المطلوب من العلم.

وكان طي المراحل أمراً لازماً ومهماً لا يصح لطالب العلم تجاوزه وذلك لسببين:

المعنوي الاعتباري لأنه يدخل في تقييم طالب العلم في الوسط الحوزوي والاعتراف بشخصيته العلمية.

والواقعي الحقيقي الثبوتي وذلك لأنه الوسيلة في التعرف على معالم الحقيقة والمضمون العلمي الصحيح الأصيل المطلوب المطابق للضوابط العلمية ومنهج الاجتهاد الصحيح.

وقد واجه مشكلة في هذا المجال بسبب حداثة سنه ونبوغه المبكر أيضاً، حدثني عن بعض معالمها، فمثلاً عندما أراد ان يدرس شرح اللمعة الدمشقية يقول: طلبت من أحد المدرسين المعروفين بالتدريس فيها أن يقوم بتدريسي لها وهو من المقربين إلى حوزة خاله الشيخ آل ياسين، وعندما حضرت الدرس لديه عدة مرات وجدته غير مستوعب للمطالب العلمية فيها بصورة كاملة ودقيقة فوقعت في حرج أخلاقي، فاذا قطعت الدرس فذلك خلاف الأخلاق والآداب الحوزوية حيث أني طلبت منه الدرس فاستجاب، كما انّ الانقطاع قد يسبب أذىً للأستاذ من الناحية المعنوية، وإذا استمررت في البحث ضاع الوقت وضاع الدرس، فغلبني الحياء وبقيت مستمراً في الدرس بالرغم من عدم الاستفادة وعوضت ذلك

بذل مزيد من الجهد في المطالعة لاستيعاب الدرس، ولم يذكر لي اسم الاستاذ حفاظاً على كرامته وتورعاً في ذلك، وان كنت قد حدسته بعد ذلك نتيجة لبعض القرائن.

ولعلَّ هذه التجربة المرة كانت هي السبب في الطريقة التي اتبعها في استيعاب دروس السطوح بعد ذلك وهي طريقة مطالعة الدرس ثم تقريره لدى أساتذة معروفين متميزين على أن يذكروا له ملاحظاتهم إن لم يكن قد أصاب من الفهم والشرح، وهذه الطريقة كان يقبلها بعض هؤلاء الأساتذة لأنها لا تكلفهم جهد التحضير للدرس ويتحمل فيها التلميذ ـ إن صحَّ التعبير ـ القسط الأوفر من الجهد من خلال المطالعة والتحضير والتهيؤ للتقرير والقاء الدرس، فكان درسه للجزء الثاني من الكفاية ولكتاب مكاسب الشيخ الأنصاري ولشرح الأسفار لملا صدرا بهذه الطريقة كما ذكر لي ذلك.

كما انّ هذه الطريقة قد أتاحت له التوسع في المطالعة من ناحية والقدرة على إلقاء الدروس بصورة منظمة ومتميزة من ناحية أخرى.

المعاناة في التصدي الاجتماعي:

لقد كان التصدي للعمل الاجتماعي يمثل لوناً آخر من المعاناة في نشأته مع قطع النظر عن الآثار السلبية والمضاعفات المؤلمة التي يتركها بطبيعة الحال العمل الاجتماعي السياسي على حياة الانسان والتي سوف نشير إلى بعض أبعادها ومعالمها في الفصلين الآتيين، بل كان أصل التصدي يمثل

جانباً من المعاناة، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لأن الشهيد الصدرِ ـــ كما سوف أشير في فصل العلاقات الاجتماعية ـ كان لا يميل إلى العمل الاجتماعي والعلاقة الاجتماعية، فهو عمل على خلاف رغبته وهواه.

وثانياً: كانت ظروفه الشخصية بعيدة عن هذا العمل الاجتماعي بسبب الهجرة وأنقطاعه عن محيطه وزملاء فتوته.

وثالثاً: كان نبوغه العلمي والفكري المتميز يشكل عائقاً آخر، حيث لا يجد من يوازيه في السن والعلاقة الاجتماعية مما يتناسب مع مستواه العلمي.

ورابعاً: انصرافه واستغراقه في الدرس وميله لذلك واحساسه بان العمل الاجتماعي يضيع عليه الفرص وينغص عليه لذة العلم والمطالعة.

وقد بقي هذا الأمر من الشعور بالمعاناة ملازماً له إلى فترة متأخرة من حياته على الأقل ـ كما كان يحدثني ذلك ـ إن لم يكن إلى آخر أيامه، وكان يشعر بالمعاناة بسبب التصدي الاجتماعي، فضلاً عمّا يقترن به من مشكلات واثارات واتهامات وشكوك.

لقد بقيت (المعاناة) بكل أبعادها وتفاصيلها ظاهرة ملازمة لحياته منذ ولادته ونشأته وحتى سن الرشد والتصدي الاجتماعي العام وكان قمتها محاصرته وأهله ومن ثم شهادته مع أخته العلوية بعد أن فجع بشهادة الخيرة من أبنائه المعنويين وأصحابه المخلصين أو تشريدهم وسجنهم، حيث بلغ قمّة المعاناة التي وصلت به حد الكمال المعنوي والانساني.

الفصل الثاني

الصفات الحميدة

لقد كان الشهيد الصدر يتصف بمجموعة كبيرة من الصفات الشخصية الذاتية الحميدة التي تكون الأبعاد المختلفة في شخصيته ولها تأثيرها الخاص على سيرته الذاتية وسلوكه العام، وقد لاحظنا بعض هذه الصفات وتأثيراتها من خلال الفصل الأول من الحديث.

وفي هذا الفصل أحاول أن أشير الى بعض هذه الصفات التي كانت تبدو متميزة في شخصيته.

الأولى ـ النبوغ المبكر:

لقد أشرت الى بعض معالم النبوغ المبكر من خلال دراسته الابتدائية وتطلعه للدراسة الاعمق وطي المراحل الدراسية عن طريق المطالعة والتقرير للدرس لدى الاساتذة الكبار والمتميزين، أمثال آية الله السيد محمد الروحاني حيث قرر لديه المكاسب والجزء الثاني من الكفاية وآية الله الشيخ صدرا البادكوبي حيث قرر عليه الأسفار الأربعة في الفلسفة للفيلسوف المعروف صدر الدين الشيرازي وهو في سن مبكرة لم تتجاوز السابعة عشرة.

ويمكن ان نلاحظ معالم هذا النبوغ المبكر في النقاط التالية:

أ ـ حضوره درس الخارج لدى خاله الشيخ آل ياسين وهو في سن الفتوة والمفاجأة التي شاهدها الاستاذ وطلابه الكبار عندما وجدوه يتلقى الدرس بصورة متقنة ويحل بعض الاشكالات المعقدة التي طرحها الأستاذ على طلابه ووقف أمامها خيرة طلابه متحيرين[١١].

وكان هذا الحضور المبكر وملاحظات النبوغ فيه مدعاة لآية الله الشيخ عباس الرميثي أن يطلب من الشهيد الصدر أن يشاركه مراجعته للحاشية

---

(١١) راجع في بعض التفاصيل مباحث الأصول للسيد الحائري/ص٤٣ نقلاً عن رسالة السيد الأردبيلي.

الفتوائية ـ التي تحتاج إلى درجة عالية من الاجـهاد عـادة ـ على رسالة المرجع الشيخ آل ياسين عند وفاته سنة ١٣٧٠هـ حيث كان الشيخ الرميثي وهو من فضلاء حوزة الشيخ آل ياسين وأصحابه يهيأ نفسه للمرجعية وكان عمر الشهيد حينذاك حوالي سبعة عشر عاماً[١٢].

ب ـ امتيازه بالتفكير المستمر الدائم في المسائل الاصولية والفلسفية والفقهية، فقد ذكر لي انه كان يفكر أحياناً في بعض المسائل ويركز عليها حتى يأتي وقت النوم وعندما يستيقظ يبدأ بالتفكير مرة اخرى فوراً من النقطة التي انتهى اليها عند نومه، ولذلك فقد كان يقضي جُل وقت يقظته الذي يستمر أكثر من ستة عشر ساعة في حالة من التفكير المركز.

ج ـ وعندما كان يفكر يستغرق بالتفكير بصورة عميقة حتى كأنه لا يوجد شيء حوله يشغله أو يشوش عليه فكره فقد سألته مرة عن عمله الفكري مع وجود أطفال أخيه في بيته وقد كانوا صغاراً في حينه وهم يبكون أو يلعبون، أو وجود الحركة والحديث في البيت وهو بيت ضيق نسبياً، فذكر لي بأن هذه الأمور لاتشوش عليه تفكيره ولا تشغله عنه ولا يتأثر بالضوضاء التي تجري حوله بسبب استغراقه في التفكير.

د ـ وكان هذا النبوغ المبكر سبباً في الانتاج المبكر للشهيد الصدر حيث انه طبع كتاب (فدك) الذي تناول فيه قضية مطالبة الزهراء (ع) بإرثها

---

(١٢) نفس المصدر أعلاه..

بعد وفاة النبي الأعظم (ص) تناولاً تأريخياً وفقهياً وفكرياً وعقائدياً في سن مبكرة، وكان قد أنهى حينذاك كتابة دورة كاملة في علم الأصول وعندما أراد أن يطبعها لم يكن لديه مال ينفقه للطباعة فاشترط عليه صاحب المطبعة أن يأذن له بطبع (فدك) لأن موضوعه واسلوبه له سوق رائجة وفي مقابل ذلك يطبع له جزءاً مهماً ـ ولكنه حساس ودقيق ـ من هذه الدورة الأصولية التي أسماها (غاية الفكر) وهو البحث في (تنجيز العلم الاجمالي) الذي كان يتبنى فيه الشهيد بعض الآراء الجديدة.

كما أنه وضع الأسس لدستور الحكم الاسلامي وبعد ذلك الف كتابي فلسفتنا واقتصادنا النادرين في سن مبكرة نسبياً أيضاً.

وكان ينظر للحركة الاسلامية الجديدة بمفاهيم حديثة عبر عنها في افتتاحيات مجلة "الاضواء" ، ثم طبعت في كتاب تحت عنوان (رسالتنا) ولم يكن يذكر اسمه الشريف فيها عند كتابته الافتتاحية.

كما قام بتنظيم الخطاب السياسي لجماعة العلماء من خلال منشوراتها التي كتبها بقلمه الشريف في هذه السنّ المبكرة أي في منتصف العقد الثالث من عمره بالرغم من أن تجاربه السابقة في هذه المجالات كانت محدودة للغاية. وكان بداية نشاطه العلمي العالي وهو تدريس بحوث مرحلة الخارج أصولاً وفقهاً في هذه السن أيضاً.

هـ ـ وقد اقترن هذا الانتاج المبكر بظاهرتين رئيسيتين مهمتين كان لهما دور كبير في طرح الشهيد الصدر كمفكر في العالم العربي والاسلامي.

الأولى: ظاهرة الابتكار والابداع في المضمون الفكري كما يلاحظ بصورة واضحة في كتاب فدك واقتصادنا وغاية الفكر ثم أصبح ذلك سمة ومعلم من معالم شخصية الشهيد الصدر الفكرية المتميزة.

الثانية: التفكير المنظم الذي يجمع بين العمق الفلسفي والاصولي في الحوزات العلمية. والالتزام بالضوابط والقواعد الشرعية العلمية المنهجية المعترف بها في هذه الأوساط. واليسر والسهولة والانسجام مع الذوق الانساني العام والذي يعبر عنه في مصطلح الفقه بـ (العرف العام) فان الجمع بين هذه العناصر الثلاثة عملية في غاية التعقيد ويفتقدها الكثير من أصحاب الفكر والابداع، وهي عناصر: النظم في التفكير والذي نعبر عنه بالمنهج المنطقي، والعمق في تحليل الاشياء للوصول الى الحقيقة، واليسر والانسجام في عرضها وتوضيحها ومتابعة الخصوصيات العرفية فيها.

و ـ الاسلوب الجديد في العرض والتدريس وهو وان كان قد تأثر الى حد كبير بمنهج استاذه الامام السيد الخوئي، ولكنه أضاف اليه خصوصيتين مهمتين:

الاولى: خصوصية تبني الرأي المعروض في كتاب الدرس أو عندما ينقله عن العلماء الآخرين للنقد والتمحيص والتفتيش عن كل النكات التي يمكنها أن تساهم في توضيحه والتصديق به في حيادية كاملة، بل كان يدخل عليه بعض العناصر أو وجوه الاستدلال لإكماله.

الثانية: التفصيل في العرض والانفتاح في الحوار والمناقشة بهدف

الاقتناع بالرأي والوصول للحقيقة لا مجرد إسكات الخصم وغلق الطريق عليه.

وقد كان هذا الاسلوب يعبر عن النبوغ كما يعبر في الوقت نفسه عن المضمون أيضاً.

ز ـ ومن أجل هذا النبوغ كان يلاحظ انفتاح اساتذته عليه في البحث، ولاسيما استاذه الامام الخوئي الذي كان يتصف بهذا الاسلوب من التشجيع لطلابه في بعض أدوار حياته، بحيث كانت تطول المناقشة بينهما أحياناً إلى ساعات طويلة.

فقد حدثني أنه كان يراجع الامام الخوئي ليلاً في داره القريبة لمنزل الشهيد الصدر وذلك لمتابعة ومناقشة بعض مسائل الدرس، وقد طال النقاش مرة حتى انفض جميع الحاضرين ولم يبق الا هو والسيد الاستاذ ـ كما كان يعبر عن الامام الخوئي ـ واحتدم النقاش بينهما في هذه الخلوة حتى ضاق الخادم بذلك فدخل عليهما لينقذ السيد الاستاذ من هذا الطالب الذي ظنه مزعجاً ولا سيما بعد ان كان قد علا الصوت في النقاش، وإذا بالسيد الاستاذ يبادر الخادم ويمنعه من التدخل ويصرفه ليستمر النقاش الى نهايته الطويلة وقدكان يستمر في بعض الأحيان عدة أيام لمراجعة مسألة واحدة.

وقدكان يذكر الشهيد الصدر مثالاً لذلك اشكالاته وملاحظاته حول موضوع (استصحاب الحكم الشرعي)، الذي لم يكن يقول الامام الخوئي

بحجته على خلاف مذهب الشهيد الصدر فيه، حيث يذكر الشهيد الصدر انّ الاشكالات العديدة المذكورة في تقريرات السيد الخوئي حول الاستصحاب (تقريرات الشهيد آية الله السيد محمد سرور الواعظ) انّما هي إشكالاته التي كان يثيرها لدى السيد الخوئي.

وقد كان يسمح له الامام الخوئي بالنقاش حتى ينتهي أحياناً الى تغيير رأيه كما هو الحال فيما ذكره الشهيد الصدر لي في مسألة وجوب صلاة الجمعة تعييناً عند النداء اليها وإقامتها.

ولعل أفضل شاهد على هذه الحقيقة في نبوغه المبكر هو اعتراف الحوزة العلمية ولا سيما اساتذته وزملاءه بهذه الحقيقة بصورة عامة.

الثانية ـ العاطفة النبيلة:

لقد كان من صفاته الذاتية الحميدة ما كان يملكه من عواطف جياشة نبيلة ذات مضمون قيمي وأخلاقي سواء في العلاقات الخاصة أو العامة وسوف أشير إلى بعض معالم ذلك في الفصل الرابع عندما اتناول العلاقات الخاصة في الاسرة والأصدقاء.

ولكن مضافاً الى ذلك نلاحظ المشاعر العاطفية القوية تجاه قضايا المجتمع والاسلام، وقضايا الظلم والعدل وقضايا الصلاح والفساد، وقضايا الضعفاء والمساكين، وقضايا الأخوة الايمانية، والتكريم للمخلصين والوفاء للاولياء.

وقد كانت هذه العاطفة والحب لها قيمة خاصة ومستقلة في شخصيته

لايمكنه الا ان يعبر عنها مالم تمنعه العزة والكرامة والاباء أوالشجاعة و المسؤولية، فهو يفهم الحب ويتفاعل معه بدرجة عالية ولازالت رسائله لي المليئة بهذا الحب والعاطفة ولكل من يحيط به ولا سيما للأصدقاء تصدح بهذه الحقيقة، ويمنعني الحياء والإجلال له، وعدم الابتذال بها عن إظهارها لما تحتويه من نبل وشهامة وعاطفة جياشة نبيلة.

وهو بقدر ما يهتم بالمثل والقيم يحس بالقرف والانزعاج من مواقف الخيانة أو الظلم أو الامتهان أو الانتهازية والنفعية والتكالب على الدنيا الدنية دون الاحساس بروح الحقد والانتقام في ذلك.

لقد كان يتفاعل مع الاحداث إلى حد المرض أو الحزن والكآبة والبكاء والنحيب، فمثلاً عندما بلغه مقتل الشهداء الخمسة الأوائل وقد كان قد أمضى الليل ساهراً بالدعاء والتوسل، انهار حتى أصيب بما يشبه السكتة والعجز عن الحركة تفاعلاً مع الحدث، لأنه وجد فيها كارثة في الوسط الاسلامي حيث كانت المرة الأولى التي يرتكب فيها حزب البعث الحاكم في العراق مثل هذه الجرائم الوحشية بهذه الطريقة الوقحة العلنية وبالرغم من كل محاولات منعه من ارتكابها والوعود الكاذبة في الامتناع عن ذلك.

وعندما قرأ رسالة كنت قد كتبتها سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) له من لبنان أحدّثه فيها عن بعض المشاكل المعقدة الشخصية التي واجهتها في الطريق بسبب الظروف السياسية القائمة حينذاك لم يملك نفسه عن البكاء

والحزن.

وقد كان يولم الولائم البسيطة في بيته، أو يطلب من الاصدقاء ذلك، أو يقوم بالاسفار القصيرة الترفيهية للكوفة وغيرها من أجل التعبير عن هذه العواطف الجياشة وبناء أواصر الود والمحبة بين الأولياء والأصدقاء والزملاء.

وعندما كان يحرص على دروس المبتدئين من الطلبة أو رعاية المستضعفين مادياً وروحياً كان يفعل ذلك كله بعقله ممزوجاً بعاطفته. وعندما كان يستقبل الشباب والاوساط العامة من الكسبة والفلاحين كان يفعل ذلك بعقله الممزوج بعاطفته.

كان الانسان يحس بان هذا السلوك الراقي في تنفيذ المسؤولية هو سلوك ممزوج بالعاطفة والحب والحرص والاحترام.

وهكذا عندما يتفقد طلابه الغائبين في عوائلهم أو الحاضرين في مشاكلهم ومرضهم كان يفعل ذلك أداءً للحق ولكنه حق يلمس الانسان فيه الحب والرغبة والعاطفة النبيلة التي تتحرك في نفس هذا الانسان.

وكان لهذه العاطفة التي تخرج من القلب اثرها العميق في كل من يرتبط به من الناس، لأنهم يلمسونها ولا يرونها مجرد أداء للواجب والوظيفة الملقاة على عاتقه بل هي إلتزام مقرون بالحب والنصرة.

وهذا هو المضمون الصحيح للعلاقة التي أراد الاسلام ان يوجدها بين أبناء المجتمع الاسلامي من المؤمنين فهي ليست مجرد حقوق وواجبات أو

عهود والتزامات أو نصرة وحماية بل هي الى جانب ذلك كلّه حب ومودة ومشاعر نبيلة، وهذا هو معنى الولاء والرحمة والذلة في قوله تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾، وفي قوله تعالى ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، وفي قوله تعالى ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾، وهذا هو معنى العلاقة في تكوين الأسرة عندما تتحول العلاقة بين الزوجين إلى مودة ورحمة وبين الأب وإبنه إلى خفض جناح الذل من الرحمة.

الثالثة ـ المثابرة والجدية:

لقد كانت صفة المثابرة والجدية من الصفات المتميزة في الشهيد الصدر(رض) وهي وإن كانت صفة مهمة في حد ذاتها ولكن تزداد أهميتها عندما تكون الى جانب صفة العاطفة النبيلة حيث قد لايجتمع الجد والمثابرة مع العواطف والمشاعر والاحاسيس، ولكنه قد جمع بينهما بدرجة عالية ومتميزة.

لقد كان يعمل ليل نهار دون كلل أو ملل إلاّ عندما يصيبه الصداع الشديد وهو من الأعراض التي كان يبتلي بها فيظهر عليه التعب، ويعمل حتى لا يبقى له وقت للراحة أو فرصة للتوقف.

وقد ذكرت انه قد بذل جهده في البداية في طلب العلم وتدبير شؤون البيت، ورعاية الاهل ثم تطور الأمر إلى إضافة المطالعة الأدبية والتربية للطلبة، وتطور بعد ذلك الى التصدي للنشاطات العامة الأخوانية

والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ولم يكن يبدو عليه مع هذا التطور أي تغيير ملموس في الموقف تجاه المراحل السابقة فبقي درسه ورعاية الأهل والاخوان والاصدقاء على المستوى نفسه مع اضافة هذه الاعباء الجديدة لعمله، بل يبدو أنه قد ازداد فاعلية وعطاءً.

نعم هناك بعض الأمور التفصيلية قد تحولت بطبيعة الحال حسب الأولويات الى غيره، فبعد أن كان يقوم بالتسوق بنفسه أخذ يقوم بذلك غيره عنه، حيث أخذ يكلّف الآخرين بهذا الأمر ثم اتخذ خادماً لذلك، أو كان يقوم بتدريس أهل البيت فتولى آخرون ذلك، مع استمرار الرعاية، وقد كان يجيب شخصياً على جميع الرسائل فتولى آخرون مساعدته في ذلك.

وقد كان جاداً في التربية الأخلاقية والروحية، وجاداً في التربية العلمية، وجاداً في التوعية السياسية، والشعور بالمسؤولية ولكن ــ كما ذكرت ــ مع عاطفة وحب وود لا تمنعه عن القيام بهذا العمل الجاد، بل كان جاداً حتى في عواطفه بحيث لا يسمح بالتهاون في التعبير عنها.

ويمكن أن أشير الى بعض معالم المثابرة والجدية في عمله على شكل فهرست للنقاط:

١ـ الاستيعاب الواسع السريع للمادة العلمية الموروثة مع الابداع العلمي فيها والمناقشة الدقيقة الواسعة لها، بحيث كان يثير استغرابنا فيه هذا

الاستيعاب.

٢ـ التوسع في قراءة العلوم الحديثة ذات العلاقة بنشاطه العلمي والثقافي فعندما الف كتاب فلسفتنا قرأ أكثر الكتب الماركسية والديمقراطية المتوفرة في ذلك الوقت في فترة قياسية، وعندما ألّف كتاب (اقتصادنا) استوعب النظريات الاقتصادية المعروفة وبسرعة فائقة، وعندما كتب (الأسس المنطقية للاستقراء) قرأ كتب الرياضيات.

٣ـ استيعابه لكتاب الاسفار الأربعة في فترة زمنية قياسية وفي سن مبكرة، ومن خلال المطالعة والعرض على الأستاذ كما ذكرنا.

٤ـ قراءته لكتب الرجال والأصول والفقه وتأريخها ولا سيما آراء المحققين المتأخرين بصورة تفصيلية واستيعابه لها.

٥ـ قراءته للتاريخ ولاسيما تأريخ أئمة أهل البيت وتحليله الدقيق و السريع لها.

٦ـ قراءته لكتب العقائد والكلام وكتابته لكتاب "العقائد" بمنهج جديد وهذا الكتاب لا نعرف مصيره لأنه كان يقوم بتأليفه في أواخر أيامه (رض) وفي أيام محنته، ثم ذهب مع بقية آثاره بسبب العدوان عليه وعلى بيته وكتبه.

٧ـ تأليفه السريع للحلقات الثلاث في علم الأصول، حيث يمكن معرفة سرعة الأنجاز فيها من خلال تأريخ التأليف المدوّن فيها.

٨ ـ مراجعته لكتابات طلابه وبعض مريديه بلا كلل، وبهذا الصدد

لازلت أذكر ما نقله لي العلامة الفقيد السيد عز الدين بحر العلوم، الذي كان محباً له وإن لم يكن من طلابه، حيث ذكر لي بأني كنت أعرض بعض كتاباتي على بعض الفضلاء الجيدين من أصدقائه وأساتذته فتبقى لديهم مدة من الزمن، وجربت الشهيد الصدر مرة في عرض الكتابة عليه فأرجعها فوراً مع الملاحظات فأُصبت بالدهشة وعرفت الفارق بينه وبينهم.

٩ـ السرعة في كتابة الرسائل الطويلة والبيانات الثقافية ـ السياسية والمحاضرات القيمة.

١٠ـ كتابته للتعليق على منهاج الصالحين والعروة الوثقى وكتابته لتوضيح المسائل عندما تصدى للمرجعية في وقت قياسي.

١١ـ اعطاءه الفرصة والوقت الطويل للمناقشة التي كانت تستمر عدة ساعات أحياناً ولا سيما للفضلاء من طلابه أمثال السيد الحائري والسيد الهاشمي.

١٢ـ كتاباته الأخيرة بعد انتصار الثورة الاسلامية المطبوعة في كتاب واحد اسمه (الاسلام يقود الحياة) وكذلك كتابته مادة علوم القرآن للسنة الأولى وبعض السنة الثانية لكلية أصول الدين بسرعة قياسية.

١٣ـ تنوع الاعمال الفكرية والاجتماعية والتربوية والتصدي السياسي وكثرتها مع المحافظة على مستوى الانتاج العلمي.

١٤ـ تفقده لطلابه ومريديه وحضوره المناسبات والعلاقات الاجتماعية

بصورة واسعة ولاسيما في المدة الأخيرة في حياته وبعد أن اتخذ لنفسه مجلساً اسبوعياً لقراءة التعزية.

انّ هذه النقاط تؤشر جميعاً على المثابرة والجدية واستغلال الوقت وتنظيمه واستثمار الفرص المواتية وهو شيء مهم ودرس عظيم لابد لجميع المتصدين والعاملين أن يستلهموه ويستفيدوا منه.

وقد جربت في المرحلة الأخيرة من حياتي ولاسيما في العقدين الماضيين ذلك، فوجدت فيه البركة العميمة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في وقت الانسان والتوفيق العظيم الذي يفيض به تعالى على عباده عندما تتوفر لديهم الارادة والتوكل عليه والاخلاص له في العمل.

ولاشك إنّ كل ذلك كان موفوراً في شخصية شهيدنا الصدر (رض).

الرابعة ـ الموضوعية في التفكير:

لقد كان الشهيد الصدر يتصف بما يمكن أن نسميه بـ (المنطقية العلمية في التفكير والتحليل الاجتماعي) والالتزام العملي به، وهي صفة قد تبدو لأول وهلة أمراً طبيعياً لشخص قد تربى هذه التربية العلمية وكان له هذا الانقطاع للعلم والتفكير، ولكنه يصبح أكثر أهمية وتعقيداً عندما يجتمع مع صفة العاطفة المتأججة النبيلة والتأثر الشديد بالانفعالات والأحاسيس الصالحة التي أشرت إليها سابقاً.

كما انّ هذا الموضوع على مستوى التفكير قد يبدو طبيعياً كما ذكرت، ولكن عندما يمتد ذلك على جانبين اخرين متخالفين وهما:

التحليل للظواهر التاريخية والاجتماعية والعرفية حيث تخضع عادة لمثل هذا الاسلوب. وللالتزام والتطبيق حتى نهاية الطريق مهما كـانت الصعوبات التي تواجهه، يصبح ذلك في غاية التعقيد والشدة.

ويمكن ان نجد ذلك بوضوح على مستوى التفكير في نتاجه العلمي المتميز والمنظم، وفي منهجه الخاص في تحويل الجزئيات إلى عقد منتظم من النظريات في مختلف المجالات، وفي الاستدلال عليها طبق المناهج العلمية التي توصل لها أو أقرها العلماء والباحثون.

ولكن ما يهمنا من ذلك هو ما نجده في جانبي التحليل للظواهر الاجتماعية والتعامل معها، كما في رؤيته وتحليله للثورة الاسلامية في ايران الذي بقي ثابتاً عليه في الرؤية والموقف، حيث إلتزم بتأيدها حتى الشهادة وطلب من طلابه ومريديه ذلك، وفي رؤيته للعمل الحزبي ونظرية الشورى وتبدل موقفه منها عندما شك في دليلها[١٣].

وفي التزامه العملي للمشاريع الثقافية العامة مثل كلية اصول الدين والمدارس الدينية المنظمة في الحوزة العلمية كمدرسة العلوم الاسلامية الحوزوية التي أسسها الامام الحكيم وإلتزمها الشهيد الصدر بنفسه وطلابه ومريدوه، أو المدارس النظامية كمدارس الامام الجواد (ع) في بغداد، أو

---

(١٣) أشرنا إلى ذلك بشيء من التفصيل في بحث النظرية السياسية للشهيد الصدر (رض).

مدارس الزهراء (ع) في النجف الأشرف التي كانت الشهيدة بنت الهدى ترعاها بصورة خاصة، وغيرها، وذلك بالرغم من تطور وضعه المرجعي وارتباط هذه المؤسسات بمواقع مرجعية أخرى، أو جمعيات ومؤسسات اجتماعية عامة.

وكذلك إلتزامه للمؤسسات السياسية العامة، كالتزامه لجماعة العلماء بالرغم من انه لم يكن عضواً فيها ومع ذلك كان يكتب جميع أدبياتها في المرحلة الأولى مثل منشوراتها السبعة والمقالات الافتتاحية لمجلة "الاضواء" التي كانت تكتب تحت عنوان (رسالتنا) دون أن يذكر اسمه فيها، وكان ينوي أن يطبع كتاب (فلسفتنا) القيّم باسمها ولا يضع اسمه عليه، حتى سمع من بعض الأشخاص الاتهام بأنه يريد بذلك ترويج نفسه باستغلال اسم جماعة العلماء، فعدل عن ذلك.

كما انه بعد الأزمة التي اختلقها بعضهم ضده في تحريض جماعة العلماء عليه انقطع عن كتابة (رسالتنا) رعاية منه للحكمة واستمرار الجماعة دون أزمات، ومع ذلك كله بقي على ولائه الكامل للعمل معها ولها[١٤].

ومثل مشروع العمل الحزبي الذي دخل فيه عن إيمان فكري وعملي ثم شك في مشروعيته واقترن ذلك الشك بطلب الامام الحكيم منه الخروج من الحزب والتفرغ للعمل الحوزوي فاقتضى منه أن يخرج من العمل

---

(١٤) تحدثت عن هذا الموضوع في مقال خاص مستقل.

الحزبي، ولكنه بقي يسند هذا العمل إلى مدة طويلة لإيمانه بفائدته في بعض أوساط الأمة وما يمكن أن يحققه من تكامل في عمل المرجعية عندما ينسجم معها، وإن اختلف معه بعد ذلك لأسباب فكرية وأخلاقية.

ومثل مشروع المرجعية الموضوعية الذي وضع نظريتها وحاول ان يجسدها عملياً بالرغم من معرفته بالصعوبات العملية القائمة تجاه ذلك.

انّ كل هذه الامثلة وغيرها تؤكد حقيقة ما اشرت اليه من انه كان يفكر بطريقة علمية موضوعية، وعندما يتوصل إلى الفكرة والنتائج كان يعمل على تنفيذ الافكار التي يؤمن بها بقوة ويمارس شخصياً ذلك مما يمكن أن نعبّر عنه بتكامل الموقف العملي مع الموقف النظري في سلوكه العام.

الخامسة ـ الشجاعة العالية:

لقد كان الشهيد الصدر يتصف بالشجاعة العالية والارادة القوية من وراءها، وكانت شهادته ـ التي سوف أتحدث عنها إن شاء الله في أخلاقه الفاضلة ـ تعبّر عن ذلك في شخصيته، ولكن موضوع الشهادة لما كان موضوعاً له خصوصياته ارى من الضروري أن أشير إلى بعض مواقفه الشجاعة في حياته، والتي عرفتها عن كثب، والتي تعطيه امتيازاً حيث كاد أن يكون المتفرد فيها:

الأول: ما أشرت إليه في الفصل الاول من قراره الانتساب إلى مسلك أهل العلم والتزامه لمنهج الاسلاف الصالحين بما احاط به من ظروف

خاصة تحتاج إلى جانب الوضوح والاستعداد للتضحية وهذه الشجاعة والارادة.

الثاني: قرار تبني مشروع ايجاد الحركة الاسلامية المنظمة وتحمله لكل المصاعب والآلام والمشاكل التي لم تكن خفية عليه وهو يعيش مجتمعاً بعيداً كل البعد عن هذا العمل التنظيمي في جذوره الفكرية وقواعده التنظيمية وضوابطه الاجتماعية وأعرافه الاخلاقية والاجتماعية.

ولا يقل قرار الانسحاب من الحركة شجاعة على قرار التأسيس بعد أن أصيب بالشك في المشروعية الدينية لهذا العمل وطلب منه الامام الحكيم الانسحاب منه لأنه لا ينسجم مع قواعد الحوزة والمرجعية وهو يعبر عن صعوبة هذا القرار أيضاً في رسائله التي أشرت إليها في بحث النظرية السياسية.

الثالث: انه بعد الاعلان عن الافتراء الظالم في حق الشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم ومحاصرة المرجعية الدينية للامام الحكيم في سنة ١٩٦٩ كان الشهيد الصدر أول شخصية تأتي من النجف الأشرف لتصل إلى بيت الامام الحكيم في الكاظمية، في حين تغيّب عدد كبير من علماء بغداد والكاظمية البارزين بسبب هذا الحادث، وقد قدم اقتراحاً يدل على الدرجة العالية من الشجاعة ويقضي بتقديم مذكرة فورية للنظام بالأسماء الصريحة ومنها اسمه احتجاجاً على موقف نظام البعثيين العفالقة وضرورة تحمل نتائج ذلك حتى الاستشهاد، ولكن كان رأي العلماء الحاضرين في

ذلك الوقت التوقف عن ذلك، وقدمت المذكرة باسم الشهيد السيد مهدي الذي كان قد أعدها لذلك من قبل.

الرابع: السفر إلى لبنان والقيام بعمل واسع لنصرة المرجعية الدينية في محنتها في وقت وقف كثير من أنصارها القريبين موقف التردد والخوف وقد كانت آثار عمله واسعة وقوية على النظام بدرجة انه اتخذ قراراً بمقاطعة الحكومة اللبنانية في موضوع السياحة للضغط عليها وطلب من العراقيين الخروج من لبنان فوراً وفي غضون أربعة وعشرين ساعة[١٥]، وقد كان الامام الحكيم يتخوف عليه من ملاحقته من قبل النظام بعد رجوعه إلى العراق، وهذا الموقف يوثق في رسالة له تفصيلية أشرت إلى بعض فصولها في بحث (مواقف الشهيد الصدر)[١٦].

الخامس: الموقف الشجاع تجاه قضية العدوان على الحوزة العلمية وتسفيرها أثناء مرض الامام الخوئي في سنة ١٩٧٤ وقيامه بعملين فريدين:

أحدهما: طرح ومتابعة إرسال برقية يوقعها كبار العلماء العراقيين أمثال الشيخ مرتضى آل ياسين والسيد يوسف الحكيم والسيد محمد سعيد

---

(١٥) لقد أعلن هذا القرار في حينه ويشير إلى أثره الامام موسى الصدر في بعض رسائله الشخصية لي، وقد كان للامام موسى الصدر دور كبير في ذلك أيضاً.

(١٦) لقد نشر جانب من هذا الموقف في بعض صحافتنا الاسلامية، ولعلّي أوفق لنشره ضمن مجموعة الكتابة عن الشهيد الصدر.

الحكيم والشيخ محمد جواد الشيخ راضي وغيرهم وقد تم ذلك بالفعل وباشتراك عدد من محبيه.

والآخر: هو لقاءه بالامام الخوئي في المستشفى في بغداد عندما كان عازماً على السفر إلى لندن للعلاج ومطالبته إياه باتخاذ موقف منع الطلبة والعلماء من الاستجابة الطوعية للسفر وتوضيحه لأهمية هذا الموقف والقرار واقتناع الامام الخوئي (قده) بذلك.

وكانت أزمة تسفير الحوزة العلمية في أشدها، وقد تحمل الشهيد الصدر مسؤولية نقل رأيه في وجوب الصمود في الحوزة وعدم الاستجابة الطوعية لقرار التسفير، الأمر الذي أثار لغطاً واسعاً في الحوزة حتى في دائرة جهاز الامام الخوئي نفسه، حتى أنقذ الموقف الامام الخميني (رض) بتدخله القوي وايقافه للتسفير، ولكن بعد أن سافر عدد كبير من وجوه الحوزة العلمية.

السادس: الموقف الشجاع في الدفاع عن الشعائر الحسينية عندما بدأ البعثيون يتحرشون بها، وعمله المتواصل على توعية الأمة وتحريضها على الصمود، حيث قام طلابه بدور خاص في هذا المجال من خلال الاتصال بالمواكب ودعمها وتشجيعها أو الاتصال بالشخصيات الشعبية والعشائرية ومنهم كاتب السطور والشهيد السعيد حجة الاسلام السيد عماد الدين الطباطبائي الذي كان عمله في هذا المجال السبب الرئيس في اتخاذ النظام لقرار قتله، وإن كان النظام قد حاول التعتيم عليه بنسبة شيء

آخر له، وإجبار بعض الأشخاص للاعتراف عليه بأنه مرتبط بحزب الدعوة الاسلامية، مع انه لم يكن له حينذاك أي ارتباط.

واستمر الشهيد الصدر في هذا الموقف حتى كانت أحداث انتفاضة زيارة الأربعين في صفر المعروفة وتعرض كاتب السطور مع عدد من المؤمنين إلى السجن المؤبد وعدد آخر منهم إلى القتل، وعدد كبير يزيد على عشرة آلاف إلى الاعتقال المؤقت والتعذيب منهم الشهيد الصدر نفسه.

السابع: مواقفه الشجاعة مع نظام البعث وتأييد الثورة الاسلامية والمقاومة الصلبة لهذا الكابوس الجاثم على صدر العراق وعدم الرضوخ لكل الاغراءات والضغوط حتى الشهادة.

إنّ هذه المواقف على تنوع مجالاتها واختلاف ازمنتها وتمايزها عن المواقف الأخرى تعطي بعداً هاماً في الشجاعة العالية الشخصية القيادية والسيرة الذاتية للشهيد الصدر. كما هي في الوقت نفسه تعبر عن دروس في الأخلاق والشعور بالمسؤولية والعمل السياسي والاجتماعي وفي السلوك الانساني.

السادسة ـ قوة الحافظة:

يذكر بعض الأشخاص الذين لا أعرفهم: إنّ الشهيد الصدر كان لديه قدرة عالية في حفظ النصوص منذ صغره، ولكني لم ألاحظ ذلك فيه طيلة مدة معاشرتي ولا اذكر أني سمعت منه ذلك، ولكنه كان على درجة

عالية من استذكار الموضوعات العلمية والدقة فيها وفي نسبتها إلى أصحابها وكذلك استذكار مضامين الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية التي كان يراجعها بسرعة ويشهد له بذلك دروسه الفقهية والاصولية والتاريخية والتفسيرية التي كان يلقيها عن ظهر قلب وبصورة منسقة وأحياناً لمدة طويلة إلاّ انه كان يستعين أحياناً لقراءة النص بالورقة، وكذلك ما كان يتحدث به من قصص وعبر ونوادر تاريخية وحوادث شخصية مشهودة أو مسموعة حول مختلف القضايا.

السابعة ـ حبه للأدب:

لقد كان شهيدنا يستذوق الأدب سواء منه الشعر المنظوم الذي كان يتفاعل معه أو النص المنثور ولا سيما القصة الأدبية حيث كان يقرأها ويؤكد على قراءة بعضها باعتبارها روائع ذات مضمون أدبي وأخلاقي كما في قصة (البؤساء) لفيكتور هيجو.

ولم أعرف عنه انه قد نظم الشعر أو تداوله بالرغم من انّ أخته الفاضلة كانت تنظم الشعر وتكتب القصة والظاهر كما أعتقد إنّ ذلك كان بتشجيعه لها وإشرافه على عملها مضافاً إلى مواهبها الجزيلة.

وقد كان لهذه الصفة المتميزة دور كبير في قدرته على الحديث الشيق والتصوير الدقيق للمطالب والاستشهاد بالامثلة والحوادث والتوضيح والعرض الجيد للموضوعات وتطوير اسلوبه ليقترب من أساليب العصر وليتفاعل مع الأوساط الثقافية والمؤسسات العلمية الحديثة، مما أتاح فرصة

جيدة لتعميم ثقافة الحوزة العلمية على هذه الأوساط حيث كان يكتب لها احياناً كما في كتاب (المعالم الجديدة) والحلقات الاصولية الثلاث (دروس في علم الأصول) و (الفتاوى الواضحة) و (الاسلام يقود الحياة) فضلاً عن كتابي (فلسفتنا) و (اقتصادنا) وكذلك (البنك اللاربوي). وكذلك كتابته مناهج كلية أصول الدين، وكان لذلك دور في استقطاب الشباب الجامعي وكسب بعض العناصر منه إلى صفوف الحوزة العلمية للدراسة فيها بعد ان أصبحت ميسرة بعض الشيء. مضافاً إلى فتح الأبواب أمامها في حركتها الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافة الاسلامية.

الثامنة ـ حبه للعلم والعلماء:

لقد كان شهيدنا يحب العلم والعلماء ويقوم بتربية طلابه ومريديه على ذلك وهذا أمر قد يبدو طبيعياً وعادياً من الشهيدالصدر لأنه بذلك يعبر عن ذاته. ولكن عندما نلاحظ الدرجة العالية لهذا الحب فسوف نراه ميزة كان تختص بها الفئة الصالحة النقية من علمائنا الأفذاذ.

وأحاول هنا بهذا الصدد أن أشير إلى جانبين من الحديث.

أحدهما: يرتبط بحبه واحترامه للعلم والعلماء.

ثانيهما: منهجه في التربية العلمية.

أما الأول: فيمكن أن نلاحظ النقاط التالية:

١ـ الاحترام والتقدير للعلماء من أساتذته الذين كان يعبّر عنهم ويتحادث معهم أويتحدث حولهم بمنتهى الاحترام والتقدير، فلا يعبر عن استاذه

الامام الخوئي إلاّ بسيدنا الأستاذ وكذلك الحال بالنسبة الى العلماء الماضين بالرغم من اعتزازه العلمي برأيه وسعة دائرة علمه. ومن الطرائف في هذا المجال ما كان يذكره لي من تقدير للمحقق الشيخ ضياء الدين العراقي ويقول بأني أتمنى أن أكون موجوداً في أيامه لأحاوره حيث كان يراه في جولان الفكر والرأي وقوة العارضة متقدماً على قرينيه المحقق النائيني والمحقق الأصفهاني.

٢ـ ومن حبه وتقديره للعلم وللعلماء موقفه المتميّز تجاه المراجع الدينيين العامين الذين عاصرهم.

وهذا الموقف وإن كان ينطلق من نقطة أخرى مستقلة وهي رؤيته في نظرية العمل السياسي والاجتماعي وتقديره واحترامه للمرجعية الدينية كاطار للعمل السياسي والاجتماعي العام، ولكنه في الوقت نفسه يعبّر عن جانب من صفاته الحميدة السامية في هذا المجال.

٣ـ وفي مجال احترامه للمرجعيات الدينية نلاحظ:

أولاً: احترامه لمرجعية الامام الحكيم حيث نلاحظ إنّ الشهيد الصدر بالرغم من انّ موقعه وانتماءه الحوزوي لم يكن مرتبطاً بنمو وتكامل مرجعية الامام الحكيم، حيث انّ الموقع الجغرافي في العلاقات الحوزوية وكذلك الانتماء العلمي والدراسي كان له تأثير كبير عادة في الارتباط بالمرجع، ولكن بالرغم من كل ذلك تعامل مع المرجعية الدينية للامام الحكيم بدرجة عالية من الاحترام والاخلاص والتقدير سواء في مجال

الترويج لها أو النشاط العلمي في اطارها او في احترامها وتقديرها والاحساس العالي بالمسؤولية تجاهها.

وقد أشرت إلى بعض معالم ذلك في العرض السابق، ولكنه (قده) كان قد دون ذلك في مواضع عديدة نشير منها إلى الموضعين التاليين اللذين يعبّران عن هذا الموقف.

١ـ نص رسالته للعلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم عند وفاة الامام السيد الحكيم والمنشورة في مجلة قضايا اسلامية، حيث يقول:

(أخي وعزيزي وشريك آلامي وآمالي.

أكتب إليك وقلبي يتفطر وكياني يتفجر ألماً والدنيا أمام عيني مظلمة بعد أن انطفأت الشمس وهوى العماد وتهدم البنيان الذي تعلق به آمال كل الواعين من المسلمين وسقطت الراية التي عشنا في ظلّها ونعمنا في فيئها بآلام الجهاد.

أي والله يا أخي نعمنا في فيئها بآلام الجهاد وما ألذه من نعيم وما أروعها من راية تسقط وهي في قمة الصمود والثبات، في قمة النظافة والطهر، في قمة الاستقامة والنزاهة، في قمة الشموخ مهما احتشدت المصائب، ومهما تفرقت بالناس المذاهب.

أكتب هذه الكلمات وأمامي شريط من الذكريات، ما أعظمها من ذكريات عن الزعامة الرشيدة التي كان فقيدنا يمثلها، أني لم ولن أنسى لحظة كل تلك الحياة في ظل تلك الزعامة الرشيدة التي كانت بودي،

وبود المئات من المخلصين أن يشتروا بقائها بدمائهم وأن يدفعوا عنها الموت بكل ثمن، ولئن كان الموت أمر الله الذي لا يرد وقضائه في أنبيائه وكافة أوليائه الذي لا يمكن أن يدفع، لا بوصفه انسان من لحم ودم، فانّ هذا الانسان قد مات، ولكن بوصفه خطاً للعمل في سبيل الله ومدرسة لتخريج العلماء المجاهدين، ومنعطفاً في تاريخ المرجعية، ومفهوماً يشكل الأساس لبناء الأمة من جديد.

بنفسي أنت، بنفسي آلامك، وبنفسي دموعك، وما أشد النار التي تتوهّج نفسي، وأنا أشعر بأني لا أستطيع أن أكفكف شيئاً من هذه الدموع.

والمؤمن في قمة المحنة يجب أن يكون ثقته بالله سبحانه وتعالى، انّ الله لا يخذل دينه ولا يخذل المجاهدين في سبيل دينه، لا يدخل اليأس إلى قلبك لأنّ الله لا يزال حياً وهو أكبر من الزعيم الراحل، وهو معنا ما دمنا معه، فلنثق بأنفسنا، ولنزدد ايماناً بربنا من خلال المصاب، ولنحاول الخروج من الامتحان ونحن أطهر وأنقى، ونتخذ من الحسن والحسين قدوة لنا، إنّهما أصيبا بسقوط الراية في أحرج لحظة من تاريخ الاسلام، ومنينا بموت القائد الذي انتهى معه آخر أمل حقيقي في إعادة السفينة إلى طريقها النبوي.

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم).

٢ـ مقاطع من رسالتين بعثهما (قده) إليَّ أثناء وجودي في لبنان عام

(١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م) عند حدوث الأزمة في قضية حزب الدعوة والخروج منه، حيث يقول في الرسالة الأولى:

(سألتني أيها العزيز عن اتهامات الأجلاف التي رفعت إلى مقام سيدنا الأعظم (دام ظلّه) ومدى مطابقتها لنفس الأمر، وأجيب بأنّ بعضها كان مطابقاً لنفس الأمر، وبعضها غير مطابق، والاجتماع كان خصوصياً بحسب عنوانه، ولكن كان في الاجتماع بعض الأفراد من خاصة سيدنا وقرابته و لم يبق أمر الاجتماع مخفياً، بل شاع إلى درجة لا أستطيع تحديدها، وأما ما ذكرته أيها الأخ من احتمال بشأن موقف السيد (دام ظلّه) فلئن كان صحيحاً أم لا فاني لم أشك لحظة من الزمان في انّ السيد لم يصدر منه شيء إلاّ على طبق الميزان الشرعي في نظره الشريف و لم يتخلف عن الوظيفة الشرعية التي يعتقدها قيد أنملة ولئن كانت وظيفته الشرعية بحسب نظره لا تسمح له إلاّ بأن ينظر إليّ نظرة عادية فليس هناك أحد يجسر أن يؤاخذ سيدنا الأعظم على ذلك).

ويقول في رسالته الثانية:

(...وبعد أن سقطت دلالة آية الشورى في نظري جعلت ألتفت يمنة ويسرة في الفقه الجعفري، فلم أجد في هذا الفقه ما يسعفني... وماذا أصنع إذا لم يكن قد خطر على بال الرواة الذين سألوا الأئمة عليهم السلام عن كل صغيرة وكبيرة أن يسألوه عن الحكم الشرعي في أيام الغيبة... وماذا أصنع إذا لم يكن الامام قد تبرع ببيان ذلك أو لم يصل

بيانه على أقل تقدير... وهكذا نكبت من أعز مقدساتي عليّ ألا وهو الفقه الجعفري الذي أدين الله بأنه السبيل الوحيد للنجاة، ثم وبعد ذلك وقبل أن أستعيد جأشي وأقرر عزمي على أساس النكبة الأولى وإذا بالنكبة الثانية أتلقاها من مقدس آخر من مقدساتي وهو سيدنا الأعظم (دام ظلّه الوارف) إذ يقف الموقف الذي حدثتك عنه إذ يظهر إنّ من رأي السيد أن الاشتغال بتأسيس المدارس... يجب أن يكون فردياً ويحرم أن يكون على أساس... انّ عملاً يقف منه زعيم الطائفة هذا الموقف... لهو عمل غير منتج شيئاً إلاّ الخسران....

وما أصنع أخيراً وأنا أقدس الفقه الجعفري وأقدس السيد الأعظم معاً ولا أستطيع إلاّ أن أمنحهما أجل آيات الولاء...).

وثانياً: احترامه لمرجعية الامام الخوئي (قده) فانه وإن كان يرتبط بها من ناحية الانتماء العلمي لأنَّ تلمذته العلمية كان على يد الامام الخوئي وعلاقاته الحوزوية مع طلابه بصورة عامة، ولكنه تعامل معها من موقع الاحساس العالي بالمسؤولية بعد وفاة الامام الحكيم لا من موقع العلاقات الحوزوية، حيث كان يرى انّ الامام الخوئي يمكن أن تجتمع عليه الأمة في العراق بصورة عامة في التقليد بعد الامام الحكيم كما أشرت إلى ذلك في بحث رؤيته للمرجعية، كما كان يرى أيضاً انه من الممكن تكوين الرؤية المشتركة معه حول الأوضاع السياسية القائمة، في ظروف كانت الأمة في العراق تمر بمشاكل غاية في التعقيد والخطورة. هذا مما قد تداولنا فيه بعد

وفاة الامام الحكيم ووصلنا منه إلى هذه الرؤية وتم مفاتحة الامام الخوئي بذلك أيضاً.

ولذا وظّف كل طاقاته لترويج هذه المرجعية والمحافظة فيها على وحدة الكلمة في العراق مع وجود فرصة جيدة لطرح نفسه للمرجعية في وسط كبير من الشباب الواعي من ابناء الحركة الاسلامية وفي وسط جيد من الكسبة والمثقفين والمتدينين، ممن كان يتفاعل مع حركة الامام الحكيم الاجتماعية السياسية في العراق وخارج العراق. ووجود من يعتقد بأعلميته من طلابه وبعض علماء العراق المعروفين، واعتراف الحوزة العلمية بدرجته العلمية المناسبة لهذا الطرح[١٧].

(١٧) ولكن مما يوسف له في هذا المجال انّ بعض العناصر في جهاز الامام الخوئي لم يكونوا يتحملوا وجود هذه الأرضية الواقعية لمرجعية الشهيد الصدر، فأخذوا يتحدثون إلى الامام الخوئي ويصورون له انّ الشهيد الصدر يمهد الأمور لمرجعيته الموازية والمنافسة له، وكان الامام الخوئي يرى في الشهيد الصدر الأهلية لذلك، ولكن يرى انّ تصديه في هذا الوقت المبكر على خلاف المصلحة العامة والخاصة للشهيد الصدر فأرسل إليه بعض النصائح بهذا الشأن عن طريق بعض الخلص من طلاب الشهيد الصدر وعن طريق بعض الأصدقاء.

وتوجد بعض رسائل الشهيد الصدر تتحدث عن هذا الموضوع المؤسف وواقع موقفه، وهكذا زاد في الطين بلّه انّ بعض محبي الشهيد الصدر وطلابه كان يعبّر عن حبه للشهيد الصدر بطريقة مثيرة تفتح الأبواب أمام هذه الظنون والاثارات.

ثالثاً: احترامه لمرجعية الامام الخميني حيث نجد الشهيد الصدر يضع كل وجوده الاجتماعي والسياسي في خدمة زعامته ومرجعيته، فيوصي طلابه بذلك من خلال رسائله ثم يعلن عن هذا الموقف مما يكون سبباً أو أحد العوامل لإستشهاده بعد ذلك، كما أكد على هذه الحقيقة (صدام) في خطابه الأخير هذا العام[١٨].

ويقدّم في هذا المجال أيضاً طرحاً نظرياً يؤكد فيه هذا الدور الخاص للمرجعية الدينية والزعامة الاسلامية والامام الخميني من خلال الكراسات الأخيرة التي ألّفها في أواخر أيامه ومن خلال نظرية المرجعية الموضوعية[١٩].

وأما الثاني، فيمكن أن نلاحظ الخطوط التالية:

١- تربية طلابه على الحوار والنقد للأفكار وإعطاءهم الفرصة الكافية والواسعة لذلك ومساعدتهم أحياناً على التفكير والوصول إلى النتائج

---

(١٨) عام (٢٠٠٠).

(١٩) قد يثار سؤال حول عدم دعوة الشهيد الصدر لمرجعية الامام الخميني بعد وفاة الامام الحكيم وطرحه لذلك بعد انتصار الثورة الاسلامية، وقد ذكرت تفسير ذلك آنفاً عند الحديث عن مرجعية الامام الخوئي، وقد فصلت الحديث نسبياً في بحث رؤيته المرجعية، ويلاحظ هنا انّ الشهيد الصدر طرح التبعية لمرجعية الامام الخميني (قده) بعد أن كان قد تصدى الشهيد للمرجعية لأسباب موضوعية مما يعبّر عن شدّة فنائه واعتقاده بهذه القضية.

المطلوبة، وبذلك تمكن من أن يربي في فترة قصيرة عدداً متميزاً من الطلاب الفضلاء.

٢- مزج العاطفة والحب بالعمل العلمي كاسلوب للتشجيع والترغيب في التربية كما أشرنا إلى ذلك.

٣- عرض كتاباته العلمية والثقافية على طلابه لإثارة حوافز التفكير وزرع الثقة بالنفس، وهذا من الأساليب النادرة التي يتبعها العلماء بحسب اطلاعي، حيث كان يمارسه بصورة واسعة وقد توفقت للاختصاص بعرض كتابي فلسفتنا واقتصادنا.

٤- التنظير والعمل على توضيح الأفكار لزرع القناعة والتسليم للفكر وعدم الاكتفاء بالاسكات وسد منافذ النقاش مع بقاء الحيرة وعدم القناعة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

٥- الاشعار بالمسؤولية في طلب العلم والعمل به حيث لا يترك مناسبة إلاّ ويشير إلى ذلك، وكما نلاحظ ذلك أيضاً بوضوح في خطابه حول حب الدنيا وفي أحاديثه حول تاريخ أهل البيت(ع).

٦- استخدام اسلوب الوعظ والارشاد في التربية العلمية والحث على الاقتداء بالعلماء الصالحين من خلال القصة وضرب الأمثال والمقارنة والقدوة الصالحة.

٧- المتابعة لأحوالهم الخاصة وأعمالهم العلمية ودروسهم وتدريسهم وتوجيههم وإرشادهم فيها وتشجيعهم عليها.

وهذه الخطوط شاهدتها شخصياً منه في مدة المعاشرة والمعايشة له، وسوف أشير إلى بعض مصاديقها إن شاء الله.

الفصل الثالث

الأخلاق الفاضلة

قد تتداخل الأخلاق مـع الصفـات الحميـدة وبـالعكس بحيـث يصعـب التمييز بينها أحيانـاً، ولـذا سـوف أشـير بصـورة عاجلـة إلى مجموعـة مـن الأخلاق الفاضلة التي كان يتميز بها شـهيدنا الصـدر (قـده) وقـد يكـون بعضها مما يناسب ذكره تحت عنوان الصفات الحميدة كالحياء والعزّة.

الأولى ـ الاخلاص والشعور بالمسؤولية:

لقد كان من المعالم الاخلاقية الواضحة في شخصيته هو معلم الاخلاص في العمل وتبين مواقع القرب لله تعالى فيه وفي كل خطوة يخطوها بطريقة تتناسب مع منهجه المنطقـي في التفكـير وفي السـلوك، كـل ذلـك مقرونـا بالشعور العالي بالمسؤولية. و لم أكن أعرف في الشهيد الصـدر أفضـل مـن

هذا اللون من العبادة التي يمارسها بعد الشعائر الدينية الواجبة.

وقد كان يسعى إلى أن يربي طلابه ومريديه والمحيطين به على هذا الاخلاص لأنه يمثل المفتاح للتوفيق في الاعمال والمحتوى والمضمون الحقيقي لكل عمل يقوم به المؤمن.

وحديثه حول حب الدنيا وكذلك محاضرته القيمة في (المحنة) التي تعرضت لها الحوزة العلمية والامام الحكيم في آخر أيام حياته تعبّر عن هذا الاحساس والشعور العالي بالمسؤولية أكثر مما يحاول بعض الأشخاص الجاهلين أن يحملها على نقد الحوزة العلمية والطعن بها، فانّ النقد الذاتي في داخل الحوزة والذي يستهدف البناء يختلف في مدلوله كما في هدفه عن النقد الذي يستهدف الهدم والتشهير والاستخفاف بالحوزة العلمية وبيان عيوبها، والشهيد الصدر في الوقت الذي كان يؤمن بالحوزة العلمية وأهميتها والتضحيات الكبيرة التي كانت تقوم بها وتقدمها للمسيرة الجهادية في الأمة، كان يشعر أيضاً بأنّ المسؤوليات الكبيرة التي تتحملها الحوزة العلمية من ناحية والظروف السياسية والثقافية للأمة من ناحية أخرى تفرض أن تقوم الحوزة بعمل كبير وواسع في البناء الداخلي.

وهذا من قبيل ما ورد في القرآن الكريم من حديث وعتاب لرسول الله(ص) أو للأنبياء بهدف بنائهم للوصول إلى المستوى المطلوب من المسؤولية.

ويمكن أن أشير هنا إلى عدة نقاط:

١ـ كتابته لكتاب فلسفتنا واقتصادنا والتوفيق الذي لاقاه في ذلك كان بسبب هذا الاخلاص، حيث كان التأليف في هذه المجالات يؤثر سلبياً في ذلك الوقت على سمعته الحوزوية ويعطي انطباعاً آخر عن شخصيته العلمية وانه مجرد كاتب اسلامي لا مجتهد كبير ومدرس في الحوزة.

٢ـ كما كان على استعداد أن يصدر الكتابين باسم آخر تواضعاً وإخلاصاً منه في النية، وكذلك الحال في جميع كتاباته التي لم تصدر باسمه وهي عديدة، حيث أشرت إلى بعضها مثل كتابته لمناهج علوم القرآن لكلية أصول الدين أو مقالات (رسالتنا) للأضواء.

٣ـ المواقف التي أشرت إليها في التضحية والشجاعة فانّ ذلك انّما يكون في مثل ظروفه الخاصة منطلقاً عن الاخلاص والشعور بالمسؤولية العالية وقد كان يمكنه أن يكتفي بمواقف المراجع العامين أو الانسجام معهم دون أي مشكلة، لا سيما وانّ الحركة الاسلامية المنظمة كانت مترددة أو متخلفة في موقفها تجاه بعض هذه الأحداث على الأقل لأسباب لا مجال لذكرها.

٤ـ تحمله للكثير من المصاعب في سبيل إنجاز بعض القضايا الصالحة ذات المصلحة العامة بحيث كان يذلّ نفسه أحياناً بسبب ذلك. ففي أزمة تسفير الحوزة العلمية قام بزيارة أحد الأشخاص الذين لهم مكانة اجتماعية بهدف تعبئة الأوضاع من أجل الدفاع عن الحوزة، مع انّ ذلك الشخص كان ينتقده علناً في المجالس وكان يشعر بصعوبة التنازل له.

وكذلك تحمله للآلام من بعض أبناء الحركة الاسلامية عندما اختلف معهم في موضوع علاقتهم بالمرجعية والحوزة وأساليب الدعوة والعمل والموقف تجاه هجمة النظام على الحوزة العلمية والحركة الاسلامية وقيامهم بعملية التشهير به أو التمرد على توجيهاته، ولكنه بقي حريصاً على الدفاع عنهم والتألم لهم إخلاصاً منه للعمل وإحساساً بالمسؤولية.

الثانية ـ التضحية والفداء:

لقد كان الشهيد الصدر على درجة عالية من الاستعداد للتضحية والفداء من أجل الاسلام والمصالح العليا وقد توج ذلك بوضوح من خلال شهادته في سبيل ذلك، والتي كانت تعبر عن أرقى درجات الشهادة وهي تلك الشهادة التي تكون عن إرادة وتصميم مقرونة برؤية للواقع، وأثر ودور الشهادة في تغيير هذا الواقع، وتخطيط مسبق لها.

ومن الضروري أن نقف كثيراً عند هذه الشهادة التي تحدثت عنها في مناسبات عديدة ايضاً وعملت من أجل أن تصبح منهجاً واقعياً في حركتنا السياسية والاجتماعية وخصصت أكثر من عشرين عاماً من حياتي حتى الآن من أجلها، كما انها تستحق أن يعطيها هذا (المؤتمر) الذي أكتب هذا البحث له موقعها الخاص حيث انّ الشهيد كان يراها أفضل عمل قام به، وقدَّمه على جميع أعماله ونشاطاته الأخرى[٢٠].

(٢٠) لقد تناولت في الخطاب الذي ألقيته في المؤتمر الأبعاد الشرعية لهذا النوع من

ولكن يجب أن نعرف هنا أيضاً انّ هذه الشهادة لم تنطلق من ظروف خاصة أملت على الشهيد هذا الموقف التضحوي، بل كانت التضحية والاستعداد لها خلقاً ثابتاً فيه منذ عرفته في حياتي. وكانت التضحية شاملة بالنفس والأهل والاعتبار، وهي درجات عالية جداً من التضحية، فضلاً عن التضحية بالكثير من الشؤون الشخصية والمادية الأخرى.

ويمكن أن أشير إلى بعض العناوين والتجارب الشخصية معه بشأن ذلك.

كما يمكن أن نعرف جانباً من ذلك فيما عرضناه من شجاعته وبعض معالم سيرته، حيث يتداخل هذا الموضوع مع الشجاعة أيضاً:

١ـ موقفه من الفتوى بفصل الحوزة العلمية عن العمل الاسلامي المنظّم للمحافظة عليها والذي لم يستوعب ويفهم مع الأسف من الحركة الاسلامية، وحتى من بعض طلاب الشهيد الصدر البارزين ومحبيه المخلصين إلاّ في وقت متأخر وبعد فوات الأوان مما أدّى إلى مشاكل له مع الحركة الاسلامية.

٢ـ موقفه من طرح مرجعيته الخاصة والامتناع عن ذلك في البداية (مع وجود ظروف مناسبة لذلك بعد وفاة الامام الحكيم) رعاية للمصالح الاسلامية واحتراماً للعلم والعلماء ولوحدة الأمة وظروفها.

الشهادة.

٣ـ موقفه من قضية اتهام الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم الذي أشرت إليه سابقاً وتعريضه لنفسه إلى الأخطار البالغة، سواء في البداية أو في سفره إلى لبنان.

٤ـ موقفه من الشعائر الحسينية وانتفاضة زيارة الأربعين في صفر عام ١٤٩٧هـ الذي تحدثت عنه في مجال آخر، وتعرضه للاعتقال وخطر القتل.

٥ـ موقفه من مرجعية الامام الخميني والثورة الاسلامية وذوبانه فيها والنتائج التي ترتبت على ذلك.

الثالث ـ الصبر والتسليم:

لقد كان الصبر والتسليم من الصفات البارزة في شخصيته وهو خلق أساسي في القائد المتصدي حيث يكون القدوة لجميع الأولياء والحواريين، ويمكن أن نجد معالم الصبر هذه واضحة فيما عرفناه في الفصل الاول من المعاناة التي كان يواجهها منذ بداية حياته وحتى نهايتها.

وإلى جانب تلك المعالم من المعاناة كان يواجه باستمرار الآلام والمحن التي كان يواجهها بالصبر أيضاً في عدة أمور أخرى:

أ ـ الآلام والمحن من حساده والجاهلين بفضله ومقاصده حيث كان يلقى منهم الافتراءات والتهم الباطلة والاشاعات الكاذبة ومحاولات الحط من شأنه او التضليل حول غاياته ومقاصده، وهي قضية إجتماعية وسنّة في حركة التاريخ يواجهها المخلصون والمصلحون ويمتحنون بها في صبرهم

وصمودهم واستقامتهم.

ب ـ الصبر على ردود الفعل لحركته الاصلاحية في الحوزة العلمية التي كانت تلاقي كما هي العادة ردود فعل سلبية في بعض الاوساط المتخلفة او المغرضة وهي اوساط وان كانت محدودة التأثير ولكن مواقفها كانت مؤذية روحياً ومعنوياً.

ج ـ الصبر على الاذى والمحنة من بعض العناصر التي كانت قريبة من مواقع يقدسها ويوظف وجوده لخدمتها.

كما في بعض العناصر من حواشي المراجع والعلماء او المؤسسات والحركات الاسلامية كجماعة العلماء وبعض الاحزاب الاسلامية الذين لم يفهموا مواقفه الرسالية او متعلقي بعض طلابه الاوفياء الذين كانوا يظهرون الولاء والاعجاب به بدرجة عالية ومثيره لمشاعر هؤلاء.

د ـ الصبر على محنته مع بعض الاصدقاء الذين اصيب بالاحباط بسبب تصرفاتهم او مواقفهم مع بقاء حبه ومودته لهم.

هـ ـ الصبر على محنته مع البعثيين وازلامهم واعوانهم وهي محنة كانت اشد المحن والمصائب لديه[٢١].

---

(٢١) يوجد في كل مفردة من هذه النقاط تفاصيل لا يحسن الحديث في بعضها ولا مجال للحديث في بعضها الآخر، وهذه القضايا وأمثالها تعتبر أموراً طبيعية مع تفاوت درجاتها تجاه المراجع والعلماء والمتصدين ولهم أسوة بالأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرين.

الرابع ـ الوفاء:

لقد كانت من الاخلاق المتميزة لدى الشهيد الصدر خلق الوفاء فهو في نظره أمر مقدس وقيمه عالية ومثال سامي وسلوك راسخ. وقد مرت بعض الامثلة التي تعبر عن عمق هذا الخلق النبيل في شخصيته.

ومن ذلك وفائه للامام الخوئي في الاستمرار بحضور درسه في المرحلة المتأخرة مع استغناءه عن ذلك بشهادة الجميع وترك كثير من طلابه للدرس لهذا السبب كما انه امر متعارف عليه في الحوزات، وقد ذكر لي هذا السبب عندما سألته عن ذلك.

وكذلك موقفه المساند لمرجعيته والالتزام بالأدب والاحترام الكامل لها بالرغم من إثارة الغبار وبعض المشاكل معه من قبل بعض عناصرها.

ووفاءه للامام الحكيم في اسناد مرجعيته والوقوف معها إلى النهاية والاستعداد للتضحية من أجلها، واسناده أيضاً لمشاريعها ولحركتها

ويلاحظ انّ بعض الأشخاص لأسباب متعددة يحاول أن يبالغ في هذه الأمور أو يطعن من خلالها بالمراجع والمؤسسة الدينية وطلاب الشهيد الصدر والحركة الاسلامية مع انّ وجود مثل هذه الملابسات ونقاط الضعف لا يعني سقوط المؤسسة أو الجماعة أو الموقع مع كثرة نقاط الحسن والصلاح والمنفعة فيه.

إنّ الاعتزاز بشخصياتنا الاسلامية وعظمتها لا يعني الاستهانة أو الشطب أو الطعن بالوجود العظيم لكل هذه المؤسسات وانجازاتها، وهي مؤسسات وانجازات كان يكن لها الشهيد الصدر كل تقدير واحترام وحب ويجيز فيها بين العيوب والمحاسن.

والدفاع عنها.

ووفاءه لأصدقاءه كالعلامة السيد العسكري والشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم. ولكاتب السطور في كثير من المواقف ومنها موقفه تجاه محنة السجن التي تعرضت لها بسبب تكليفه لي بالقيام بالمهمة في قضية انتفاضة زيارة الأربعين في صفر عام ١٣٩٧هـ وتحمله للمسؤولية العرفية فيها، وغير ذلك من الموارد والامثلة.

ولعل أهمها هو وفاءه بالعهد للشهداء الأبرار والمؤمنين الأخيار الذين بايعوه على التضحية والفداء وعاهدوه على المسير في هذا الطريق كما يعبر عن ذلك في نداءاته التي سجلها بصوته الشريف في الأيام الأخيرة لمحنته.

الخامس ـ التواضع:

ومن معالم أخلاقه الخاصة تواضعه في العلاقات الاجتماعية، وفي مقامه العلمي، وفي القضايا العملية.

وقد لاحظنا جانباً من هذا الخلق في بعض الحوادث التي أشرنا إليها ولكن من باب تأكيد الموضوع وتوضيحه أشير إلى بعض آخر.

أما في العلاقات الاجتماعية فيمكن أن نرى ذلك في طريقة تعامله مع عموم الناس ولاسيما الأوساط المستضعفة من الطلبة والشباب والنساء من خلال احترامهم في اللقاء والمجلس والتودد إليهم في الاقبال عليهم وإعطاءه الوقت الثمين لهم للقاء والسؤال والجواب.

وقد بلغ ذلك بالنسبة إلى بعض طلابه المستضعفين أن تحول إلى صديق حميم لهم، مثل ما حصل للأخ الفاضل الشيخ عباس أخلاقي ولأخينا الشيخ عبد العالي المظفر وغيرهم من الأشخاص، وكذلك في طريقة تعامله مع بعض خدمه والعاملين معه مثل الحاج عباس وملا باقر الأفغاني وغيرهما. وكذلك تعامله مع بعض الكسبة الذين يتردد عليهم بالشراء والجلوس حيث انتهى به المجلس، وفي الأكل والشرب واللباس.

وفي المقام العلمي تدريسه لبعض الأشخاص دروساً دون مقامه العلمي وكذلك قبوله لكتابة بعض المناهج الدراسة لكلية أصول الدين.

وكذلك عدم التباهي بالدرجة العلمية والنبوغ العلمي، إذ لم اسمعه مرة واحدة طيلة هذه المدة أن صدر منه شيء من ذلك.

وأما في القضايا العملية ومصلحة الاسلام فقد أشرت إلى بعض النماذج لذلك من خلال الحديث عن تضحيته وشجاعته، وكذلك اجتنابه لجميع المظاهر الشكلية ذات العلاقة بالزعامة والقيادة والوجاهة الأسرية.

السادس ـ العزة والإباء:

لقد كان الشهيد يتصف بدرجة عالية من العزة والاباء الايماني دون غرور أو تعال أو أنفه أو تكبّر نعوذ با لله.

وقد أشرت إلى بعض الأمثلة سابقاً ومنها إبائه طرح مشكلته المعيشية حتى على خاله المرجع آل ياسين.

ولكن مع ذلك أشير إلى بعض الأمثلة التي عايشتها على شكل سطور.

١ـ الاستنكاف عن القيام بأي عمل يستشعر منه محاولة الانتفاع الخاص المادي أو المعنوي.

ومن ذلك انه قطع درسه الخارج الحبيب إليه سواء في بعده العلمي أو بعده التربوي لطلابه الأعزاء أو بعده العاطفي في لقاءه بأحب الناس إليه بصورة طبيعية، وذلك عندما حاول أن يضغط عليه بعض الأشخاص اجتماعياً ومعنوياً باتهامه بالسعي لكسب بعض الطلبة من ذوي المقامات الاجتماعية لأغراض اجتماعية كما في قضية أخينا الحجة السيد عبد الهادي الشاهرودي الذي كان من الطلاب الجيدين في دراسته وأخلاقه وانتمائه إلى الأسرة الكريمة لآية الله العظمى السيد محمود الشاهرودي.

٢ـ تعرض اخوه آية الله السيد اسماعيل الصدر لمحنة قاسية حيث شرد من موقعه المتميز في الكاظمية وبتهمة ظالمه على يد الشيخ مهدي الخالصي وأعوانه بتحريض من الحكم العارفي ولأغراض سياسية معروفة ترتبط بمرجعية الامام الحكيم، واستمرت هذه المحنة حتى كاد أن يعتريها النسيان وكان يشعر بالألم الشديد من أجلها ولكنه أبى لعزته وكرامته أن يطالب المرجعية الدينية بحلها بطريقة معينة، وقد فاتحني في هذا الأمر وكنت قد اطلعت على موقف سلبي نسبي مبرر تجاه السيد اسماعيل ولكني كنت قد كتمت عليه ذلك إذ قد يسيئه بدون فائدة، ولكنه بقي محتفظاً بجلده وعزته حتى اذن الله بالانفراج للقضية على يد المرجعية الدينية نفسها بعد ازمة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧.

٣ـ كان يتحسس الى درجة عالية من الاشخاص الذين يتعاملون معه من موقع الترفع الاجتماعي، مع ما يتصف به من التواضع والمرونة في التعامل مع الناس.

٤ـ لقد كان من السهل ان تؤخذ منه الاشياء المطلوبة عن طريق المودة والحب ولكن كان من الصعب جداً ان تؤخذ منه تلك الاشياء نفسها عن طريق القوة المعنوية والضغط الاجتماعي والسياسي

٥ـ رفضه للمرجعية التي طرحها عليه النظام العفلقي في الأيام الأخيرة من حياته واغراءاتها وآفاقها الواسعة وذلك عزة وكرامة للمؤمن والاسلام، مضافاً الى المصلحة الاسلامية العليا.

السابع ـ الحياء والخجل:

لقد كان من صفاته الحياء وهي من صفات المؤمنين كاملي الايمان، وقد اشرت الى بعض النماذج التي كان منها صبره على الدرس الذي لا يستفيد منه لانه كان يخجل من الاستاذ الذي طلب منه ذلك.

ويستجيب لكثير من الطلبات المشروعة حياءً وان لم يكن يؤمن بصحة ذلك اذا لم يكن فيه ضرر حتى انه يكاد ان لا يرد سائلاً عنه.

وكنت أشعر أحياناً انه كان يمتنع في البداية عن بعض الممارسات الاجتماعية العادية بسبب هذا الحياء والخجل

الثامن ـ الزهد:

لقد كان الزهد في الدنيا وما فيها من أخلاقه الفاضلة، وكان ذلك ينعكس على مأكله البسيط وملبسه ومسكنه وفراشه، والبساطة في العيش والسلوك المقرون بالاحترام والمودة.

وقد يفسر ذلك بسبب الفقر والحاجة وشظف العيش ولكن هذا التفسير انما يكون معقولاً في بعض مراحل حياته. وأما عندما تحسن وضعه المالي وتطور وضعه الاجتماعي وبقي على حاله في ذلك فلا تفسير لذلك بحسب ما كنت ألمسه منه إلاّ الزهد.

وقد عُرض عليه أن تشترى له دار وهو أمر طبيعي شرعياً واجتماعياً يمارسه جميع العلماء والمراجع بل الطلبة الذين تتهيأ لهم الفرصة ولكنه رفض ذلك زهداً واباءً.

وكذلك أهديت له سيارة ففكر بالاستفادة منها في البداية تسهيلاً لحركته في التردد إلى الكوفة وزيارة كربلاء ليالي الجمعة أو في الانتقال في داخل المدينة التي كان يستأجر سيارة أجرة لها كما هي عادة الناس في ذلك الوقت لقلّة السيارات الخصوصية، ولكنه استشار بعد ذلك في هذا الأمر ثم باعها لينفق أموالها.

وقد بقي متمسكاً بمسكنه المتواضع في محلة العمارة من بعد زواجه وضيق المكان به وبأهله مع تطور وضعه الاجتماعي والمعنوي وهو قادر على تبديله فلم يصنع ذلك حتى تطور الوضع الاجتماعي إلى حد فرض

عليه تغييره إلى مسكن في محلة البراق وهو بيت الحاج شيخ نصر الله الخلخالي، ثم انتقل بعد ذلك إلى مقبرة وبيت آية الله العظمى الشيخ المامقاني في محلة العمارة وهو مسكن كبير نسبياً ولكنه مقبرة معروفة وكانت سكنه حتى شهادته.

ولكنه بالرغم من هذا الزهد كان كريماً في الانفاق وبصورة معتدلة على أهله أو الطلبة أو المشاريع الدينية أو النشاطات الاسلامية عندما تتوفر له الفرصة المالية.

وكذلك كان منفتحاً في نظرته على المستويات المعيشية للآخرين حيث كان يرى من حق طلاب العلوم الدينية أن يحصلوا على وضع طبيعي عادي في الحياة المعيشية، ولا يرى ضرورة التقتير بشأنهم، وهذه الرؤية تنطلق من بعد أخلاقي ومصلحة عامة، كان يرى فيها انّ تطوير وضع الحوزة العلمية وإرفادها بعناصر جيدة يحتاج إلى هذا التطور في الجانب الاقتصادي المعيشي لطلبة الحوزة وبمستوى طبيعي، مضافاً إلى انّ خدمة الاسلام تستحق هذه العناية المالية.

كما انه كان يبدي التذاذه ورغبته في الطعام عندما يكون جيداً واعجابه به عندما يتهيأ له بصورة مناسبة لدى الاحبة والاصدقاء، فهو صاحب ذوق حسن ويتفاعل مع العواطف والاكرام ولكنه يراه شيئاً مؤقتاً لا يستحق الوقوف عنده او الاهتمام البالغ به.

وقد حدثني مرة انه يلتذ بصورة خاصة في امور المعيشة بالقميص

الحسن الذي يلبسه، وبالقلم الجيد الذي يكتب فيه، وأما ما دون ذلك فلم يكن يشعر برغبة خاصة تجاهه.

وقد كان اعظم تعبير له عن هذا الزهد هو زهده بالحياة الدنيا ومقاماتها وزخرفها والآمال العريضة فيها والتي انفتحت عليه هذه الآفاق في مرجعيته في العالم العربي والاسلامي، بل في آفاق ابعد فاختار عليها جوار ربه عزيزاً أبياً شريفاً يسعى لاحياء الدين وايقاظ الضمائر ومقاومة الظلم والطغيان والاستبداد ونصرة الاسلام وأهله.

فخر صريعاً في ميدان الجهاد والتضحية والفداء فنال علو درجة الشهادة التي هي بر ما فوقه بر كما ورد ذلك في الحديث الشريف.

الفصل الرابع

العلاقات الاجتماعية

لقد كان للعلاقات الاجتماعية سواء في دائرة (الأسرة) أو في دائرة (الأصدقاء والتلاميذ) أو في دائرة (العاملين) أو في الدائرة (الاجتماعية) الأوسع موقع خاص في سيرته الذاتية تستحق الوقوف عندها، كما انها تكشف في الوقت نفسه عن بعض الأخلاق والصفات الحميدة الخاصة بالشهيد الصدر (رضوان الله عليه).

العلاقة مع الأسرة:

ففي دائرة الأسرة الخاصة والعائلة كان يقوم الشهيد الصدر (رض) برعاية خاصة فائقة لأسرته بالرغم من انه كان أصغر الولدين الذكرين فيها، وكان يعيش مع أمه وأخته البكر وأخيه وعائلة أخيه في بيت واحد متواضع.

فقد كان يكن لأمه الحب والاحترام بدرجة عالية جداً، حيث كان يلتزم تجاهها بنظام قاسٍ مثل: الإخبار لها عن جميع حركاته وسكناته، مما كان يلفت نظر القريبين له، وكنت في البداية أثير لديه التساؤل عن ذلك، حيث كانت وسائل الاتصال مثل التلفون مفقودة في ذلك الوقت، فيلتزم شخصياً بنظام حديدي في الأوقات والمواعيد والذهاب والاياب بسبب ذلك مما كان يسبب ضيقاً أو حرجاً له في ذلك، ولكنه كان في ذلك يستجيب لطلبها وإلحاحها بسبب عاطفتها القوية وشفقتها الفائقة وما لاقته من فقد للأولاد والزوج.

كما كان يأخذه الاضطراب الشديد أحياناً شفقة وخوفاً عليها عندما كانت تصاب بنوبات من ضيق التنفس المتكررة التي تصبح في الحالات العادية للناس أمراً عادياً بسبب تكرارها، ولكنه بقي (رضوان الله عليه) يحس بذلك الاضطراب إلى آخر عمره حباً بها وشعوراً بالمسؤولية تجاهها وشفقة عليها، وذلك تعبيراً عن العواطف المتأججة في نفسه تجاه الأشخاص الذين يحبهم.

ولعل مرجع ذلك ـ مضافاً إلى طبيعة علاقة البنوة وخصوصية العاطفة المتأججة التي يتصف بها (رضوان الله عليه) ـ إلى أنّ أمه كان لها دور خاص في قراره في سلوك طريق العلم والمعرفة فهو يشعر بحق إضافي خاص لها عليه، وكذلك بسبب إنّ أمه كانت قد فقدت عدة أولاد حتى كانت تعبّر عن ذلك أحياناً بالمبالغة في هذا الأمر بالقول (أني قد ملأت القبور

منهم).

٢ـ كما كان يكن الاحترام الكبير لأخيه الكبير بالرغم من تفوق الشهيد الصدر العلمي عليه واعتراف أخيه له بذلك، مع إنّ أخاه الكبير كان من فضلاء الحوزة العلمية المعروفين بالفضل والاجتهاد والتدريس وانشغال الشهيد الصدر بصورة دائمة بالعمل العلمي.

ولم يكتف بذلك الاحترام حتى انه كان يشعر ويقوم بمسؤولية الرعاية لأخيه الكبير ويقوم تجاهه بذلك من رعاية مادية، واجتماعية، ومعنوية، له ولعائلته، حيث كانت تشمله رعاية البيت ـ كلّه ـ المادية والتفكير بشأنه وموقعه الاجتماعي.

وكان للشهيد الصدر (رض) الدور الرئيس في تهيئة ظروف انتقاله إلى مدينة (الكاظمين) ورعاية وضعه الاجتماعي فيها هناك وتسديده بالقول والتخطيط والعمل والزيارة والاسناد، وكان أخوه يبادله الحب والاحترام الفائقين بحيث يشعر الانسان بوحدتهما مع وجود الفوارق العديدة في شخصيتهما الذاتية وطريقة العمل والتفكير واسلوب الحياة الاجتماعية والشخصية.

ولا أشك انّ لأخلاق الشهيد الصدر الفاضلة ولصفاته الحميدة وإلتزامه الأدبي والأخلاقي بمبدأ هذه الرعاية الدور الأهم في المحافظة على هذه الصورة، حيث كان يتحمل القسط الأوفر من التضحية في الجانب الشخصي والنفسي والجهد العملي، وكأنه هو المسؤول الأول في البيت

مع المحافظة على الصورة الظاهرية لموقع ومسؤولية الأخ الأكبر.

وقد كان لطبيعة وطهارة قلب أخيه آية الله السيد اسماعيل وسلوكه العام حسب سجيته وأخلاقه الاجتماعية العالية وتواضعه المقرون بالذكاء الحاد الذي يعبّر من خلاله عن سجيته وملاحظاته، دور مهم في إكمال الصورة واستقبال الشهيد الصدر (رض) لذلك بعقله وعواطفه.

العلاقة مع الأصدقاء:

وأما في دائرة الأصدقاء فانّ الشهيد الصدر (رض) كان يعطي للصداقة معاني أخلاقية ووجدانية لم أر نظيراً لها في حياتي على سعة دائرة الممارسة والمراقبة، فهو يرى الصداقة عبارة عن علاقة ورابطة متينة لا تقل إن لم تفضل على علاقات الأخوة النسبية، كما انه يراها مجموعة من الحقوق المتبادلة التي عبّر عنها الشارع المقدس في علاقة الأخوة الايمانية، ولكن هذه الحقوق المتبادلة هي حقوق تطوعية قد تكون من جانب واحد في مدياتها المادية، وهو ما يعبّر عنه الشارع المقدس بالمواساة له، ولكنه يطالب بالحاح أن تكون من الجانبين في مدياتها المعنوية والعاطفية.

وأما في الحالة الوجدانية، فقد كان يتحول الشهيد الصدر في الصداقة إلى ما نسمعه عن العشاق الهائمين، فهو يسمح لنفسه أن يبكي لفراق الصديق أو لقاءه حتى النحيب، كما يصنع ذلك عند إعراضه عنه، أو حتى عند احتمال وجود هذا الاعراض ويصاب بالصدمة والاحباط الشديدين بسبب ذلك، بل قد يصاب بالمرض أحياناً.

ويقوم بمناجاة الصديق وبث عواطفه ومشاعره وشجونه له في جلسات روحية وعاطفية وفكرية طويلة يستغرق ساعات حتى لا يشعر الانسان فيها بذهاب الوقت الثمين العزيز، وكان ذلك يثير الاستغراب للقريبين من حوله الذين يعرفون ذلك، ولكن في احترام وتقدير لهذا الوجد الصادق النابع من القلب والممزوج بالود والحب والمشاعر النبيلة والتهذيب العالي والقيم والأهداف الصالحة.

ويقوم أحياناً ببث عواطفه ومشاعره وشجونه الجياشة على الورق عندما لا يجد فرصة مناسبة لذلك في اللقاء الحضوري والحديث الشفهي.

ولا أقول ذلك مبالغة، بل عشت ذلك ممارسة لمدة لا تقل عن عشر سنوات، ولديَّ بعض الذكريات والرسائل المعبّرة عن ذلك ولازلت أعتقد انها من أعزّ ما أملكه من مادة ومعنى بعد الايمان والاسلام، كما لازلت عندما أعيد قراءتها أحياناً أشعر بالسلوة والتصاغر أمام هذه العواطف والمشاعر الجياشة. ولم تكن هذه العواطف والمشاعر وهذا الود، بل (الوجد) فارغاً أو عن فراغ، بل كان دائماً مليئاً ـ كما أشرت ـ بالمعاني السامية والتهذيب العالي والعمل المتواصل والوفاء، ولذا كان العمل معه في تلك المرحلة يعتبر لذة ما بعدها من لذلة.

كما لم تكن الصداقة عن فراغ فهو يختار أصدقاءه دائماً انطلاقاً من معاني الخير في المواصفات والأهداف والمشاعر والأعمال أو بعضها، وقد يخطئ أو يصيب، ولكن منطلقه ـ على أي حال ـ هو ذلك.

وأشير إلى بعض الحوادث البسيطة في علاقات صداقته معي:

١ـ في أثناء المد الشيوعي في العراق في شتاء سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ حيثُ كانت أزقة النجف الأشرف تمتلأ في كل قواطع طرقاتها بمن يسمون أنفسهم (حراس الجمهورية) يتربصون بالمؤمنين الدوائر، وكان الشهيد الصدر يكتب في ذلك الوقت كتاب (فلسفتنا) فكنت أذهب إليه بعد الظهر لمراجعة الكتاب، وعندما ننتهي من ذلك كان يذهب بنا الحديث مذاهب شتى في جو من العواطف والحب حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والحوزوية والحركية، حيث كنا قد أسسنا الحركة الاسلامية المنظمة وساهمنا في اسناد ودعم جماعة العلماء وتصدي المرجعية الدينية والحوزة العلمية للقضايا العامة.. فيطول الحديث بنا حتى ينتصف الليل وتخلو الأزقة من المارة إلاّ هؤلاء الأوغاد، ونحن لا نشعر بذلك، فأخرج من بيته إلى بيتنا القريب نسبياً، وكنت أسكن في بيت المرحوم الامام الحكيم حينذاك، كما كنت حديث العهد بالزواج، ويخضع بيت الامام الحكيم للمراقبة المشددة من قبل هؤلاء والأشخاص وأطوي الطريق وعيون الأوغاد تكاد أن تلتهمني قبل عصيهم وأسلحتهم، وأصل البيت وأهل البيت قد ناموا إلاّ زوجتي المسكينة أجدها تنتظرني على النافذة المطلة على الشارع وهي ترقب الطريق لوقت طويل، وألقى العتاب منها وأعتذر بالعمل والمسؤولية فتصبر على ذلك، ويتكرر هذا الأمر باستمرار.

٢ـ في احدى ليالي الصيف وكنت عند الشهيد الصدر في الزيارة الاعتيادية التي أقوم بها له يومياً فيدخل الليل ويطول الحديث، وزوجتي في حالة الطلق والولادة، وأنسى ذلك ويطلع الفجر وأذهب إلى البيت وأرى زوجتي في حيرة بالغة من أمرها لا تدري ما تصنع وهي وحدها مع ثلاثة من أطفالها الصغار، ولم يكن لدينا أداة اتصال (تلفون) وأواجه هذا الحرج الشديد وأعتذر بالعمل والمسؤولية ولم أكن كاذباً في ذلك وهي تكاد أن لا تتفهم ذلك وتصبر عليه.

٣ـ كانت للشهيد الصدر علاقة صداقة قوية مع بعض الأصدقاء ولكنها تصدعت فأصيب بالاحباط بسبب ذلك وولّد لدى الشهيد الصدر إحساساً ـ كما ذكر ذلك لي ـ بالخوف من تكرار هذه التجربة مع صديق آخر، ولذا كان يحرص أشد الحرص في متابعة الأمور الصغيرة التي تطرأ أحياناً على العلاقة من غيبة أو انقطاع أو عدم انشراح أو احتمال وجود انفعال سلبي ولو بسيط وما أشبه ذلك، وفي هذا الحرص الشديد والمتابعة يحس الانسان انّ الأمر الصغير أصبح لدى الشهيد الصدر أمراً كبيراً وذلك بسبب الاحساس الوجداني العالي بحب الصديق وأهمية المحافظة على الصداقة.

٤ـ لقد طرحت عليه يوماً هذا السؤال انه لماذا لا يحضر درس الخارج

للامام الحكيم[٢٢] ويحضـر درس الخـارج للامـام الخوئـي، وكـان يعـني انّ الحضور إذا كان للتكريم أو التشريف (لأنه قد استغنى عن الحاجة العلمية للحضور وكان يدِّرس بحوث الخارج حينذاك) فدرس الامام الحكيـم أولى بذلك لما أعرفه من موقع للامام الحكيم في نفسه، فذكر انّ حضوره لـدى الامام الخوئي انما هو وفاءً له لأنه لا يمكن أن يقدم خدمـة للامـام الخوئـي إلاّ من خـلال هـذا الحضـور، حيـث انّ موقفـه وعملـه كـان إلى جـانب مرجعية الامام الحكيم حينذاك، واستدرك انه إذا كنت ترغب بذلـك فأنـا علـى استعداد للحضـور في درس الامـام الحكيـم فـاعتذرت منـه في هـذا الحديث ولم أذكر له رغبتـي في حضوره.

٥ـ لقد طلبت منه يوماً أن أدرس لديه بعض الكتب الفقهية على مستوى السطح وكـان في ذلـك الوقـت يـدرس الخـارج ونحـن نحضـر لديـه درس الخارج أصولاً ولم يكن يدرس في ذلك الوقـت بحـوث السـطح، كمـا انّ مستواه العلمي والاجتماعي كـان يفـوق ذلـك، فبـادر للقبـول وباشـر في ذلك دون الباقين، مع ما كان يكلفه ذلك من وقـت ثمـين، مـع انـه كـان يمكن أن أحصل على هذا الدرس لدى أساتذه آخرين، ولكـن شـدة الـود

---

(٢٢) الامام الحكيم كان المرجـع العـام المتصـدي للفتيـا والعمـل الاجتمـاعي وكـان للشهيد الصدر تجاهه مودة واحترام بالغين، والدراسة في النجف الأشـرف لهـا ثـلاث مراحلة في كل مرحلة عدة درجات، الأولى هي مرحلة المقدمات والثانية هـي مرحلة السطوح أو (السطح) والثالثة هي مرحلة (الخارج) وهي مرحلة الاجتهاد.

والحب والرغبة في اللقاء المستمر أوجد هذه الرغبة لديّ والقبول لديه.

٦ـ وقد صنع ذلك أيضاً لنفس السبب من جانبه ورعاية لحال الأخ الشهيد السيد مهدي (ره) عندما طلب منه ذلك أيضاً.

٧ـ لقد درس لديّ بعض الطلبة الجزء الأول من كفاية الأصول من أوله إلى آخره وهو من دروس السطح العالي وكان من الطلبة المشتغلين المحصلين، وكان يلح عليَّ في الدرس حتى في أوقات التعطيل، وكنت أستجيب له باستمرار إلى أن أنهى الكتاب، وبعد مدة سمعت بأنه كان يذكر في بعض المجالس عدم استفادته الكاملة من هذا الدرس، فأحسست بالمسؤولية المعنوية تجاه هذا الموضوع، فطلبت من الشهيد الصدر أن يعطيه فرصة لإعادة البحث لديه وكان الشهيد الصدر يدرس الخارج حينذاك وانقطع عن تدريس السطح و لم تكن علاقته بهذا الشخص جيدة، ولكنه وافق حباً واستجابة للصداقة وهو أمر غريب، ثم وقعت بعض الملابسات جعلت الشهيد الصدر يفكر بقطع البحث مع هذا الشخص لأنه كان يتعامل معه بطريقة مؤذية لم يوضحها الشهيد الصدر حفظاً لكرامة هذا الانسان وتورعاً، ولكنه لم يقطع تدريسه حتى استأذنني في ذلك، وهذا يمثل منتهى الأدب والوفاء والحب.

٨ـ لقد ابتلاني الله تعالى بالسجن في العراق والحكم عليَّ بالسجن المؤبد في قضية زيارة الامام الحسين (ع) يوم الأربعين من شهر صفر وهي قضية معروفة، وكان السبب الظاهري فيها للقضية هو انّ الشهيد الصدر كان

قد كلفني بالقيام بمهمة الوساطة بين الحكومة والزائرين بعد أن أخبرته السلطة تراجعها عن موقفها في منع الزيارة للامام الحسين (ع) مشياً على الأقدام، وذلك لأن الشهيد كان يريد أن يحفظ هذه الشعائر وكان يرى في هذا التراجع للسلطة عن موقفها نصراً للشعائر وفي ممارسة الزيارة بدون اصطدام سحباً للمبررات والذرائع التي تريد السلطة أن تختلقها لضرب الشعائر. وكنت أرى انّ الحكومة تريد أن تناور في ذلك وليس لديها حسن النية خصوصاً وانّ الدماء كانت قد جرت بين السلطة والناس من ناحية وإنّ بعض الزائرين قد أصبح في حالة شديدة من الانفعال بحيث رفض مقابلة وفد آخر أرسلته الحكومة من كربلاء للتفاوض معهم، فأرادت السلطة أن تستغل ذلك لإختلاق مبرر جديد لضرب الزائرين، ولم يكن من الواضح مدى استجابة الزائرين لمثل هذا الطلب، ولكنه أصر على الموضوع فقبلت تحمل المسؤولية ولاسيما واني استأذنته بالاستخارة فوافق عليها وخرجت الاستخارة جيدة، فقمت بالمهمة وتوفقت فيها بدرجة أحرجت السلطة وثبتت الشعائر الدينية فتراجعت السلطة عن موقفها علناً ثم كان ما كان من أحداث اعتقال وإعدام وتعذيب وسجن ونقض للعهود والمواثيق من قبل الحكومة على عادتها في القضية المعروفة بانتفاضة صفر، وقد كتبت للشهيد الصدر رسالة أحدثه فيها ما جرى عليَّ في السجن سلمتها للعائلة سراً عند أول لقاء معهم والذي تم تحت نظر ومراقبة الحكومة، ولكن بصورة سرية لم

ينتبهوا إليها، فأصيب بنوبة من البكاء والحزن الشديد.. وبقي الشهيد يقوم يومياً ـ كما حدثتني العائلة ـ بزيارتهم إلى البيت فيجلس في الباب لمدة من الزمن يسأل الأحوال ويتحدث إلى الأطفال ويسلّيهم ثم لم يكتف بذلك حتى سافر إلى البيت الحرام للعمرة وكان أحد أهدافه في ذلك هو التوسل في البيت والتعلّق بأستار الكعبة والدعاء في المسجد النبوي وفي حضرة النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) لإطلاق سراحي وكان أن استجاب الله دعائه فأطلق سراحنا بعد رجوعه بأقل من اسبوعين.

٩ـ لقد كتب الشهيد الصدر كتاب فلسفتنا المعروف وكنت أراجع الكتاب معه لتقويم النص ووضع العناوين ومناقشة بعض الأفكار فيه وغير ذلك من الأمور التكميلية ولم يكن يخطر ببالي أن يذكر الشهيد الصدر شيئاً من ذلك، ولكن فوجئت عند مراجعتي لمسودة الطبع عند تصحيحها انه قد ذكر أسمي في المقدمة التي كتبها في آخر مدة الطبع شاكراً عملي وجهدي، وقد فاجئني بذلك لأنه دوّنه في التصحيح الثالث للمسودات، ولكني قمت بحذف ذلك من المقدمة آملاً بالمزيد من الثواب وتعبيراً عن الحب والاخلاص، وفوجئ عند طبع الكتاب بعدم وجود هذه الفقرة من الكتاب، فلم يحدثني بشيء حتى كان طبع كتابه (اقتصادنا) الذي بذلت فيه جهداً هو أقل من جهدي في (فلسفتنا) فلم يذكر الشهيد الصدر اسمي عند مراجعتي للمسودات ولم أكن أتوقع ذلك أيضاً، حتى فوجئت بالكتاب عند صدوره انه قد أورد اسمي بالمقدمة، فسألته عن ذلك وانه

كيف كان مع انه لم يكن موجوداً عند مراجعتي له للتصحيح، فذكر بأنه طلب من عامل المطبعة أن لا يمر عليَّ في تصحيح الملزمة الأخيرة في النوبة الثالثة لها والتي كانت فيها المقدمة لئلا أحذف الاسم كما صنعت في كتاب (فلسفتنا)!!

١٠ـ يذكر الشهيد في بعض رسائله التي كتبها لي جواباً على رسائلي بعض مشاعره في انتظار رسالتي وكيفية قراءتها واعادة قراءتها...إلخ مما يعبّر عن حس وجداني صاف وطاهر ورقيق لم أشاهده في حياتي كلها من أي أحد من المقربين لي أو من غيرهم.

انّ هذه الأمثلة وغيرها كثير، وكل واحد منها وإن كان لا يشكل أمراً مهماً، ولكنها عندما تتحول إلى سلوك وملكة في الانسان بعيداً عن كل شوائب الرياء أو المصالح أو الانفعالات الآنية، تتحول إلى معانٍ سامية في مضمون الصداقة ومدلولها الانساني الاجتماعي والاسلامي القيمي والأخلاقي والتكاملي، وتصبح تجسيداً لبعض المعاني الأخلاقية والسلوكية والعقائدية، وذلك عندما يتحول السلوك الراقي في الانسان إلى طبيعة يمارسها كحالة عادية لا تحتاج إلى عناء من ناحية ويعاني من أجلها من ناحية أخرى، وهذا هو ما يمكن أن نفسّر به ملكة العصمة في الأنبياء والأئمة والأولياء عندما تتحول كل معاني الخير والصلاح إلى صفة سلوكية ثابتة مقبولة وكل معاني الشر والفساد إلى أشياء مرفوضة ومبغوضة.

العلاقة الاجتماعية الهادفـة:

لقد كان الشهيد الصدر (قده) يهتم اهتماماً بالغـاً في مرحلـة التصـدي للتدريس والعمل الاجتماعي بما أسميه بالعلاقات الاجتماعية الهادفة، حيث كان يخضع علاقاته إلى الأهداف الصالحة التي يتبناها، مع قطع النظر عمـا ذكرتـه في علاقـة الصداقـة المحـدودة الـتي كـانت تعبّر عـن رغبـة عميقـة ومشاعر انسانية طاهرة يحاول أن يجسّدها في هذه الصداقة ـ فانّ للصداقـة أحكامها وخصوصياتها، أما في خارج هذا الاطار فكانت العلاقة محسـوبة بصورة دقيقة، ويمكن أن أشير إلى بعدين فيها: أحدهمـا الاطـار، والآخـر الأهداف.

أما بُعد الاطار، فقد كـان (رضـوان ا لله عليـه) يحـاول أن تكـون هـذه العلاقة قائمة في اطار:

أ ـ الحب والود والمشاعر الطيبـة الـتي قـد تتحـول بعـد ذلـك إلى صداقـة بالمعنى الأخص لها.

ب ـ الاحترام المتبادل، والخلق الاسلامي في التواضع، والاخلاص، والعـزّة والكرامة للمؤمن.

ج ـ البسـاطة والسـهولة في الأخـذ والعطـاء والوسـائل المعـبّرة عـن هـذه العلاقات والحديث المتبادل فيها وفي تكوين العلاقة نفسها.

وأما بُعد الأهداف.. فقد كـانت الأهـداف الاسـلامية العليـا هـي الـتي تحكم هذه العلاقات، مثل تطوير وتنمية واصلاح الحوزة العلمية، وإبـلاغ

وترويج الرسالة الاسلامية والدفاع عنها وتنظيم العمل من أجلها، والاصلاح بين الناس، ومقاومة الشر والفساد، والمحافظة على الشعائر الاسلامية، والبنية الأخلاقية الاجتماعية، والرؤية المستقبلية للحركة الاسلامية، وتعبئة طاقات الأمة في سبيل ذلك، وتيسير فرص العمل الاسلامي، وتجسيد معاني الأخلاق الاسلامية في العلاقات الاجتماعية.

ولذلك كان يهتم بنوع خاص في الأوساط الاجتماعية ذات العلاقة بهذه الأهداف مثل:

١ـ وسط الحوزة العلمية ولاسيما الطلاب الجدد الذين يكونون أكثر تقبلاً وتفاعلاً مع حركة الاصلاح والتنمية، والمهاجرين الذين يكون لهم دور كبير عادة في تحمل نشر وتوسعة دائرة هذه الحركة، وكذلك الطلبة المجدِّين الذين يمكن أن يكون لهم دور خاص في إحكام بناء الحوزة العلمية واستمرار خط الاجتهاد والاصلاح فيها، وكان يرى للحوزة العلمية الدور الرئيس في عملية الاصلاح العام، فاصلاحها سوف يحقق بصورة فعّالة الاصلاح العام في الأمة ولاسيما في المرحلة الأخيرة من تطور نظريته السياسية الاجتماعية.

٢ـ الوسط العامل والمتحرك في الأمة سواء من أبناء الحركة الاسلامية المنظمة، أو من العناصر المتحركة الفعّالة في وسط المساجد والحسينيات أو في أوساط المدارس والجامعات والمؤسسات والذين كان يعبّر عنها بمفاتيح العمل الاجتماعي، لما لهذا الوسط من دور كبير في تحقيق الأهداف.

٣ـ وسط الشباب الذي يمثل المستقبل لكل أمة، وكما انّ الشباب بصورة عامة هم الطاقة المتحركة والمتفجرة ـ عادة ـ في المجتمع الانساني، والأكثر فرصة للعمل وفراغاً في الوقت وتلقياً للأفكار الاصلاحية، والأكثر استعداداً للتضحية والفداء.

٤ـ وسط المثقفين والجامعيين لما لهذا الوسط من قدرة على التأثير والانتشار والنفوذ في مختلف قطاعات المجتمع بسبب ما يتمتع به من مستوى ثقافي ومعرفي وحضور في الادارة الاجتماعية والتربية العامة والقدرة على العطاء والتوجيه.

٥ـ وسط النساء والمرأة الذي يمثل نصف المجتمع، وكان يحتاج إلى جهد استثنائي لتطويره وتفعيل دوره في الأمة، وهو وسط محروم وبعيد عن النشاطات الاجتماعية العامة والثقافية الدينية، ويصعب ايجاد العلاقات الاجتماعية العامة معه بسبب العوائق الدينية والاجتماعية والعوائق الخاصة، لذا كان دور الشهيدة بنت الهدى (رض) يمثل واسطة العقد في هذه العلاقة الاجتماعية الهادفة وكان يشجعها ويحثّها على القيام بهذا الدور.

وكان رضوان الله عليه يستخدم كل طاقته الفكرية، والأخلاقية، والروحية ويبذل جهده ووقته لتكوين وتيسير هذه العلاقة الاجتماعية العامة.

وقد كان هذا النوع من العلاقة قد تكوَّن في حياة الشهيد الصدر ـ

حسب علمي - في مرحلة متأخرة نسبياً وهي مرحلة التصدي للعمل الاجتماعي بعد اكتمال الجانب العلمي فيه وما قارنه من جانب سلوكي وأخلاقي وبعد تجارب التدريس المحدودة والصداقة المحدودة أيضاً.

فقد كان اتصالي بالشهيد الصدر عندما كان عمره حوالي اثنين وعشرين عاماً، ولم أكن أر أنّ له علاقات اجتماعية خارج دائرة الأسرة، والأصدقاء والدرس المحدود، بالرغم من انتمائه إلى أسرتين علميتين معروفتين عريقتين ومنتشرتين في النجف والكاظميين وقم ولبنان، إلى جانب مرجعية خاله آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين وديوانية خاله الآخر الشيخ مرتضى آل ياسين، وذلك على خلاف أخيه آية الله السيد اسماعيل الصدر الذي كان له علاقات اجتماعية جيدة واسعة نسبياً.

العلاقات الاجتماعية الواسعة:

لقد كان الشهيد الصدر (رض) لا يتصف بالميل إلى العلاقات الاجتماعية العامة كما ذكرت سابقاً، بل يمكن أن أقول بأنه كان يتصف من الناحية النفسية بشيء من السلبية تجاهها، ولعل ذلك بسبب حركته العلمية واستغراقه فيها، أو بسبب ما كان يتصف به من حياء فطري، أو بسبب ظروفه الاجتماعية القاسية التي أشرت إلى بعض أبعادها في الفصل الأول من الحديث، أو بسبب زهده فيها ورؤيته بأنها مضيعة للوقت، أو معرض للمشكلات الأخلاقية والاجتماعية، أو غير ذلك من الأسباب أو

بعضها أو جميعها، ولكنها هي الحقيقة. وقد صرّح لي بذلك، وأنه لو ترك وشأنه ولم يكن يشعر بمسؤولية خاصة تجاه هذه العلاقات، لتفرغ للتفكير والعلم دون أي رغبة في هذه العلاقات.

ولذلك لم يكن الشهيد الصدر (رض) في بداية حياته وحتى عنفوان شبابه يمارس العلاقات الاجتماعية المعروفة في الحوزة إلاّ بقدر محدود جداً، وهذه العلاقات المعروفة هي: حضور مجالس الفاتحة بصورة واسعة، أو حضور مجالس التعزية بصورة عامة، أو التردد على الديوانيات وحضور المناسبات الاجتماعية العامة. فضلاً عن اقامته للمجالس المذكورة أو فتحه منزله للزائرين أو غير ذلك من الفعاليات الاجتماعية، ولذلك يمكن أن نعبّر عنه انه كان منطوياً على نفسه اجتماعياً.

وكان هذا السلوك يشوّش الصورة في أذهان بعض الناس البعيدين عنه، كما كان سبباً في خسارة القاعدة الاجتماعية الواسعة التي كان لها علاقات مع أسرتيه أو الأشخاص الذين يهتمون بهذا السلوك الاجتماعي ويرونه أساساً في مواقفهم وحركتهم.

ولكنه في مرحلة متأخرة من حياته بدأ الشهيد الصدر (رض) يهتم بصورة أكيدة بهذا الجانب، وذلك عندما تصدى للعمل المرجعي والاجتماعي العام فأسس له مجلساً اسبوعياً على الطريقة التقليدية تحضره وجوه اجتماعية وتقليدية ولقاءً اسبوعياً في يوم الجمعة مع الزائرين لمدينة النجف الأشرف المقدسة التي يسكن فيها، أو المرتادين على ديوانه، كما

خصص وقتاً يومياً يفتحه للزائرين، وأيام خاصة يعقد فيها المجالس العامة مثل مناسبة وفاة الامام موسى الكاظم عليه السلام، كما أخذ يقوم بحضور وارتياد المجالس العامة، كالتعازي الحسينية الخاصة في المناسبات أو الدورية، ومجالس الفاتحة التي تقام للتعزية بفقد الأشخاص، وزيارة القادمين إلى النجف من العلماء والشخصيات...إلخ.

والسبب في ذلك هو وجود تحولين في مسيرة حياته.

أحدهما نظري، والآخر عملي.

أما التحول النظري فهو أنه بدأ ينظر إلى هذا النوع من السلوك نظرة ايجابية، وأنه يمثل منهجاً مهماً في العمل المرجعي الاجتماعي حتى أنه ذهب في نظريته في المرجعية الموضوعية إلى اعطاء دور خاص للديوانيات (البرانيات) الحوزوية للقيام بمهمات خاصة اجتماعية وسياسية في اطار المرجعية الدينية العامة وانها مؤسسات وأدوات وأجهزة مهمة في العمل الاجتماعي المرجعي العام.

وأما التحول العملي، فهو انّ التصدي للعمل المرجعي كان يفرض ضمن أدواته الطبيعية هذا النوع الواسع من العلاقات الاجتماعية لتجسيد وايجاد فرصة اللقاء المباشر مع الأمة، وهو أمر ضروري في المراجع الدينيين[٢٣]، وكذلك للاستفادة من هذه الطاقات الاجتماعية وتوظيفها

---

(٢٣) النظرية المرجعية العامة تفرض ـ كما شرحنا ذلك في كتابنا دور أهل البيت

في خدمة العمل المرجعي الاسلامي الصحيح.

مضافاً إلى ايجاد قاعدة وحصانة اجتماعية للمرجعية الصالحة أمام أعداءها التقليديين من المتخلفين أو المتطرفين أو أعداءها أعداء الدين الذين يحاولون دائماً عزل المرجعية عن الأمة ومحاصرتها لإسقاطها.

ولم يكتف الشهيد الصدر (رض) في هذا المجال بالأساليب التقليدية التي كان يحرص أيضاً على ممارستها، بل حاول أن يطوّر الأساليب في هذا المجال للانسجام مع التطور العام في أوضاع الأمة الثقافية والاجتماعية، وذلك من خلال الزيارات التي كان يقوم بها إلى الكاظمية، وكربلاء، ولبنان، وغيرها ليوجد بذلك شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية والثقافية العامة أو الهادفة، أو من خلال اسناد المؤسسات الاسلامية العاملة مثل جمعية الصندوق الخيري، والرابطة الأدبية وجماعة العلماء، والحركة الاسلامية المنظمة وغيرها، وتوثيق الصلة معها، أو من خلال المشاركة بالقاء المحاضرات وإرسال الكلمات في الندوات الثقافية والاحتفالات والمؤتمرات أو إرسال المندوبين والممثلين للمشاركة فيها، أو التصدي بصورة عامة للإصلاحات في الحوزة العلمية أو الدفاع عنها، أو الدفاع عن الشعائر الحسينية إلى غير ذلك من الممارسات التي تحتاج إلى

(ع) في بناء الجماعة الصالحة ـ نوعين من العلاقة بين المرجع والأمة: الأول العلاقة المباشرة والأخرى العلاقة غير المباشرة عن طريق الوكلاء والمعتمدين، وكلا العلاقتين ضرورتين ومتوازيتين.

تتبع واستقصاء في حياته وهي كثيرة.

وبعض هذه الوسائل وإن كانت معروفة هنا وهناك وقد سبقه إليها بعض المراجع أو الشخصيات العلمية أو المؤسسات الاجتماعية، ولكنه حاول أن يجمع بينها من ناحية، وأن يوسّع دائرتها من ناحية أخرى، ويتصدى إليها بمبادرات خاصة وفي بداية مرجعيته من ناحية ثالثة، ويعطيها مضموناً فكرياً وثقافياً واصلاحياً من ناحية رابعة.

وبذلك نتبين:

١ـ انّ العلاقة الاجتماعية في حياة الشهيد الصدر كانت متطورة باستمرار في مضمونها وسعة دائرتها وتنوعها.

٢ـ كانت أيضاً ذات مضمون أخلاقي وعملي وعاطفي.

٣ـ تمثل بكل أبعادها مبدأ من المبادئ النظرية في رؤية الشهيد الاسلامية في العمل الاجتماعي.

٤ـ هي صفة واضحة ترتبط بالسيرة الذاتية والعملية للشهيد الصدر (رض).

* * * * *

* * *

*

كلمة أخيرة

لقد كرّس ووظّف شهيدنا الصدر حياته كلّها في خدمة الاسلام والمسلمين بصورة منظمة ودقيقة وضمن منهاج عام منطلقاً في ذلك من التجربة والمعاناة، ومن الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، ومن التقوى والاخلاص والتضحية، ومن الرؤية الواضحة للأهداف المقدسة النبيلة، والعلم والمعرفة بالرسالية الاسلامية، ونال بذلك عالي الدرجات في العلم والعمل ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾، وضرب مثالاً رائعاً للإنسان المؤمن، سواءً في علمه أو عواطفه أو علاقاته الاجتماعية، أو في تحمله للمسؤولية تجاه شعبه، أو في رفض الظلم والطغيان، حتى وصل إلى قمّة عطاءه في مواجهة حكم العفالقة المجرمين، حين تضرّج بدماءه واستشهد في سبيل ذلك.

وكان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من جمادي الأولى عام ١٤٠٠هـ الموافق الثامن من نيسان ١٩٨٠م على يد هؤلاء المجرمين الذين أرادوا أن يحتفلوا في أيام تأسيس حزبهم المشؤوم باراقة هذا الدم الطاهر الزكي ليكون ذلك وصمة عار وخزي لهم إلى يوم يبعثون، كما استشهدت معه أخته الفاضلة العالمة التقية النقية العلوية بنت الهدى آمنة الصدر، وسار

على هذا الطريق ركب الشهداء والمجاهدين والمعذبين في سبيل الله ليبلغوا مدارج الكمال الالهي ويحققوا سعادة الدنيا والآخرة.

فسلام عليهما يوم ولدا، ويوم استشهدا، ويوم يبعثان أحياءٌ عند ربهم يرزقون.

ونسأله تعالى أن يوفقنا للأخذ بثأرهم ثأر الله والتأسي بهم وأن يرزقنا عاقبتهم وأن يحقق النصر للمؤمنين..

والحمد لله رب العالمين.

١٨ شوال **محمد باقر الحكيم**

١٤٢١هـ

«الجزء الثاني»

الإمام
الشهيد الصدر (رض)

التفسير والشخصية العلمية

الفصل الأول

الأبعاد العلمية في شخصية الشهيد الصدر (رض) [1]

---

(١) أُلقي هذا البحث في الندوة التي عقدها المجمع العلمي للشهيد الصدر حول الشهيد الصدر (رض) سنة ١٤٠٨هـ .

تمهيد:

عندما نحاول أن نتناول شخصية الشهيد الصدر العلمية في أحد جوانبها وهو التفسير، لابد أن نشير منذ البداية بصورة اجمالية إلى الأبعاد المختلفة التي كانت تتصف بها شخصيته العلمية لتكون الصورة واضحة تجاه الأعمال التفسيرية التي قام بانجازها الشهيد الصدر(رض)[٢].

وهذه الأبعاد ذات اتجاهات متعددة إذ ترتبط بجوانب: الشمول، والعمق، والواقع، والشكل، والمضمون. بالاضافة إلى الظروف والعوامل المضادة التي اقترنت بها حياته العلمية منذ البداية والتي تلقى بظلالها على شخصيته العلمية.

ولذلك أعتقد انّ الاحاطة بتفاصيل تأريخ ونشاطات شهيدنا (قدس سره) لها دور في تقييم شخصيته العلمية.

ولكن سوف أقتصر هنا على الاشارة إلى بعض هذه الأبعاد التي سوف يكون لها مساهمة في توضيح الصورة ضمن النقاط التالية:

---

(٢) لا بد أن أؤكد هنا انّ هذه الكتابة تمثل اثارة فقط حول هذا الجانب من شخصيته العلمية ولا بد من دراسة تفصيلية مستوعبة لكل أعماله في مجال القرآن والتفسير لتتكون الصورة الكاملة في هذا المجال، علماً انّ المبادرة لعقد هذه الندوة كانت ضرورية ولكنها كانت أيضاً عاجلة ولذا لم تتوفر الفرصة الكافية على الأقل لاستيعاب هذا الجانب في البحث.

السعة والشمول

١ـ لقد شملت فعاليات الشهيد الصدر العلمية عموم العلوم الاسلامية ذات العلاقة بالعقيدة الاسلامية والشريعة الاسلامية والمجتمع الاسلامي.

وعلى نحو الاجمال فقد تناولت بالبحث: الفقه، والاصول، والفلسفة، والعقائد، والتفسير، والحديث، والرجال، والتاريخ الاسلامي، وفلسفة التاريخ، والمنطق، والنظام الاسلامي، والاقتصاد السياسي، والمجتمع الاسلامي، والأخلاق، والسياسة.

وقد كان تناوله لهذه الموضوعات بصورة مستقلة أحياناً وفي ضمن الأبحاث الأخرى أحياناً أخرى، كما كان يتناول الموضوع الواحد من خلال أبعاد متعددة ليعطي للشمول سعة وانطلاقاً وعمقاً.

كما انه كان يلاحق ـ في بعض الأعمال على الأقل كالأعمال الفقهية والأصولية والفلسفية والمنطقية ـ تفاصيل النظريات العلمية، ويقدّم التصورات العديدة حولها.

ولذا أعتقد اننا بحاجة إلى عمل علمي وتنظيمي لفرز الكثير من المفردات وتنظيمها أو تبويبها لابراز هذا البعد في أعمال الشهيد الصدر من ناحية وتيسير الاستفادة من جهوده العلمية من ناحية أخرى.

التحقيق والتجديد والحاجة

٢ـ ولم يهتم الشهيد الصدر بالشمول كهدف ـ كما هو الحال في كثير من أعمال العلماء السابقين ـ، وانما كان العمق في التناول للموضوعات والتجديد فيها هو الهدف الأساس من وراء مختلف الأبحاث التي كتبها الشهيد الصدر بحيث يلاحظ الباحث والمطالع لها الشيء الجديد دائماً أو العرض الجديد أو النكهة الجديدة على الأقل.

بالاضافة إلى انه كان يحاول أن يفتش في أبحاثه عن نقاط الفراغ في هذه الأبحاث ليملأها ويثري بذلك الأبحاث الاسلامية ويتابع الحاجات الفكرية والثقافية القائمة ليسدها.

وهذا في الواقع أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت الأعمال العلمية للشهيد الصدر موضع الاهتمام والاقبال عليها في الأوساط العلمية والاجتماعية والسياسية المختلفة، وأصبحت بمجموعها تمثل مدرسة في المضمون والمنهج.

استكشاف النظرية إلى جانب التفصيل

٣ـ ولم يكتف الشهيد الصدر بالعمق كهدف أساس، بل وضع إلى جانبه هدفاً آخر كان يسعى إليه وهو استكشاف النظريات العامة التي يمكن أن تنظم وتفسّر مجموعة من المفردات وتكون قاعدة يعتمد عليها في الحالات المشابهة وفي تقديم الصورة الكاملة للاسلام وطريقة معالجته للمشاكل الاجتماعية والانسانية الكلية.

فلم يقتصر في بحثه العلمي على متابعة الجزئيات وتعميقها كما نراه في كثير من الأعمال العلمية العميقة لعلمائنا الأعلام، بل كان ينطلق منها إلى الكليات التي تجمعها وتربط بينها مما كان يضفي على العمق والتجديد في آن واحد بعداً جديداً مهماً يساهم في دعم المواجهة الحضارية التي يخوضها الاسلام مع الحضارات الجديدة.

التحليل في البحث العلمي

٤ـ وقد كان التحليل العلمي طابعاً مميزاً لأعماله العلمية بحيث كان يتناول القضايا المختلفة ــ ومنها القضايا التي يتحكم بها العرف والذوق الفني ـ بالتحليل العلمي الموضوعي، وينتهي بها إلى نتائج رائعة تفسرها وتبيّن تكوّن العرف العام والذوق الانساني، فهو يدرسها كظاهرة اجتماعية أو لغوية كما يدرسها العالم في مختبره، ولا يبتعد بها عن اطارها الخاص والأرضية التي احتضنتها ونمت فيها.

كما يلاحظ ذلك بوضوح عند دراسته للوضع في اللغة، والمعنى الحرفي للظهور وللسيرة العقلائية، أو لأساليب الجمع العرفي الذي يصطلح عليه (التعارض غير المستقر).

ولعلّ كتابة الأسس المنطقية للاستقراء هو أروع وأدق محاولة لتفسير ظاهرة حصول اليقين لدى الانسان من التواتر والاستقراء، وذلك في مقابل محاولة المنطق الأرسطي الذي يعجز عن تفسير هذه

الظاهرة ، وفي مقابل نظرية حساب الاحتمال الغربية التي تعاني من خطأ في الأساس.

الواقعية والتجربة

٥- والواقعية صفة أخرى يتميّز بها البحث العلمي للشهيد الصدر، بل سوف نجد هذه الواقعية أساساً لكل بحث علمي في الشريعة أو المجتمع.

الواقعية التي تعني الانطلاق من الواقع القائم (الموضوع) واستنطاق القرآن والشريعة والقوانين العلمية والتاريخية في محاولة تفسيره ومعالجته.

والتمييز بين حالة تفسير النص بالواقع، أو تفسير النص مع الاغماض عن الواقع وفصله عن اطاره وهدفه، كما وقع في ذلك كثير من الباحثين.

والالتزام بحالة تفسير الواقع بالنص ومعالجته من خلال النص الشرعي والسعي لتحقيق هدف النص الذي ورد لمعالجة هذا الواقع، ويمكن تسمية هذا المنهج بمنهج (الاستنطاق) لما ورد عن الامام علي (عليه السلام) في حديثه عن القرآن الكريم قوله عليه السلام [**ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه إلاّ انّ فيه علم**

مايأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم مابينكم][٣]، وأشار الشهيد الصدر إلى هذا البعد في البحث العلمي عندما تناول موضوع الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي.

وقد أعطى لهذه الواقعية بعداً أعمق حين أدخل عنصر نتائج التجربة البشرية في الموضوعات التي بحثها كطرف في البحث والمقارنة حيث تصبح النظرية التي يراد استنباطها أكثر وضوحاً وواقعية ــ كما نشاهد ذلك في مجموعة من أعماله العلمية مثل كتاب فلسفتنا، واقتصادنا، والتفسير الموضوعي ـ حيث اعتمد اسلوب المقارنة مع حصيلة التجارب البشرية المعاصرة أساساً في فهم النظرية الاسلامية.

الاهتمام بالشكل والمخاطب إلى جانب المضمون

٦ـ وقد اهتم السيد الشهيد الصدر (قده) بالشكل ــ بالاضافة إلى اهتمامه بالمضمون ـ لأنّ الشكل يخدم المضمون في معرفته وأهدافه.

مضافاً إلى انّ السيد الشهيد كان يكتب للناس وللأمة بكل مستوياتها انطلاقاً من الحاجات والاحساس بوجود الفراغ الذي يجب أن يملأ، فهو يكتب بروح وهدف رسالي، وللعلم من أجل العمل، لا العلم من أجل العلم، و لم يكن يكتب لنفسه أو للنخبة العلمية فحسب، بل كان يهتم بدرجة كبيرة بالخطاب العام للأمة

(٣) نهج البلاغة/الخطبة ٥٨.

وبالأوساط العامة المثقفة لها، ولذلك نجد انّ أعماله لاقت رواجاً كبيراً من ناحية وعالجت القضايا الحارة التي تعيشها الأمة أو الأوساط العلمية والفكرية والاجتماعية وبقيت حيّة وفاعلة.

ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح في بعض كتاباته الفلسفية والاقتصادية والتفسيرية والفقهية والأصولية والعقائدية. فالتيسير كان أحد الأبعاد المهمة التي كان يستهدفها الشهيد الصدر في شخصيته العلمية.

الممارسة الميدانية والاجتماعية

٧- ولم يكن الشهيد الصدر يكتب عن الواقع من خلال التصور والفرض للواقع أو تخيله أو من خلال ما يقرأ عنه، بل كان يعايش الواقع في كثير من الأحيان بعقله وروحه من خلال الممارسة والمشاهدة الحسيّة، لأنه كان يتحرك ضمنه ويتفاعل معه يومياً من خلال الصراع السياسي والمعايشة الاجتماعية والفكرية المستمرة، ومن خلال العطاء المتبادل، ومن خلال العلاقات الواسعة مع مختلف قطاعات الأمة من الأوساط العلمية في الحوزة العلمية وطلبة العلوم الدينية والعلماء والوكلاء والمبلغين، إلى أوساط أساتذة وطلاب الجامعات، إلى أوساط الجماهير، وملاحظته للأوساط الملتزمة الدينية وغير الملتزمة دينياً.

وكان يتحرك بنفسه على هذه الأوساط من خلال زياراته المتكررة إلى بغداد والكاظمية التي أصبحت منظمة ودورية، وكذلك زياراته للبنان، ومتابعاته للأحداث، وحواراته العلمية، كما كانت الأمة تتحرك بنفسها عليه من خلال مجلسه اليومي أو الاسبوعي المفتوح الذي كانت ترتاده مختلف أوساط أبناء الأمة ويجيب فيه عن مختلف الأسئلة.

ولذلك جاءت كتاباته وأحاديثه، إلى جانب ما اشتملت عليه من عمق ودقة في المضمون ملتصقة بالواقع الحياتي للناس، وسهلة التناول والفهم.

كما انه كتب في كثير من الأحيان من أجل الأمة والجمهور بالقدر الذي يسمح به البحث العلمي كما حصل ذلك في كتاباته: دروس في علم الأصول، والاسلام يقود الحياة، والمدرسة الاسلامية، والفتاوى الواضحة ومقدمتها في علم الكلام والتفسير الموضوعي وغيرها.

وقد جاءت أهم أعماله التفسيرية في هذا الاطار، كما سوف نبيّن ذلك عند استعراضنا لهذه الأعمال.

ومن هنا يمكن أن نقول انّ الشهيد الصدر لم يكن بوجوده السياسي لكل الأمة فحسب، بل كان في أعماله العلمية كذلك، باستثناء بعض الأعمال التي كانت الظروف الموضوعية أو طبيعة

البحث ومستواه تفرض اختصاصها بالنخبة العلمية، مثل بعض أعماله الفقهية والأصولية والمنطقية. وحتى هذه الأعمال حاول فيها التبسيط والتيسير بحيث يمكن أن يتناولها ويفهمها أوسع دائرة من ذلك الوسط.

وبهذا الصدد أتذكر انّ الشهيد الصدر عندما كان يكتب الأسس المنطقية للاستقراء ـ الذي كان يقيِّمه بأنه أعظم عمل علمي له ـ كان يقول عنه في الجواب عن سؤال يطرحه على نفسه دائماً بصدد الموازنة بين حجم الجهد الذي كان يبذله فيه وحجم المنفعة التي يمكن للأمة أن تحصل عليها منه: (انه مدفوع لهذا العمل برغبة علمية).

بالرغم من انّ هذا العمل العلمي له آثار مهمة تنعكس على العقيدة والفقه والأصول وكل نواحي المعرفة الانسانية، ولكنه كان يفكر دائماً في الأمة ومدى امكان استيعابها لهذا العمل العلمي واستفادتها منه.

السرعة بالانجاز

٨ـ وقد تتميز أعمال الشهيد الصدر وشخصيته العلمية بالسرعة في التنفيذ والانجاز بحيث تبلغ أحياناً وقتاً قياسياً.

فكتاب فلسفتنا الذي كتبه الشهيد الصدر مرتين بصيغتين مختلفتين وتم طبع الصيغة الثالثة منه، تم انجازه في فترة لا تتجاوز عشرة أشهر وفي ظروف بالغة القلق والصعوبة والحساسية، واحتاج فيه إلى مراجعة

مجموعة كبيرة من كتب الفلسفة الماركسية لاستيعاب هذه الفلسفة من ناحية، والتعرّف على مواقع الخلل فيها من ناحية أخرى، بالاضافة إلى مجموعة من الكتب الأخرى ذات العلاقة بالفلسفة الديمقراطية والاسلام.

علماً بأنّ اكثر هذه الكتب والدراسات لم تكن في صراط البحث العلمي التقليدي له ولم تكن متوفرة في الأسواق التجارية حينذاك.

كما انه كتب الحلقة الثانية (٤٧٤) صفحة دروس في علم الأصول في ثلاثة أسابيع والجزء الأول من الحلقة الثالثة (٤٢٢) صفحة في مدة (٣٤) يوماً، ويكتب الاسلام يقود الحياة في مدة لا تتجاوز الشهر، في ظروف كان يمارس فيها أعماله العلمية العادية وكذلك الأعمال الاجتماعية والادارية الاعتيادية التي يمارسها المراجع في ادارة شؤون الطلبة والناس[٤].

وكان هذا الطابع العام لأعماله العلمية باستثناء الأعمال التي خضعت لظروف البحث العلمي الرتيب.

---

(٤) لقد ذكر سماحة الحجة المفقود السيد عز الدين بحر العلوم انه عرض على الشهيد الصدر بعض أعماله العلمية وهو ليس من طلاب الشهيد الصدر فراجعها الشهيد الصدر بسرعة قياسية وأرجعها إليه مع الملاحظات، فأثار ذلك اعجابه واستغرابه، حيث كان يقارن هذا بما كان يفعله مع بعض أساتذته حيث يبقى العمل العلمي لديه فترة طويلة دون انجاز.

الوفرة في الانتاج والعوامل المضادة

٩- وإلى جانب ذلك كلّه كان الشهيد الصدر مدرسة في العمل السياسي والاجتماعي الذي توجّه بتصديه للمرجعية (الثائرة) وبالشهادة في سبيل الله والاسلام.

ومن الواضح انّ هذا النشاط الاجتماعي والسياسي والمداخلات السياسية والاجتماعية كانت عاملاً مضاداً للانتاج العلمي وتؤثر بشكل سلبي على التخصص والانصراف إلى الدقة والعمق والثروة العلمية.

ويمكن أن نتصور مدى ما كان يمكن أن يتحقق من الانتاج العلمي للشهيد الصدر لو لا هذه المداخلات إذا أخذنا بنظر الاعتبار خصوصيتين كان يتصف بهما وكان يذكرهما أحياناً:

١- انّه في بداية عمله العلمي كان يمارس التفكير طيلة الفترة التي يكون مستيقظاً فيها دون استثناء، وكان يقول:

(اني كنت ألاحظ انه بمجرد أن أستيقظ من النوم أبدأ بالتفكير من النقطة التي انتهيت إليها في فترة ماقبل النوم، ولم يكن يؤثر عليَّ في عملية التفكير هذه مايجري حولي من حديث أو أصوات، بل كنت أقدر على التفكر في الجو الصاخب أيضاً).

٢- انه كان يمارس العمل السياسي والاجتماعي بدافع الوظيفة الشرعية ولم يكن لديه ميل نفسي - لظروف التربية ولأسباب أخرى -

إلى ممارسة الأعمال الاجتماعية والاختلاط بالناس كما كان يصرح لي بذلك، على انّ العمل العلمي يمثل رغبة ملحة بالنسبة له ويشعر باللذة والارتياح لممارسته مهما طال الوقت والزمن ومهما طالت به الخلوة، كما كان يتحدث بذلك أحياناً.

ومن هنا نجد الشهيد الصدر يتمكن من كتابة دورة كاملة لأصول الفقه وهو في سن يقارب العشرين عاماً، وكان يقول عن كتاباته هذه انها تشكل الأساس لكل أفكاره الأصولية التالية، بحيث انه كان يقول انه في المراحل اللاحقة لم يحصل تغيير لديّ - إلاّ بشكل جزئي ـ في أفكاري وتصوراتي في علم الأصول.

امتزاج العامل المضاد بالتجربة العلمية

١٠- ومع هذا كلّه نجد انّ هذه الظروف السياسية والاجتماعية والممارسات المنسجمة معها تمكن أن يحوّلها (السيد الشهيد) إلى عامل ايجابي في انتاجه العلمي من الناحية الكيفية، فبالاضافة إلى انّ الكثير من ممارساته العلمية قد أملاها عليه الشعور بالمسؤولية تجاه هذه الظروف السياسية والاجتماعية، كان العمل السياسي والاجتماعي يفجر أحياناً الطاقات العلمية في السيد الشهيد الصدر ويفتح آفاقاً جديدة أمامه، فكتبه (البنك اللاربوي) و (فلسفتنا) و (اقتصادنا) و

(الاسلام يقود الحياة) و (التفسير الموضوعي) ومحاضراته (تاريخ الأئمة) وغيرها كانت نتاجاً لهذه الظروف.

كما انّ البعد الواقعي الذي اتصفت به أعمال الشهيد الصدر العلمية بحيث أصبحت عملاً متصلاً بالحياة السياسية والاجتماعية وليست مجرد ترف فكري.

هذا البعد الواقعي كان بفضل هذه الظروف السياسية والاجتماعية.

وقد كان الشهيد الصدر في كتابه (اقتصادنا) وعد القراء أن يتحفهم بكتاب (مجتمعنا) إلاّ انه لم ينجز هذا العمل على شكل كتاب وإن كان قد أنجز اكثر أصوله وأسسه من خلال أعماله العلمية الأخرى، حيث نجد ذلك في كتاباته (الاسلام يقود الحياة) و (المدرسة الاسلامية) و (التفسير الموضوعي) وبعض فصول كتاب اقتصادنا وبعض المقالات الأخرى.

وبذلك نعرف انّ الشهيد الصدر تمكن أن يجمع بين خصوصية الشمول التي كان يتصف بها الأوائل من علمائنا (قدس سرّهم) قبل أن تتوسع المعرفة الاسلامية في مختلف مجالاتها، وبين العمق والدقة والتجديد والواقعية، والاسلوب الميسّر الذي يتفاعل به مع مختلف طبقات المجتمع، إلى جانب الممارسة العملية للعمل السياسي والجهادي، بالاضافة إلى التدريس والتربية لعدد كبير من العلماء وطلاب العلوم الدينية، وقلّما يتوفر كل ذلك في عرض واحد لعالم من علماء الاسلام.

الفصل الثاني

بعد هذه المقدمة في أبعاد شخصية الشهيد الصدر العلمية، نتناول أعماله التفسيرية بشيء من الاختصار وعلى مستوى الاثارة ومن خلال ثلاثة أبواب:

الأول: الأعمال والممارسات التفسيرية أو القرآنية.

الثاني: ملامح التجديد في البحث التفسيري عند الشهيد الصدر.

الثالث: منهج التفسير عند الشهيد الصدر (رض)

الباب الأول

الأعمال والـممارسات التفسيرية أو القرآنية

يمكن أن نجمل الأعمال التفسيرية للشهيد الصدر في المفردات الخمس الآتية بقطع النظر عن بعض المحاولات المتفرقة في كتبه ودراساته أو بعض المقالات الأخرى:

١ـ محاضرات علوم القرآن.

٢ـ محاضرات التفسير الموضوعي.

٣ـ (الاسلام يقود الحياة):

(خلافة الانسان وشهادة الأنبياء).

٤ـ الأبحاث المتعلقة بالقرآن في علم الفقه وأصول الفقه مثل: (الظهور القرآني)، (العرض على القرآن في تعارض الأدلة) في أصول الفقه وآيات الأحكام، وفي الأبحاث الفقهية (الطهارة)، (الخمس)، (أحكام الأراضي)، (النظام الاقتصادي)، (النظام السياسي)، وغيرها.

٥ـ الموارد المتفرقة في كتبه ودراساته ومقالاته التي تناول فيها مفاهيم بعض الآيات القرآنية، كما في بحث (الرسل، الرسول، الرسالة).

التعريف بهذه المفردات

١ـ محاضرات في علوم القرآن:

تأسست كلية أصول الدين في بغداد سنة ١٣٨٥هـ، وكان الغرض منها تربية الكوادر الاسلامية التي يمكن أن يكون لها دور في مختلف المجالات الاسلامية وبالخصوص بمجال التربية والتعليم، وكانت هذه الكلية تحضى برعاية خاصة من قبل الشهيد الصدر (قده) لأنها ترتبط بالخط المتصدي للعمل السياسي والاجتماعي في جهاز المرجعية الدينية لآية الله العظمى المغفور له الامام الحكيم (قده).

وقد طلب من الشهيد الصدر (رض) أن يكتب لهذه الكلية منهجها في علوم القرآن، فبادر (قده) إلى كتابة منهج السنة الأولى وبعض منهج السنة الثانية، وقد كنت أقوم بتدريس هذه المادة في الكلية، حيث أكملت كتابة مفردات السنة الثانية والثالثة والرابعة بعد أن أدخلت بعض التعديلات على مفردات السنة الأولى في السنوات المتأخرة.

وقد طبعت على شكل كتاب(٥) في طهران، كما انها نشرت قبل ذلك في مجلة رسالة الاسلام التي كانت تصدر عن كلية أصول الدين ببغداد.

٢ـ محاضرات في التفسير الموضوعي:

مجموعة من المحاضرات عددها (١٤ محاضرة) كان آخرها قبل احتجازه الذي انتهى باستشهاده بفترة لا تزيد عن الاسبوعين، وقد أشار في المحاضرة الأخيرة إلى شعوره بقرب أجله.

وكان قد بدأ بها بعد انتصار الثورة الاسلامية واحساسه بالحاجة الملحّة إلى ايجاد تحرّك ثقافي وسياسي سريع وواضح في صفوف الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فعمد إلى تبديل درسه الفقهي على مستوى البحث الخارج في بعض أيام الاسبوع ليقوم بالقاء هذه المحاضرات التي كان يمتلئ (مسجد الشيخ الطوسي) بالعلماء والطلبة لاستماعها وتسجيلها، وتناول فيها ثلاثة موضوعات (منهج التفسير

---

(٥) طبعه المجمع العلمي الاسلامي تحت عنوان (علوم القرآن) وأشار في المقدمة إلى مساهمة الشهيد الصدر فيه، كما جدد طبعه مجمع الفكر الاسلامي بصورة منقحة ومزيده وأشير في هذه الطبعة إلى الموضوعات التي كتبها الشهيد الصدر بقلمه الشريف.
علماً بأنّ التعديلات التي أدخلتها على كتابة الشهيد الصدر لم يتم طبعها لأني فقدتها عند الهجرة إلى خارج العراق.

الموضوعي) و (سنن التاريخ في القرآن) و (عناصر المجتمع في القرآن الكريم).

وقد طبعت هذه المحاضرات عدة مرات كان أفضلها حتى الآن الطبعة المنقحة التي علّق عليها الشيخ جلال الصغير، كما ترجم الكتاب إلى الفارسية أيضاً.

٣ـ الاسلام يقود الحياة:

(خلافة الانسان وشهادة الأنبياء)

مجموعة من الكراسات عددها (٦) تناولت موضوعات مهمة كتبها في ضوء انتصار الثورة الاسلامية، ويعالج بها قضايا مهمة كانت ولازالت مطروحة أمام الثورة هي دستور الجمهورية الاسلامية، صورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، خلافة الانسان وشهادة الأنبياء، منابع القدرة في الدولة الاسلامية، الأسس العامة للبنك في المجتمع الاسلامي.

وقد عبّر من خلالها عن ذوبانه في الثورة الاسلامية وامام الأمة وتقييمه لهذا الانتصار العظيم.

وموضوع حديثنا هو الكراس الرابع (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء) ويقول في تعريفه انه (توضيح لخطين ربانيين يقوم على أساسهما مجتمع التوحيد وتنسيق الحياة الاجتماعية للانسان على الأرض، ويشتمل على تلخيص للتصور الاسلامي لركائز الخلافة الانسانية، وسيرتها، والرقابة التي وضعها الله سبحانه على هذه المسيرة وحركتها في الأرض وتصورات أساسية عن المجتمع في نظر الاسلام والقرآن وكيفية تطوره والعلاقات التي تتحكّم فيه).

وقد طبع الكتاب عدة مرات بصورة مجزءة ومجموعة في كتاب واحد.

٤ـ الأبحاث المتعلقة بالقرآن في علم الفقه وأصول الفقه:

في علم أصول الفقه هناك أبحاث ترتبط بشكل خاص ومباشر بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الرئيسي للتشريع الاسلامي، من جملة هذه الأبحاث (الظهور القرآني) حيث وقع البحث في مدى حجيته بعد الفراغ عن حجية الظهور بشكل عام لاحتمال وجود التخصيص أو التخصص[٦] في هذه الحجية بالنسبة إلى الظهور القرآني للشبهة التي أثارها الأخباريون حول حجيّة هذا الظهور، والتي حاولوا أن يستندوا فيها إلى روايات أهل البيت (عليهم السلام).

ومن جملة هذه الأبحاث بحث عرض الخبر على الكتاب الكريم لمعرفة مدى صحته وحجيته عند الشك في حجيته أو ترجيح حجيته على الخبر الآخر عند معارضته إيّاه. (الموافقة والمخالفة مع القرآن الكريم في التعارض غير المستقر موارد الجمع العرفي: التعارض غير

(٦) (التخصيص) و (التخصص)، اصطلاحان في علم الأصول الأول منهما يعني خروج المصداق حكماً من تحت حكم العام لدليل خاص يسمى المخصص، والتخصص هو خروج الفرد من حكم العام باعتباره ليس فرداً من أفراد العام حقيقة مع اشتباهه بأفراد العام.

المستقر) و (التعارض المستحكم)[٧]. كما انّ هنـاك أبحـاث أخـرى في هذا المجال.

مضافاً إلى ذلك البحث حول مجموعة من الآيـات وردت في الفقـه وهي من آيات الأحكام التي يمكـن متابعتهـا في مواضعهـا مـن أبحاثـه الفقهية[٨].

وسوف نكتفـي بتنـاول الموضوعـين السـابقين المذكوريـن في علـم الأصول كنموذج لهذا اللون من النشاط العلمي المرتبط بالقرآن.

---

(٧) اصطلاحـان في علـم الأصول لأقسـام التعـارض بـين الأخبـار حيـث انّ التعـارض إذا كـان مسـتحكماً لا طريـق لحلـه فهنـا يذهـب الأصوليـون إلى الترجيح أو التساقط أو التخيير وأمـا إذا كـان مـن الممكـن حلّـه عـن طريـق الجمع بينهما وذلك بتقديم المقيـد علـى المطلـق أو الخـاص علـى العـام فهـذا يسمى بالجمع العرفي أو التعارض غير المستقر.

(٨) يقترح بصدد جمع الأعمال التفسـيرية للشـهيد الصـدر متابعـة هـذه الآيـات والموارد كلها وجمعها في كتاب واحد للاستفادة منها.

الباب الثاني

ملامح التجديد في البحث التفسيري

١ـ محاضرات علوم القرآن:

ذكرنا انّ محاضرات علوم القرآن كانت بالأصل كتاباً مدرسياً ابتدائياً يراد به التعريف بعلوم القرآن على مستوى الصف الأول والثاني لكلية أصول الدين، ولم يكن بحثاً مستقلاً في علوم القرآن ليتبين فيه مدى الشمول والعمق الذي يمكن أن يعبر فيه الشهيد الصدر عن هذا البعد في أعماله التفسيرية، ولكن مع ذلك كلّه لم يخل من التجديد بالاضافة إلى اسلوبه المبسّط والشيق في العرض.

وعلى سبيل المثال، نذكر بعض النماذج:

١ـ في موضوع اعجاز القرآن يعرف المؤلف المعجزة بتعريف فيه الكثير من الدقة والتجديد حيث يعرفها بأنه (مايتحدى القوانين الطبيعية التي تثبت بالحس والتجربة) وبذلك يدخل الشهيد الصدر في تعريف المعجزة حتى الأعمال البسيطة التي يمكن للناس أن يقوموا بها وفق القوانين الطبيعية فيما لو تمكن النبي (ص) أن يوجدها خارقاً بها القوانين الطبيعية التي ثبتت بالحس والتجربة.

كما انه بذلك يحدد ويفسّر (العادة) ـ التي يستخدمها علماء القرآن في تفسيرهم للمعجزة[٩] ـ بالقوانين الطبيعية التي تثبت بالحس

---

(٩) يعرّف بعض علماء القرآن المعجزة بأنها العمل الذي يخالف العادة في الطبيعة، وهذه العادة مجملة غير واضحة لأنّ المعجزة يمكن أن تشمل مثل السحر أو الأعمال العلمية العظيمة لأنها على خلاف العادة. كما انّ

والتجربة فيضعها في اطار واضح لالبس فيه، بحيث يتضح خروج مثل السحر عن تعريف المعجزة أو الأعمال العلمية العظيمة التي توصل إليها العلم الحديث فانها قد تكون في فترة زمنية خارقة للعادة.

٢ـ كما انه يذكر الدليل على اعجاز القرآن مستخدماً طريقة المقارنة بين المضمون القرآني والوضع الاجتماعي والمرحلة التاريخية التي كان يعيش فيها النبي (ص) وكذلك المقارنة بين شخصية النبي ومعلوماته الطبيعية والمضمون القرآني.

وهذا الدليل يمتاز بأنه دليل يتوفر لكل انسان فهمه بخلاف الأدلة التي تعتمد على الاسلوب البلاغي، كما انه دليل يتوفر اثباته في كل زمان.

وهذا النوع من الاستدلال تناوله مجموعة من الباحثين السابقين بشكل أو بآخر، إلاّ انّ الشهيد الصدر يوجزه في ثلاث صفحات ويذكر له أبعاداً ثلاثة بحيث يمثل كل بعد منه دليلاً مستقلاً في نفسه، وهو دليل يمكن استفادته من القرآن الكريم نفسه.

٣ـ وفي بحث الآثار التي تركها القرآن الكريم على المجتمع الانساني يتحدث الشهيد الصدر عن عملية التحرير التي مارسها القرآن الكريم للعقول من الأوهام والخرافات وللارادة من الشهوات والغرائز

الأعمال البسيطة إذا تمت بطريقة اعجازية فهي يمكن أن لا تكون مخالفة للعادة.

وللمجتمع الانساني من عقيدة الطغيان والوثنية، حديثاً ينقل الانسان إلى الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي الذي كان يعيشه المجتمع من ناحية والهدف الأساس للقرآن الكريم من ناحية أخرى.

٤ـ في بحث التمييز بين المكي والمدني من الآيات يرجح القول الذي يرى التمييز بينهما قائماً على أساس الفاصل الزمني قبل الهجرة وبعدها في مقابل القولين الآخرين التمييز على أساس المكان، أو المخاطب (أهل مكة وأهل المدينة).

ويؤكد انّ التمييز له بعد علمي وليس مجرد اصطلاح لأنه يساهم في تحقيق الهدف من وراء هذا التمييز وهو معرفة تأريخ مسيرة الرسالة الاسلامية والتعرّف على الناسخ والمنسوخ.

٥ـ وفي بحث تعريف التفسير أيضاً يميّز بين شكلين من التفسير (تفسير اللفظ وتفسير المعنى) ويذكر أهمية التمييز بينهما حيث بذلك يمكن الجمع بين حقيقتين في القرآن، انّ القرآن كتاب هداية، وانّ بعض الموضوعات في القرآن يستعصي فهمها على الذهن البشري وإلى كل من الحقيقتين أشار القرآن الكريم (راجع ص٦٩ـ٧٢ الطبعة الأولى).

٦ـ وأيضاً يترتب على هذا التمييز فهم الفرق بين مدلول كلمة (التفسير) وكلمة (التأويل) بعيداً عن المصطلحات العلمية، وانما بحسب مدلولها القرآني (راجع ص٧٤ـ٧٩ من الطبعة الأولى).

ومن الواضح انّ الكلمة عندما يكون لها استعمال قرآني لا يكون البحث في مدلولها بحثاً لفظياً اصطلاحياً، بل بحثاً واقعياً مفهومياً.

٧- وفي موضوع (التفسير في عصر الرسول) يشير إلى عمل الرسول في هذا المجال وانّه قام بالتفسير على مستويين (مستوى عام ومستوى خاص) بعد أن يذكر انّ هذا العمل في عهد الرسول كان ضرورياً على خلاف من يحاول أن يفسّر ظاهرة قلّة ماورد من التفسير عن الرسول بأن التفسير لم يكن ضرورياً لفهم العرب للقرآن في عصر الرسول (راجع ص٩٢-١٠١ من الطبعة الأولى).

وبذلك يثبت الشهيد الصدر مرجعية أهل البيت (ع) الفكرية ويفسّرها تاريخياً حيث يذكر بأنّ التفسير الشامل الخاص انّما كان للامام علي (عليه السلام).

وبهذا يجمع الشهيد الصدر بين مسؤولية النبي (ص) في بيان القرآن الكريم والحقيقة الخارجية لقلة ماورد عن رسول الله (ص) في مجال التفسير ودور أهل البيت (ع) في المرجعية الفكرية.

٢- محاضرات التفسير الموضوعي:

من الضروري أن نؤكّد هنا انّ محاضرات التفسير الموضوعي وكذلك (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء) تحتاج إلى دراسة تفصيلية ومقارنة لنتبين التجديد والنظريات الجديدة التي استنبطها الشهيد

الصدر (رضوان ا لله عليه) من القـرآن الكريـم والمنهـج الـذي اختطـه لمواصلة هذا الطريق.

وسوف نكتفي هنا بالاشارة إلى بعض النماذج بهذا الصدد:

١ـ توضيح نظريـة التفسـير الموضوعـي والـذي يمثـل تطـوراً في منهـج التفسـير وليـس بمجـرّد جمـع آيـات قرآنيـة تتنــاول موضوعــاً واحــداً وتفسيرها بل هو الخروج بنظريـة قرآنيـة حـول الموضـوع تقـوم علـى أسـاس استنطاق القـرآن الكريـــم لمعالجــة الموضوعــات والحــوادث الخارجية. وهذا ماتناوله في المحاضرات الثلاث الأولى.

٢ـ إثبات انّ الظاهرة التاريخية تخضع للسنن والقوانين وليست ظـاهرة عفوية أو بجرّد حوادث متناثرة ومتفرقة (المحاضرة الرابعة) فهي ظـاهرة تخضع للقوانين العلمية وللنظام الكوني العام دون أن يلغي دور الارادة والاختبار فيها، بل تصبح الإرادة والاختيـار احـدى القوانـين والعلـل المؤثرة في التاريخ، بل هي العِامل الأهم.

٣ـ وكذلك التمييز بين القوانين التاريخية والقوانين الطبيعية في موقـف الدين منها وانّ الأول منها من مهمة القـرآن. فالسـؤال المطـروح انـه لماذا تعرض القرآن الكريم لخصوص السنن التاريخية و لم يتعرض للسنن الفيزيائية والفسيولوجية وغيرها من الســنن الطبيعيـة، مـع انّ القوانـين التاريخية هــي أيضــاً قوانـين طبيعيـة علميـة تشـترك مـع بقيـة القوانـين والسنن في هذه الخصيصة.

يجيب المؤلف عن هذا السؤال في (المحاضرة الثالثة) ويذكر:

انّ القرآن لما كان كتاب هداية وهي ترتبط بالشريعة التي تمثل خط الهداية وفي جانب آخر بالانسان والمجتمع اللذين هما موضوع الهداية، كان من الطبيعي أن يتعرض للقوانين والسنن التي تتحكم في مسيرة المجتمع حتى يمكن السعي لتوفير شروط تلك القوانين عندما يريد القرآن ايجاد عملية التغيير الاجتماعي، لأنّ هذه القوانين تتأثر بالارادة الانسانية.

وبذلك يؤكد المؤلف قضية انّ القرآن ليس كتاباً علمياً كما انه في الوقت نفسه تناول هذا الجانب من العلم لارتباطه بالهدف التغييري له.

٤- يعطي في المحاضرة الرابعة مفهوماً جديداً لهلاك الأمة والمجتمع يرتبط بفساد وهلاك البنية الاجتماعية والتركيبية له، وبذلك يخرج هذا المفهوم عن مدلوله الأولي وهو الهلاك المادي لأفراد الجماعة أو المجتمع.

فالأجل والهلاك إنّما هو للعلاقات الاجتماعية التي تخضع للقوانين التأريخية. وهو قد يكون هلاكاً مادياً وقد يكون هلاكاً معنوياً (إنحراف أو ضلالة أو اضطراب وقلق وفساد في الأرض).

٥- في المحاضرة الخامسة يبيّن خصائص التصور القرآني حول التاريخ ومسيرته ويلخصها في نقاط ثلاثة:

أولاً: خصيصة الاطراد والسنّة والقانون الذي يربط الظواهر التأريخية بعضها ببعض ويحقق أهدافها بتحقيق شروطها.

ثانياً: الربانية في الظاهرة التأريخية، وهذه الربانية لا تعني الغيبية في مقابل الموضوعية والعلمية "فهو يقرر أولاً ويؤمن بوجود روابط وعلاقات بين الحوادث التأريخية إلاّ انّ هذه الروابط والعلاقات هي في الحقيقة تعبير عن الحكمة الالهية، فلا يريد القرآن أن يتجه اتجاه التفسير الالهي في التاريخ ولكنه يرى أن يؤكد انّ هذه السنن ليست هي خارجة عن قدرة الله سبحانه بل هي تجسيد لقدرته".

ثالثاً: تأثير الارادة الانسانية في مسيرة التاريخ، إذ انّ البحث في السنن التاريخية خلق وهماً عند كثير من الباحثين وهو تصور التعارض بين حرية الانسان واختياره وسنن التاريخ وقوانينه.

٦ـ تحديد المساحة التي تتحكم فيها السنن التأريخية وتفسير طبيعة الظاهرة التاريخية التي تخضع لهذه السنن، وهي خصوص الظاهرة التاريخية التي تحمل في طياتها علاقة حادثة بهدف وتصبح الارادة الانسانية والفعل الانساني جزءاً من الطبيعة النوعية لهذه الظاهرة، وبذلك تخرج ظواهر وحوادث تأريخية مهمة ومؤثرة في مجرى الأحداث التاريخية كظاهرة الكوارث الطبيعية أو موت شخص له موقع مهم في التاريخ في حالة استثنائية أو عادية.

٧ـ يشير في المحاضرتين الأولى والثانية إلى منهجه المتميّز في التفسير الموضوعي كما ذكرنا آنفاً والذي يمكن أن ينسحب على كل الأعمال التفسيرية كما سوف نوضّح ذلك في الفصل الثالث.

٣ـ خلافة الانسان وشهادة الأنبياء:

وهذا العمل التفسيري يعتبر مكملاً للعمل السابق، حيث يشير في بداية المحاضرة (١٤) إلى وجود أدوار ثلاثة في التاريخ البشري الحضانة، الفطرة، الاختلاف.

ويتناول في هذا الكراس المراحل التاريخية الثلاثة التي مرَّ بها الانسان ويفسرها ويبين طبيعة التصميم الالهي للانسان ومسيرته في هذه المراحل الثلاثة ودور الانسان الخليفة فيها، بالاضافة إلى دور السماء الذي يمثل الرحمة والرقابة والكمال بالنسبة إلى الدور الانساني. هذا الدور الالهي الذي يتمثل بالأنبياء.

ويمكن أن نقول باختصار انّ كل مايتضمنه الكراس يمثل التجديد والعطاء، فبالرغم من انّ بعض المفردات في النظرية قد نجد ملامح لها في كتابات المفسرين إلاّ انّ مهمة الربط بين هذه المفردات التي تمثل النظرية بكاملها هو الشيء الجديد فيها.

على انّ بعض المفردات يبدو فيها العطاء واضحاً وجلياً مثل تفسيره لدور الحضانة ودور الفطرة في المسيرة البشرية، وإليك بعض النماذج:

١ـ استنباطه لنظرية حكم الناس لأنفسهم وشرعية ممارسة الجماعة لحكم نفسها من مفهوم الاسلام الأساس لجعل الانسان خليفة في الأرض، فانّ الخلافة هذه تعني انّ الله تعالى قد أناب الجماعة البشرية في الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعياً وطبيعياً.

ويتفرع على هذا المفهوم:

أ ـ انتماء الجماعة إلى محور واحد وهو الله (المستخلِف).

ب ـ العلاقات الاجتماعية تقوم على أساس العبودية المخلصة لله وتحرير الانسان من العبوديات الأخرى.

ج ـ روح الأخوّة العامة في العلاقات الاجتماعية، ومحو كل ألوان الاستغلال والتسلّط.

د ـ الحكم استئمان ونيابة وأمانة ومسؤولية. فالانسانية مستئمنة أن تحكم بالعدل والحكمة وليس بالهوى والرغبة، وبذلك تتميز الخلافة عن حكم الجماعة في المفهوم الغربي الذي يعني ـ في جوهره ـ النيابة والوكالة عن الانسان نفسه.

٢ـ هدف الخلافة هو الكمال والسير نحو المطلق في كماله ولذلك فهي حركة دائبة نحو قيم الخير والعدل والقوة وهي لا تتوقف لأنها متجهة نحو الكمال المطلق الذي لا نهاية له، وليس هدفه هو التعبير عن الميول والرغبات أو قوة الجماعة المادية أو تكريم العرق والأصول القومية.

وبذلك يختلف هدف هذا الشكل من الحكم عن أي هدف لأشكال الحكم الأخرى لأنه سوف لا يكون محدوداً وينتهي إلى الجمود والتوقف في عملية النمو كما في الأهداف الأخرى.

٣ـ التدخل الرباني من خلال خط الشهادة، وتصنيف الشهداء إلى أصناف ثلاثة: الأنبياء، الربانيون، الأحبار.

وبذلك يستنبط انّ دور المرجعية الدينية (ولاية الفقيه) امتداد لدور الأنبياء والأئمة من القرآن الكريم وخلال نظرية قرآنية متكاملة.

ثم الدور المشترك بين الأصناف الثلاثة من الشهداء، والفوارق الأساسية في الأدوار.

والفارق الأساس بين النبي والامام من جهة والعلماء من جهة أخرى في العصمة وأثر هذا الفارق في مسير خط الشهادة.

٤ـ النبوة والثورة على يد الأنبياء متلازمان وهما ضرورة تاريخية لتحقيق مجتمع التوحيد. حيث يقارن بين أساسين مختلفين في تاريخ الانسان للثورة:

<u>الأساس الأول:</u> ماتزخر به قلوب المستضعفين والمضطهدين من المشاعر الشخصية المتقدة بسبب ظلم الآخرين واستهتارهم بحقوق الجماعة ومصالحها.

وإذا لاحظنا هـذا الأساس بعمق فسوف نجده يتعامل مع هـذه المشاعر بروح رد الفعل والانعكاس لنفس هـذه المشاعر الشخصية والمادية التي خلقتها ظروف الاستغلال.

وبذلك لا تصبح الثورة ثورة على الاستغلال وجذوره ومن أجل اعادة البشرية إلى مسيرتها الرشيدة وانما هي ثورة على تجسيد معيّن للاستغلال من قبل المتضررين. ومن هنا كانت تغييراً لواقع الاستغلال اكثر من كونها استئصالاً له.

والأساس الثاني: استئصال المشاعر التي خلقتها ظروف الاستغلال واعتماد مشاعر أخرى أساساً للثورة، بل تطوير تلك المشاعر على نحو تمثل الاحساس بالقيم الموضوعية للعدل والحق والقسط والايمان بعبودية الانسان لله والتي تحرره من كل عبودية وبالكرامة الانسانية.

وهذا الأساس الثاني لا يمكن أن يكون إلاّ من خلال ثورة الأنبياء لأنه يتعالى على المشاعر والأحاسيس البشرية، وبدون ذلك فلابد أن يرتبط بالأوضاع النفسية التي خلقتها هذه الظروف وردود الفعل لها.

وبذلك نفسّر ضرورة وجود الأنبياء في تاريخ الانسان.

وانّ الثورة الحقيقية لا يمكن أن تنفصل بحال عن الوحي والنبوة وما لهما من امتداد في حياة الانسان، كما انّ النبوة والرسالة لا يمكن أن تنفصل بحال عن الثورة الاجتماعية.

ويستمر المؤلف في هذا العطاء حتى تصبح لدينا نظرية قرآنية متكاملة عن مسيرة المجتمع الانساني والتصميم الالهي له.

وبذلك يضع الشهيد الصدر (رض) معالم النظرية للمجتمع الانساني الذي وعد بتدوينها في كتاب (مجتمعنا).

٤ـ الأبحاث المتعلقة بالقرآن في علم أصول الفقه "الظهور القرآني" والعرض على القرآن في بحث تعارض الأدلة.

أولاً ـ الظهور القرآني:

في بحث الظهور القرآني يتناول الباحثون في علم الأصول شمول دليل حجية الظهور للظهور القرآني أو عدمه، وأحد الأدلة التي يستند إليها المشككون في حجية الظهور القرآني هو افتراض شمول كلمة (التشابه) التي وردت في الآية الكريمة السابعة من سورة آل عمران للظهور القرآني، حيث يتردد المعنى بين أكثر من احتمال فيكون الردع عن اتباع المتشابه في الآية شاملاً للردع عن الأخذ بالظهور القرآني.

ولا يهمنا هنا البحث حول هذا الموضوع حيث تناوله الشهيد الصدر بشكل مفصّل في بحوثه الأصولية، وإنّما يهمنا هنا ماذكره في تفسيره للتشابه الذي يمثل محاولة جديدة وأصيلة في فهم التشابه في القرآن. هذا الفهم الذي ينسحب على النصف الاكبر من الآيات

القرآنية. حيث وقع البحث بين علماء التفسير في انه ما المراد من التشابه؟

تناول علماء التفسير بحثهم في هذا المجال الاحتمالات المختلفة، ولكن انطلاقاً من نقطة مركزية هي انّ المقصود من التشابه التشابه المفهومي. أي في دلالة اللفظ على المعنى أو مايفهم من اللفظ في دلالته على معناه.

وكانت آخر محاولة للعلاّمة الطباطبائي التي كانت تتجه إلى افتراض وجود مراتب للمعاني القرآنية تتشابه فيما بينها.

وأما المؤلف فيفهم التشابه هنا ليس على مستوى المفهوم لأنّ الألفاظ القرآنية مفهومة المعاني وانّما هو على مستوى المصاديق الخارجية والجري والانطباق، ويستند في ذلك إلى قرينتين في الآية الكريمة نفسها، بالاضافة إلى تصريح القرآن الكريم نفسه بأنّ آياته انّما أُنزلت بياناً وتبياناً وهُدىً وبلسان عربي مبين.

وهذا لا ينسجم مع التشابه المفهومي في الآيات.

القرينة الأولى: وصف أصحاب الزيغ في القلوب في الآية نفسها بأنهم يتبعون الآيات المتشابهة، ولا معنى لصدق مفهوم الاتباع مع التشابه المفهومي والشك في المعنى لأنّ من يأخذ أحد المدلولين في مقابل الآخر لا يكون متبعاً للكلام وانما يكون متبعاً لحدسه وذوقه في اختيار المعنى.

القرينة الثانية: ورود كلمة التأويل ﴿ابتغاء تأويله﴾ فأنه لو أريد التشابه المفهومي لكان معنى التأويل حمل الكلام على خلاف معناه، وهذا انما يصدق في خصوص التشابه في الكلام الظاهر، وأما مايتساوى معناه فلا يكون حمله على أحد المعنيين تأويلاً، لأنّ الكلام لا يكون فيه ظهور حتى يكون الحمل على أحد المعنيين حملاً على خلاف الظاهر.

وأما لو أريد بالتشابه التشابه المصداقي فيكون التأويل حينئذ الجري والتطبيق على المصاديق غير الحقيقية.

ثانياً ـ تعارض الأدلة:

في بحث تعارض الأدلة تناول العلماء مجموعة من الروايات وردت بصدد تمييز الخبر الحجة من غيره، أو ترجيح أحد الخبرين على غيره، من خلال عرضه على القرآن ومقارنته به.

وقد تركّز البحث في مدلول هذه الأخبار وماهو المقصود من المخالفة والموافقة التي وردت في هذه الأخبار بالاضافة إلى انها هل هي بصدد تناول الحجية، أو شيء آخر.

وقد بحث الشهيد (قدس سره) في كتاب تقريراته (ج٧) هذا الموضوع بشكل مفصّل.

والجديد الذي نريد أن نشير إليه هنا هو التفسير الاجمالي العام الآخر الذي قدّمه الشهيد (قده) لهذه الأخبار، حيث يصبح لهذه

الأخبار مدلول له آثار مهمة في الفقه، وحجية الأحاديث تختلف إلى حد كبير عن المدلول الآخر المعروف ونتائجه الفقهية.

فقد قال بتلخيص في الصفحة (٣٣٣) من التقريرات (انه يمكن تفسير مفاد هذه الأخبار بنحو آخر لا يحتاج إلى جل الأبحاث المتقدمة وهو أن يكون المراد من طرح مايخالف القرآن، طرح مايخالف الروح العامة له، وما لا تكون أشباهه ونظائره موجودة فيه.

ويكون المعنى انّ الدليل الظنّي إذا لم يكن منسجماً مع طبيعة تشريعات القرآن ومزاج أحكامه العامة لم يكن حجة وليس المراد من الانسجام الموافقة أو المخالفة المضمونية الحدية.

فمثلاً لو وردت رواية في ذم طائفة من الناس، وبيان خسّتهم في الخلق أو انهم قسم من الجن، كما ورد ذلك في بعض الأقوام كالأكراد، قلنا انّ هذا مخالف مع الكتاب الذي يصرّح بوحدة البشرية جنساً وحسباً، فلابد من طرح هذه الأخبار حتى لو كانت موثقة سنداً.

ويدعم هذا الفهم الاجمالي للروايات والأخبار بعدة قرائن تاريخية ونصوص عن الأئمة سلام الله عليهم.

ومن الواضح انّ هذا الفهم للنصوص له أثر كبير في الموقف تجاه الحالات المماثلة لما ذكره في الكتاب.

فمثلاً تثار شبهة حول صحة اقامة الحكم الاسلامي في عصر الغيبة من خلال روايات عديدة وبعضها صحيح السند تدل على انّ كل راية قبل ظهور القائم فهي راية ضلالة.

وقد تبدو صعوبات في معالجة مثل هذه الرواية بالاسلوب المعروف فقهياً[١٠]. إلاّ انه بناءً على هذا الفهم لروايات العرض يمكن بسهولة طرح مثل هذه الروايات لمخالفتها روح القرآن العامة، وعدم وجود شبيه أو نظير لها في القرآن.

حيث انّ الروح العامة للقرآن هي الدعوة للوقوف في وجه الطغاة والظالمين والمستكبرين ونصرة المستضعفين.

---

(١٠) لقد عالجنا هذه الرواية فقهياً في بحث الجهاد.

الباب الثالث

منهج التفسير عند الشهيد الصدر (رض)

لم يمارس (الشهيد الصدر) التفسير على نطاق واسع كما تبيّن ذلك من الاستعراض السابق ولذلك لا يمكن الحكم بسهولة على منهجه في التفسير.

ولكن مع ذلك يمكن أن نلتقط بعض المعالم من خلال أعماله التفسيرية وماصرّح به في بعض هذه الأعمال.

والنقاط التي سوف أذكرها تميّز أعماله التفسيرية من ناحية كما يمكن إلتقاط بعضها من خلال تصوراته عن كيفية انعقاد الظهور في الكتاب والسنّة من ناحية أخرى.

١ـ التزام منهج (الموضوعية) التي تعني التحرك من الواقع القائم والمشاكل والأسئلة التي تثيرها الأوضاع المعاشة والعرض على القرآن واستنطاقه لحل المشاكل القائمة في هذا الواقع، أو الجواب عن الأسئلة التي يطرحها هذا الواقع من خلال مايكتنفه من غموض في الموقف.

وقد صرَّح بأهمية هذه الخصيصة في (المنهج) عند تناوله للتفسير الموضوعي في المحاضرة الأولى والثانية من كتاب (المدرسة القرآنية):

(وخلافاً لذلك المفسّر الموضوعي فانه لا يبدأ عمله من النص بل من واقع الحياة ويركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب آثار الفكر الانساني

حول ذلك الموضوع من مشاكل وماقدّمه من حلول وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة)[١١].

ونحن وإن كنّا نختلف مع سيدنا الشهيد في جعل هذه الميزة من خصائص (التفسير الموضوعي) في مقابل المنهج التقليدي (التجزيئي)[١٢] بدليل نمو الأبحاث ذات البعد الموضوعي بهذا المعنى في ظل التفسير التجزيئي أيضاً، ويمكن معرفة ذلك بوضوح من خلال مراجعة الأبحاث التفسيرية في كل مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامي، حيث نجدها تعالج المشكلات المختلفة المطروحة على الساحة الاجتماعية والواقع الموضوعي، إلاّ انّ ماذكره خصيصة لابد أن يتصف بها المنهج الصحيح في التفسير سواء كان موضوعياً أو تجزيئياً.

وعدم توفرها في بعض أبحاث التفسير التجزيئي لا يعني انها ليست من الخصوصيات المطلوبة فيه، أو ان عدمها من الخصوصيات الملازمة له، بل يمكن أن يكون في التفسير التجزيئي نفس الخصوصية السابقة التي ذكرها وذلك من خلال دراسة الظروف المماثلة القائمة وتطبيق الحكم القرآني فيها.

---

(١١) يراجع التفسير الموضوعي ـ ص
(١٢) يراجع التفسير الموضوعي ـ ص

٢ـ التفاعل مع التجربة الانسانية، وقد أشار السيد الشهيد (قده) إليها ضمن الخصيصة الأولى، ويمكن أن تذكر كخصيصة أخرى إلى جانب الخصيصة الأولى.

والمقصود من التفاعل مع التجربة الانسانية ليس هو التفاعل بها، بل طرح المشاكل التي أنتجتها التجربة والحلول التي توصلت إليها، أو الأسئلة التي أثارتها، بل المقصود طرح كل ذلك على القرآن للتعرف على الموقف الصحيح منها كما صرّح الشهيد بذلك في كلامه.

٣ـ الاطار الاسلامي والعقائدي في فهم الظاهرة القرآنية، وانها ظاهرة مرتبطة بالوحي الألهي، وانها جاءت لهداية الناس واخراجهم من الظلمات إلى النور، وبناء المجتمع الانساني المتكامل لتحقيق الحق والعدل. فانّ هذه الخلفية العقائدية وتفاصيلها لها أثر في فهم النصوص القرآنية.

وقد أشار الشهيد إلى هذه الخصيصة في محاضراته في علوم القرآن، وأشار إلى بعض الآثار المهمة لهذه الخلفية[١٣].

٤ـ الموضوعية بمعنى تقسيم القرآن الكريم إلى موضوعات متعددة عقائدية واجتماعية وكونية من أجل دراستها واستكشاف (النظرية القرآنية) حولها بعد ملاحظة جميع الآيات التي تعرض فيها القرآن

---

(١٣) يراجع علوم القرآن ـ ص

الكريم إلى ذلك الموضوع والتغلغل عمودياً في فهم القرآن من خلال استنباط النظرية الكلية منه.

وقد شرح الشهيد الصدر هذه الخصيصة بصدد ترجيح منهج التفسير الموضوعي على منهج التفسير التجزيئي، واكد هنا أهمية اكتشاف النظريات القرآنية في هذه المرحلة التاريخية من مسيرة الانسان والمواجهة الحضارية التي يخوضها الاسلام مع أعدائه.

فيما يتعلق بالخصيصة نفسها قال بتلخيص نقطتين:

(التفسير الموضوعي يطمح إلى ماهو أوسع من ابراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية لأنه يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات ويصل إلى مركب نظري قرآني: (نظرية عن النبوة)، (نظرية عن المذهب الاقتصادي)، (نظرية عن سنن التاريخ).

وفيما يتعلق بضرورة استنباط هذه النظريات يقول:

(قد يقال: ما الضرورة لتحصيل هذه النظريات الأساسية مع اننا نجد بأن النبي لم يعط هذه النظريات بصيغ عامة وانما أعطى القرآن بهذا الترتيب!).

وبصدد الجواب عن هذا التساؤل:

يذكر المؤلف الفرق بين عصر الرسول والعصر الحاضر ويخلص إلى انّ الصحابة إذا كانوا لم يتلقوا النظريات بصيغ عامة فقد تلقوها تلقياً

اجمالياً ارتكازياً باعتبار اطار التطبيق الـذي كـانوا يعيشـون ضمنـه في المجتمع الاسلامي الذي أقامه رسول الله (ص).

أما حيث لا يوجد ذلك الاطار تكون الحاجة ملحة إلى اعطاء هـذه النظريات بالاضافة إلى وجود النظريات الحديثة التي يواجهها الانسـان المسلم هذا اليوم من خلال تفاعله مع انسان العالم الغربي حيـث يجـد نفسه بحاجة لتحديد موقف الاسلام منها.

٥ـ الموضوعية: بمعنى اتباع المنهج العلمي غير المتحيز والمتأثر بـالمواقف المسبقة من الآيات والنص القرآني.

وقد أشار المؤلف إلى هذه الخصوصية في (المدرسة القرآنيـة) حيـث قال:

[ليست الموضوعية بذلك المعنى ـ أي في مقابل التحيّز ـــ مـن مزايـا التفسير الموضوعي في مقابل التفسير التجزيئي، الموضوعية بذلك المعنى عبارة عن الأمانة في البحث، عبارة عن الأمانة والاستقامة على جـادة البحث...].

كما يؤكد ذلك أيضاً في محاضرات علوم القرآن:

"ولابد للمفسّر أن يحاول إلى أكبر درجة ممكنـة الاندمـاج كليـاً في القرآن عند تفسـيره. ونقصـد بالاندمـاج في القـرآن أن يـدرس النـص القرآني ويستوحي معناه دون تقييد مسبق باتجاه معين غـير مسـتوحى من القـرآن نفسـه، كمـا يصنـع كثـير مـن أصحـاب المذاهـب الذيـن

يحاولون في تفسيرهم اخضاع النص القرآني لعقيدتهم المذهبية.. وهذا ليس تفسيراً، وانّما هو محاولة تبرير للمذهب وتوفيق بينه وبين النص القرآني"[١٤].

٦ـ اعطاء الأصالة للقرآن الكريم والاحترام الكامل له والانسجام مع الروح العامة له عند الأخذ بالنصوص الواردة عن المعصومين (ع).

وقد أوضحنا هذه الفكرة عندما تعرضنا لنظرية الشهيد (رض) في تفسير روايات العرض على القرآن في هذه الدراسة.

٧ـ انّ المنهج الصحيح في التفسير هو المنهج الذي يهتم بالظهور البسيط والظهور المعقّد معاً الأمر الذي يؤكد ضرورة الاهتمام في تفسير الآية القرآنية بالآيات القرآنية الأخرى التي تشكل قرينة على تفسيرها وتوضيحها باعتبار انّ القرآن الكريم يمثّل كلاماً واحداً متصلاً بعضه ببعض آخر، الأمر الذي يجعل الظهور القرآني ظهوراً معقداً يحتاج إلى الاجتهاد والجهد في تبيينه وتوضيحه.

وقد أشار (قده) إلى هذه الخصوصية في المنهج التفسيري عندما تحدّث عن المعنى اللغوي للتفسير وجعله شاملاً لموارد الظهور اللفظي، فقال:

---

(١٤) يراجع علوم القرآن ـ ص

(ومن أجل التعرّف على موارد الظهور التي ينطبق عليها التفسير، والموارد التي لا ينطبق عليها معنى التفسير نقسّم الظهور إلى قسمين:

أحدهما: الظهور البسيط وهو الظهور المستقل المنفصل عن سائر الظواهر الأخرى.

والآخر: الظهور المعقد وهو الظهور المتكوّن نتيجة لمجموعة من الظواهر المتفاعلة...)[١٥].

فهو يرى انّ حقيقة التفسير هي عملية المقارنة بين الظهورات المتعددة المتفاعلة للخروج منها بظهور متكامل:

وليست عملية التفسير الذي معناه الكشف بيان معنى الظهور البسيط الذي يكون المعنى فيه مكشوفاً عادة أو بياناً لمفهومه اللغوي.

٨ـ الاهتمام (بتفسير المعنى) إلى جانب الاهتمام (بتفسير اللفظ) فانّ التفسير الحقيقي هو ذلك التفسير الذي يتناول مايؤدي إليه المعنى من مصاديق ومايجري عليه المعنى من حالات لا مجرّد بيان المعنى اللغوي للفظ الذي هو تفسير اللفظ.

(١٥) يراجع علوم القرآن ـ ص

وقد أشار إلى هـذه الخصوصيـة عندمـا تحـدث عـن أهميـة تقسيـم التفسير إلى (تفسير اللفظ) و (تفسير المعنى) وأهمية التمييز بين هذيـن القسميـن.

وقـد شـرح ذلـك عندمـا تحـدّث عـن كلمـة (التـأويل) وتفسـيرها والفرق بينها وبين كلمة (التفسير).

ويبدو من خلال ذلك انّ مهمـة (تفسـير المعنـى) إن لم تكـن أشـد تعقيداً في الجهد وأعظم فائدة من مهمة (تفسـير اللفـظ) فهـي ليسـت بأقل من ذلك.

ومن هنا يصبح هذا اللون من الممارسـة عمـلاً ضروريـاً ومهمـاً في منهج التفسير.

٩ـ تبقى هناك نقطة مهمة لم يذكرها الشهيد (قده) في منهج التفسـير بشكل واضح وهي:

تفسير النص القرآني في اطار الهدف من نزول القرآن وهو (الهدايـة والتغيير) والظروف الموضوعية التي أحاطت بنزول القرآن فـانّ تفسـير القرآن في هذا الاطار سوف يعرفنـا علـى المنهـج الـذي اتبعه القـرآن الكريم في عملية التغيير ومدى الفرصة في تطبيق هـذا المنهـج القرآنـي على الظروف الموضوعية التي تواجهنا في عملية التغيير دائماً.

فانّ القرآن الكريم اتبع طريقة خاصـة في عـرض المفـاهيم واسـلوباً خاصاً في هذا العرض.

فلم يتبع القرآن الكريم طريقة طرح المفاهيم على شكل موضوعات منفصلة بعضها عن الآخر فضلاً عن طريقة عرض النظريات المستخلصة عن تلك المفاهيم وهذه الطريقة لها أهدافها التربوية والتغييرية التي أشرنا إليها في الحديث عن الهدف من نزول القرآن[16].

وجاء منهج التفسير التجزيئي مواكباً لهذه الطريقة وهذا الاسلوب في العرض ومساهماً في تحقيق الهدف العام من القرآن الكريم.

وبذلك برز الدور الذي يمكن أن يقوم به التفسير التجزيئي الذي يواكب في الحقيقة الطريقة القرآنية في التغيير مثلما كان يواكب القرآن عملية التغيير، ويحاول (التفسير التجزيئي) أن يبرز الخصائص المرتبطة بهذا الهدف التغييري، كالسياق المعنوي والعلاقات التغييرية بين مجموعة المفاهيم التي يوضحها القرآن الكريم.

وحينئذ سوف تبرز أهمية الطريقة التي اتبعها القرآن الكريم في عرضه للمفاهيم والأفكار، والتي لابد لمنهج (التفسير التجزيئي) أن يهتم بابرازها في مقابل منهج (التفسير الموضوعي)، فاننا نختلف مع سيدنا الشهيد الصدر في ترجيحه لمنهج التفسير الموضوعي على منهج التفسير التجزيئي بشكل مطلق.

---

(١٦) يراجع كتاب الهدف من نزول القرآن ص .

بل انّ التفسير الموضوعي يتميز باستنباط النظرية القرآنية، والتفسير التجزيئي يتميز بتجسيد منهج القرآن في طرح الأفكار المتعددة والمتداخلة وابراز العناصر المؤثرة في تحقيق هدف الهداية والتغيير.

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في بحث مستقل من دروس التفسير[١٧].

* * * * *

(١٧) نشر هذا البحث مستقلاً في مجلة الفكر الاسلامي وهو موجود في مقدمات بحث التفسير وسورة الحمد.

«الجزء الثالث»

الإمام الشهيد الصدر (رض)

النظرية السياسية

كتب هذا البحث في جمادي الثانية ورجب من عام ١٤٠٨هـ.ق وهو ٨ نيسان أو ١٩ فروردين من السنة الشمسية الايرانية، قبيل الذكرى الثامنة لاستشهاد آية الله العظمى الصدر (رض). ولابد أن ننبه انّ اللقب العلمي والديني في أوساط الحوزة العلمية للشهيد الصدر هو (آية الله العظمى) حيث يعتبر هذا اللقب خاصاً بالمراجع المعترف بهم، ولكننا اقتصرنا في حديثنا على لقب (الشهيد) لما فيه من بعد معنوي وسياسي واختصاراً في الحديث.

وقد طبع هذا البحث في نسخ متعددة لا تتجاوز الثلاثين نسخة ووزع على عدد محدود أيضاً ثم أدخلت عليه بعض التوضيحات وطبع بهذا الشكل وتوجد ملاحظات ونقاط تكميلية أخرى سيتم درجها في المستقبل انشاء الله ، والبحث انّما كتب بهدف التوثيق والأمانة التاريخية وتدوين أفكار ونظريات ومواقف الشهيد الصدر كما فهمتها ورأيتها عن كثب، وأرجو من الله القبول ومن القارئين والمطلعين أن ينظروا إليه نظرة موضوعية بعيدة عن التحيز أو الظنون، والله الموفق للسداد وهو نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة:

عندما نريد أن نتناول النظرية السياسية عند الشهيد الصدر (رض) لأبُدَّ أن نفهم منذ البداية المراد من مصطلح (النظرية السياسية)، حيث يوجد جانبان من البحث في هذا المجال أحدهما الجانب الذي يرتبط بنظرية الحكم والدوله والآخر الجانب الذي يرتبط بالعمل السياسي الحركي واطاره العام في المجتمع والامة ولا سيما في ظروف ما قبل قيام الدولة الشرعية سواء كانت الدولة القائمة كافرة أو إسلامية جائرة.

وفي هذا البحث نحاول أن نتناول الجانب الثاني ونقصد به نظام العمل السياسي أو الاطار العام للتحرك السياسي في المجتمع الإسلامي لممارسة عملية التغيير والهداية للناس ضمن الخطوط الثابتة والضوابط والمقاييس العامة والأخلاق الاسلامية التي جاءت بها الشريعة والقرآن الكريم.

وأما الجانب الأول فقد كتب فيه الشهيد الصدر في أواخر أيامه ضمن كرّاسات طبعت تحت عنوان [الإسلام يقود الحياة] ولاسيما كراس (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء) وكراس (تصور عن دستور الجمهورية الاسلامية)، وسوف نشير إجمالاً إلى تصوراته في هذا المجال.

ونسبة (النظرية السياسية) إلى الشهيد الصدر نقصد منه ما كان يفهمه الشهيد الصدر في تصور هذا (النظام للعمل) و (الاطار العام)

للتحرك في الاسلام والشريعة الاسلامية. ويمكن أن نتعرف على معالم وجهة نظره في هذه النظرية السياسية من خلال مراجعتنا الاجمالية للأعمال الفكرية والنشاطات السياسية التي قام بها أو ساهم فيها الشهيد الصدر (رضوان الله تعالى عليه) وأقواله وتصريحاته وبعض محاضراته وهي كثيرة.

ولكن يمكن أن نشير بشكل إجمالي إلى مجموعة منها:

فعلى مستوى الأعمال الفكرية يمكن أن نذكر ما دونه الشهيد الصدر في الكراس الصغير الذي تناول فيه اطروحة المرجعية الموضوعية أو ما كتبه من شرح أسس (الدولة الاسلامية)[١]. وكذلك مادونه في بعض رسائله الخاصة حول دلالة آية الشورى على أساس الحكم الإسلامي. وكذلك مادوّنه في بعض الكراسات التي كتبها في أواخر حياته تحت عنوان (الاسلام يقود الحياة) مثل كراس (دستور الجمهورية الاسلامية) و (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء).

وتبنيه ـ أخيراً ـ لنظرية (ولاية الفقيه) التي يستند فيها إلى التوقيع المعروف المروي عن الامام الحجة (عج)، [**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله**][٢].

(١) كتب الشهيد الصدر (رض) هذه الأسس في بداية تأسيس حزب الدعوة الاسلامية في أوائل سنة ١٣٧٨هـ، أواخر سنة ١٩٥٨م، ثم شرحها وأصبحت مادة ثقافية تدرس في حلقات الحزب، و لم تنشر هذه المادة عن الشهيد الصدر لأنه عدل عن الفكرة الأساسية التي تقوم عليها أسس الدولة الاسلامية وهي فكرة تعيين الولاية من خلال الشورى في الحكم الاسلامي كما سوف نشير إلى ذلك.

(٢) يذكرمصدر الحديث مع الاشارة الى موضع بحثه في الكراسين .

وعلى مستوى الأعمال والنشاطات السياسية فيمكن أن نذكر منها مساهمته في تأسيس حزب الدعوة الاسلامية في أواخر صيف (١٣٧٨هـ)، (١٩٥٨م). ثم خروجه من الحزب في صيف عام (١٣٨٠هـ)، (١٩٦٠م)، وأيضاً مساهمته في تأسيس وإسناد جماعة العلماء في النجف الأشرف، وكذلك إسناده لمرجعية آية الله العظمى المغفور له الامام السيد الحكيم (قده) ومشاركته في مجمل الأعمال السياسية التي كانت تتصدى لها هذه المرجعية، وكذلك رعايته للحركة الإسلامية في العراق بشكل عام ، ثم تصوره لتطور المرجعية الدينية وطيها للمراحل الاربع التي مرت بها والتي كانت آخرها مرحلة (القيادة)، ثم تأسيسه لبذرة شورى المرجعية في إطار مرجعيته الخاصة وطرحه لمسألة فصل العمل المرجعي وجهازه عن العمل التنظيمي الخاص (الحزب) عملياً، ثم تطوّر ذلك إلى فكرة فصل الحوزة العلمية بشكل عام عن العمل التنظيمي الخاص (الحزب) وتصريحاته وفتاواه بهذا الصدد التي تعبّر عن موقف سياسي عملي ينطلق من جذور فكرية ، ثم موقفه بعد ذلك من دور التنظيم الاسلامي في الحركة السياسية العامة والذي تجسَّد بتعيين ممثل له لدى بعض أطراف الحركة الاسلامية، ثم تسليم بعض الأطراف الأخرى لقيادته بعد انتصار الثورة الاسلامية، ومبادرته لتأسيس حركات ومكاتب اسلامية في الخارج وتعيين الممثلين الوكلاء والعلماء في مختلف المناطق بعد تصديه للمرجعية الدينية وقبلها.

لقد كانت حياة الشهيد الصدر (رض) زاخرة بالأحداث والمواقف والأعمال والنشاطات السياسية والفكرية ولذلك يحتاج هذا البحث إلى

دراسة مستفيضة وتتبع لجميع الأقوال والنشاطات والكتابات التي دوّنها الشهيد الصدر ولكن من خلال معايشة قريبة لمسيرة اعماله ومواقفه استمرت لمدة أكثر من أربع وعشرين سنة، أي منذ سنة ١٣٧٦هـ وحتى سنة ١٤٠٠هـ التي استشهد فيها (رضوان الله عليه)، وكذلك من خلال مراجعة سريعة لمجمل أعماله يمكن أن نتعرّف على تصور إجمالي واضح لنظريته السياسية[٣].

ومن الواضح إنّ البحث في هذا الموضوع الشائك قد يثير بعض التحفظات أو الأسئلة أو ردود الفعل والانفعالات لدى هذه الجماعة أو تلك بسبب متبنياتها الفكرية والسياسية أو مواقفها مع حرصها ان لاتبدوا بعيدة عن الشهيد الصدر ولكن يبقى من الضروري أن نثبت الافكار والمواقف التي تبناها الشهيد الصدر كواجب أخلاقي وعلمي وتاريخي ، ولذلك نرى ـ إنسجاماً مع الظروف التي تعيشها المرحلة السياسية الحاضرة للقضية الاسلامية العراقية والتي نرى أهمية أن نتجنب فيها الإثارات ذات ردود الفعل العاطفية والنفسية ـ أن نتناول هذا الموضوع بالقدر المحدود الواقعي الذي لا يكون على حساب المصالح الأساسية والمبادئ ذات القيمة العملية في حياتنا. وأداءً مني لبعض الحق والواجب والمسؤولية التي أشعر بها تجاه سيدنا وأستاذنا الشهيد الصدر[٤].

---

(٣) انّ هذه الدراسة الاجمالية يمكن أن تكون أساساً لبحث واسع حول أفكار الشهيد الصدر في هذا المجال، ولعلّ بعض الأخوة الأعزاء من طلاب الشهيد الصدر (رض) أو مريديه تتوفر لهم الفرصة الكافية لتناول هذا البحث.

(٤) لقد طلب مني الشهيد الصدر (رض) قبل وفاته وشهادته أن اكتب عن حياته و لم أوفق لذلك حتى الآن بالرغم من اني وظفت (بعض الطاقات) لذلك وتحدثت عن

ولذلك سوف أحاول ـ قدر الأمكان ـ تجنُّب المناطق الحساسة أو الأرقام ذات الطبيعة السلبية أو التفسير بالنوايا ونكتفي بذكر الشواهد التي تؤكد النظرية مع قطع النظر عن ملابساتها الخارجية أو علاقاتها ذات الطبيعة الشخصية.

الشهيد الصدر في كثير من المجالات، وهذه الكتابة وغيرها مثل التفسير عند الشهيد الصدر أو بعض رؤاه السياسية والفكرية حول المرجعية والقيادة تأتي مساهمة جزئية في هذا المجال.

مسار البحث

وأعتقد انّ البحث لابد أن يأخذ مسارين من أجل توضيح الفكرة كما أشرت في البداية.

أحدهما: المسار النظري الذي يمكن نتتبعه من خلال أعمال الشهيد الصدر الثقافية والفكرية.

والآخر: المسار العملي الذي يمكن معرفته من خلال تتبع ومراقبة الحركة والمواقف السياسية للشهيد الصدر.

ومن خلال المقارنة والموازنة بينهما تصبح الفكرة اكثر وضوحاً ويمكن أن نجد التفسير لبعض المواقف والافكار التي قد تبدو ـ أحياناً ـ انّها غير منسجمة أو متناسقة.

وقد كتبت هذه الأوراق ـ على الأكثر ـ اعتماداً على الذاكرة والمشاهدات التي عشتها طيلة الفترة السابقة، وأرجو أن لا تكون قد خانتني ذاكرتي.

كما أرجو منه تعالى السداد والتوفيق والقبول فهو ولي التوفيق والسداد وهو نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

النظرية السياسية

المسار النظري

نظرية الشورى والحزب

لقد بدأ الشهيد الصدر (رض) تصوره للنظرية السياسية انطلاقاً من عدة نقاط فقهية وعملية.

الأولى: إنّ الشهيد لم يتم لديه دليل واضح على صيغة الحكم الاسلامي بشكل خاص. حيث كتب في بداية تكوين التصور السياسي رسالة ناقش فيها جميع الأدلة التي يذكرها الفقهاء على الصيغة الخاصة للحكم الاسلامي سواء روايات ولاية الفقيه المطلقة، أو دليل الحسبة وحفظ النظام(٥) الذي كان يراه دليلاً قاصراً عن الوفاء بجميع متطلبات الدولة والحكم الاسلامي في العصر الحاضر. واتذكر بهذا الصدد انه بعد أن دوّن هذه الرسالة قمت بطرحها على أحد الفقهاء المعروفين في النجف الأشرف ـ وهو آية الله الشيخ حسين الحلي ـ حيث أعجب بها، وإن لم يكن يتفق مع الشهيد الصدر في نتائجها.

---

(٥) دليل الحسبة هو دليل يستند إليه الفقهاء في الحالات والموارد التي لا يثبت فيها دليل خاص على الولاية سواء كانت في الشؤون العامة للأمة كولاية الحكم وادارة شؤون الأمة أو تعيين المواقف العامة لها أو الخاصة كولاية الأوقاف والأيتام أو القاصرين.. وفي حالة لا يمكن أن تترك فيها الأمة أو المورد بدون ولي حيث ثبت في الشرع اهتمام الشارع بها بشكل يؤدي إلى القطع بضرورة وجود الولي لها وعدم جواز اهمالها مثل حفظ النظام أو الدفاع عن العقيدة الاسلامية أو حفظ أموال القاصرين.

وعندئذ يعمد الفقهاء إلى انتخاب الولي الذي يجمع أفضل المواصفات وهو المجتهد العادل الجامع للشرائط، وعند فقدانه يتم الانتقال إلى الفرد الأقل إلى أن يصل إلى عدول المؤمنين أو المتصدين للولاية إن لم يتصد لها أحد.

الثانية : الاستفادة من آية الشورى (وأمرهم شورى بينهم) الدلالة على امكان إقامة الحكم الاسلامي على قاعدة الشورى باعتبار انّ الحكم واقامة الدولة يمثل أمراً مهماً من أمور المسلمين ولا يمكن تجاهله في مجتمعهم لأن التجاهل يؤدي إلى تهديد أصل الدين بالاضافة إلى سيطرة الكفّار وعقائدهم على المجتمع الاسلامي.

ولابد من الالتزام بحكم الاكثرية في الشورى لأن الاجماع في الأمور الاجتماعية أمر نادر، وهذا يعني انّ اقامة الحكم على أساس الشورى يعني الرجوع إلى الاكثرية وإلاّ تعطّلت آية الشورى ولم يكن لها مدلول عملي[٦].

الثالثة: انّ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الاسلام والدين من أهم الواجبات "الإسلامية، ولما لم تكن هناك طريقة محددة واطار سياسي عام مشخص لهذه الدعوة فيمكن انتهاج كل اسلوب مؤثر في هذا المجال ويعطي للمسلمين القوة والقدرة على تحقيق هذا الهدف أو القيام بهذا الواجب الاسلامي.

وحينئذ يمكن طرح اسلوب (التنظيم الحزبي) كأفضل طريقة تجريبية توصل إليها الانسان في التحرك السياسي حيث انها الطريقة المتبعة والمعروفة الآن في المجتمعات الانسانية (الحضارة الغربية والشرقية) والتي أثبتت جدواها وتأثيرها من خلال التجربة.

---

(٦) شرح أسس الدولة الاسلامية الذي كتبه الشهيد الصدر يقوم على قاعدة الشورى وانطلاقاً من الاستدلال بها.
و قد تناولنا هذا الموضوع في كتابنا (الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق).

كما إنّ هذه الطريقة هي التي يمكن أن تواجه هذا الأسلوب الجذّاب في المجتمع الانساني الذي اعتمدته الايديولوجيات والنظريات الحديثة الوضعية(٧).

الرابعة: إنّ للفقهاء في النظرية الاسلامية وفي التاريخ الاسلامي دور متميّز، أما على مستوى النظرية فنجد ذلك واضحاً في مجال استنباط الأحكام الشرعية وفي القضاء الاسلامي، وأما على مستوى التاريخ الاسلامي فان الأمة ارتبطت بالفقهاء عملياً وواقعياً خصوصاً في أوساط أتباع أهل البيت (ع) بحيث أصبحت تقدسهم وتنقاد لهم وينظر إليهم كنوابٍ عن الامام (ع) وحكام للناس والشريعة. وهذه حقيقة عقائدية وتاريخية لا يمكن تجاهلها في العمل السياسي ولا يمكن التفكيك عمليا بين هذا الواقع العقائدي والتحرك السياسي حتى لو انتهينا إلى التفكيك بين المرجعية في الفتوى والقيادة السياسية على المستوى النظري، ولذا لابد من منحهم هذا الدور في التصور النظري للتحرك السياسي.

---

(٧) مقالة منشورة في أدبيات حزب الدعوة الاسلامية منسوبة إلى الشهيد الصدر يشير فيها إلى هذه الفكرة، على انه اعتمدنا بالأصل إلى ما كان يذكره (قده) في أحاديثه حول هذا الموضوع.

القيادة الواقعية والقيادة الواجهية

وعند التركيب بين هذه المفردات الأربع، نجد انه يمكن تأسيس الحزب الاسلامي الذي يتبنى الدعوة إلى الاسلام وتنظيم جماعة المسلمين ويدعو إلى اقامة الحكم الاسلامي على أساس الشورى والديمقراطية التعددية ضمن الإطار والضوابط الاسلامية العامة، ويكون للفقهاء في هذا الحزب والحكم الاسلامي دور المتخصصين في القضايا الاسلامية النظرية التي يمكن الرجوع اليهم فيها شأنهم في ذلك شأن ذوي الاختصاص الآخرين في مختلف القضايا العلمية.

وتتم إدارة البلاد من المتخصصين في الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والمالية... تحت اشراف الفقهاء الذين لابد لهم أن يمارسوا تخصصهم من أجل ضمان سلامة المسيرة الاسلامية في هذه المجالات. دون أن يكون لهم دور خاص بما هم فقهاء في القيادة والادارة الاسلامية هذا على مستوى النظرية.

ولكن من الناحية العملية والواقعية يمكن الاستفادة من الطاقات الهائلة التي يملكها المراجع والحوزة العلمية والامكانات الكبيرة في التبليغ والتوعية وعلاقة التقديس من الأمة لهؤلاء الفقهاء ويتم ذلك عن طريق تحويل الواجهة القيادية في الأمة إلى العلماء وعن طريق المزاوجة والتلفيق بين التنظيم الخاص والجماعة الواعية في الحوزة والمرجعية الرشيدة بحيث يتحول الحزب إلى قيادة واقعية تنظم حركة الأمة،

والمرجعية إلى قيادة واجهية تمنح الفكر الاسلامي الأصيل والقدسية للتحرك الاسلامي في أوساط الأمة، كما انّها توظّف اكبر الطاقات لخدمة هذا العمل الاسلامي.

وهذه النتائج التي توصل إليها آية الله الشهيد الصدر تعني ـ بطبيعة الحال ـ مشروعية العمل الحزبي من خلال اختيار الامة له ككل أو كجماعة من الأمة باعتبار دلالة آية الشورى، بحيث تكون الأمة لها القيمومة والنظارة والاختيار بشأن العمل الحزبي من ناحية.

كما انّه يمكن لها أن تختار تعدد الأحزاب والتشكيلات السياسية أو اختيار أي منهج آخر للعمل تراه مناسباً لحركتها وتطلّعاتها وأهدافها من ناحية أخرى.

حيث انّ هذا التصور للنظرية يعني إنّ الشارع المقدّس لم يعين اسلوب العمل السياسي ومنهجه، وإنما تركه للانسان، ويفترض إن منهج العمل الحزبي هو أفضل أسلوب توصل إليه الانسان في العصر الحديث، فعندما يتوصّل الانسان في ضمن ظروف معيّنة أو من خلال دراسة التاريخ الانساني إلى اسلوب ومنهج أفضل فلابد أن يكون ذلك المنهج هو المختار.

وهذه النقطة كانت ولا زالت تشكل نقطة ضعف مهمة في هذه النظرية حيث تفترض انّ الاسلام الذي عالج مختلف القضايا في الكون والمجتمع قد ترك معالجة هذه النقطة المهمة في حياة الانسان وهي (منهج العمل السياسي) فلم يحدد المنهج العام له وانما تركها نقطة فراغ يعالجها الانسان حسب الظروف والتطورات.

مع إنّ التاريخ الذي يعرضه القرآن الكريم عن سيرة الأنبياء وأعمالهم لا توجد فيه أي اشارة إلى مثل المنهج الحزبي وانما كان يتمثل في منهج عام متشابه وهو منهج النبوة والامامة والبلاغ[٨].

(٨) هناك بحث مستقل لنا حول هذا الموضوع لعلّنا نوفّق لطبعه، وقد تم نشر بعض فصوله ومعالمه في جريدة لواء الصدر تحت عنوان (النظرية الاسلامية في التحرك السياسي).
وهنا لا بد أن نشير إلى انّ المقصود من نظرية المرجعية هو نظرية (الولاية) أو (الامامة).

رؤيـة الامام الحكيم (قده) للعمل السياسـي

ومن الجدير بالذكر انّ رؤية الامام الحكيم (قده) ـ الـذي كـان يمثـل (المرجعية) في ذلك العصر ـ للأمور ومسلكيتـه كـانت تختلـف في هـذه المرحلة عن رؤية الشهيد الصدر ومتبنياته العملية، إلاّ انّ هذا الاختلاف بينهما لم تكن له آثار عملية مهمة تنعكس على الواقع الخارجي في هذه المرحلة، وإن انعكست آثاره بعد ذلك على الواقع العملـي والسـبب في ذلك يعود إلى عدة نقاط:

أ ـ إنّ معالم النظرية لم تكن واضحـة بشـكلها الكـامل في البدايـة وانمـا أخذت تتوضح تدريجياً من خلال الممارسة الخارجية.

ب ـ إن طبيعة المرحلة كانت طبيعة عمليـة عامـة في مواجهـة التيـارات الفكريـة والسياسـية الكـافره أو المنحرفـة، والقضايـا فيهـا كـانت مشتركة. كما انّ التنظيم الخاص ـ في ذلـك الوقـت ـ لم يكـن لـه وجـود واضـح ليكـون لـه دور وأثـر مهـم علـى مجـرى الأحـداث الواقعيـة، وكـانت أفكـاره وتشـكيلاته سرّية، وكـان يمـر بمرحلـة التأسيس ثم المرحلة الثقافية.

بالاضافـة إلى أنّ أبنـاءه كـانوا يرتبطـون واقعيـاً بمرجعيـة الامـام الحكيم بشكل عام في التقليد وفي التحرك الثقافي والسياسي العام.

جـ ـ سعة الصدر والاخلاص والاخلاقية العالية التي يتمتع بها كل مـن الامام الحكيم والشهيد الصدر (رحمهما الله).

ويمكن أن نلخّص نقاط الاختلاف ـ في هذا المجال ـ بين رؤية الامام الحكيم والشهيد الصدر في الأمور التالية:

١ـ ولاية الفقيه، حيث كان يرى الامام الحكيم الولاية للفقيه بمستوى معين مستنداً إلى دليل (الحسبة) وبعض النصوص الأخرى في بعض الموارد[٩] وضرورة إقامة الحكم الإسلامي حفاظاً على كرامة الدين وعزته وعقيدة المسلمين وإنّ الفقيه يمثل القدر المتيقن الذي يتولى ذلك. وكان يمارس هذا الدور عملياً في حدود المجالات التي تنالها يد الفقيه وقدرته.

٢ ـ (المرجعية الدينية) هي الأطار الأفضل للعمل الاسلامي ونشاطاته ولذا لم يتخذ الامام الحكيم العمل المنظم الخاص قاعدة أساسية للعمل السياسي بل اتجه بشكل عام لتشجيع العمل العلمائي كقاعدة وأساس وإن كان يؤيد العمل الحزبي المنظم باعتباره مؤسسة ومفردة اسلامية يمكن أن يكون لها دور محدد في خدمة الاسلام. وكان يتعامل مع هذه المفرده بتحفظ ملحوظ.

٣ـ إنّ الوسط الحوزوي والوكلاء وأمثالهم يشكلون حلقة الوصل الطبيعية بين الأمة والقيادة الاسلامية المتمثلة بالفقيه الجامع للشرائط. في نفس الوقت الذي يمكن للأحزاب السياسية والجمعيات ذات الأهداف المختلفة القيام بهذا الدور في أوساط محدودة كوسط طلاب الجامعات والموظفين وأمثالهما.

---

(٩) الحسبة مصطلح فقهي يراد منه ضرورة ووجوب التصدي للقيام ببعض الأعمال التي يقطع بأن الشارع المقدس لا يرضى باهمالها وتركها على حالها مثل إدارة شؤون الأيتام والأوقاف التي لا ولي لها وكذلك اقامة النظام للحياة الاجتماعية وتنفيذ الواجبات العامة كما أشرنا سابقاً.

٤ ـ إستقلاليــة المرجعيــة عــن العمــل المنظّــم الخــاص (العمــل الحزبــي) واصالتها وضرورة بقاءها على قدسيتها ونقاءهــا بعيــداً عــن الظنــون أو الشكوك أو الأوهام التي قد تحيط بالعمل الحزبي.

ومن هنا نجد الامام الحكيم يطلب من ولده السيد مهدي وكذلــك مــن الشهيد الصدر الخروج من التنظيم[١٠]، ويعلّل ذلك بأنهما مرتبطان بــه ولا يصح أن يكونا مرتبطين بالتنظيم، الأمر الــذي قــد تكــون لــه آثــار سلبية على المرجعية نفسها.

٥ـ (السرية)، حيث كان الامــام الحكيــم يــرى انّ القيــادة لا يصــح أن تكون ســرّية في إطــار الجماعــة الــتي ترتبــط بهــا، وانَّ ذلــك يــؤدي إلى احتمال وقوع القيادة في خطر الانحراف أو التأثير عليها من الخارج من خلال إرتباطات مشبوهة أو فاسدة، وقد لخّص ذلــك في جــواب أحــد الاستفتاءات بقوله (إذا كانت القيادة سرية فلا يمكن الانقياد إليها لأنها إذا كانت ذكية يخاف منها وإذا لم تكن ذكيــة فيخــاف عليهــا). وهــذا التصور ينطلق من نقطة نظرية مبدأية ترتبط بالرواية المشــهورة المتواتــرة (من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) حيث يفهم من هذا الحديــث انّ (معرفــة) المــأمومين للإمــام قضيــة أساســية في النظريــة الاسلامية.

ومن نقطة سياسية أدركها الامام الحكيم من خلال تجربتــه ومعاناتــه السياسية ومراقبته للأحداث التي اجتاحت العالم الاسلامي منــذ حركــة

---

(١٠) كان لخروج الشهيد الصدر من التنظيم سبب آخر مضافاً الى هــذا الطلــب ســوف نشير اليه. (يذكر هنا النص حول طلب الامــام الحكيــم الموجــود في رســائل الشــهيد الصدر).

المشروطة في ايران وحركة الجهاد ضد الانجليز في العراق وثورة العشرين والتطورات السياسية الأخرى حتى سقوط الملكية. حيث إنّ القيادة عندما تكون معروفة تكون تحت رقابة الجماعة ويشكل ذلك ضمانه نسبيه كبيرة من الانحراف، أو أن تدرك الأمة ذلك الانحراف بسرعة كما تكون تفاصيل الحركة تحت الأضواء.

وقد انتهى الشهيد الصدر (قده) بعد ذلك إلى الالتقاء مع رؤية الامام الحكيم، كما سوف يتضح ذلك نظرياً وعملياً.

وهذا الاختلاف في الرؤية أدى بعد ذلك إلى بروز حالة الانفصال النسبي تدريجياً في التحرك السياسي بين موقف المرجعية والكادر الاسلامي الذي تربى في أحضان التنظيم الحزبي والذي كان يرتبط بالمرجعية في تحركها العام كما سوف نلاحظه في المرحلة التالية.

وأيضاً إلى حصول ضعف في الجهاز العام للمرجعية والتي كانت تعتمد في بعض الأحيان على هذا الكادر في تحركها العام، وذلك من خلال التداخل في الجهاز كانت له آثار سلبية على التحرك العام، وقد أدرك الشهيد الصدر (رض) كل ذلك فيما بعد كما سوف يتّضِح.

الشك في الشـورى والحـزب

وفي تطور آخر أصاب الشـهيد الصـدر (رض) الشـك في دلالـة آيـة الشورى على الحكم الاسلامي من خلال شبهة كنت قد أثرتهـا حـول آية الشورى في بداية تكوّن النظرية، ولكنه أجـاب عنهـا في حينـه ثـم بدأ له صحتها بعد ذلك. وقد دوّن هذه الملاحظات ضمن مجموعة مـن المراسلات(١١).

وهذا الشك في دلالـة آيـة الشـورى انتهـى بـه إلى الشـك في صحـة العمل الحزبي بمعناه الواسع الذي لامعنى ـ له ـ في نظر الشـهيد الصـدر

---

(١١) لقد كتب الشهيد الصـدر رسـالة إليَّ في محرم ١٣٨٠هـ حيث كنت حينذاك في لبنان، أشار فيها إلى هذا الأمر ـ لازلت محتفظاً بها ـ نذكر مقتطفات منها:

((... وقعت منذ اسبوعين أو قريب من ذلك في مشكلة وذلك أثناء مراجعتي أسس الأحكام الشرعية وبعدها، وحاصل المشكلة التوقف في آية ﴿وأمرهم شورى بينهـم﴾ التي هي أهم تلك الأسس وبدونها لا يمكن العمل في سبيل تلك الأسس مطلقاً، كمـا كنت اكرر ذلك في النجف مراراً، ومنشأ التوقـف وجهـان أو وجـوه أهمهـا أنـي لم أستطع أن أجيب على الاعتراض الذي اعترضته أنت على الاستدلال بالآية وان كنـت أجبت عنه في حينه ولكن الجواب يبدو لي الآن خطأ...)).

((... واذا تم الاشكال فانّ الموقف الشرعي لنا سـوف يتغيّر بصـورة أساسـية، وانّ لحظات تمر عليَّ في هذه الأثناء وأنا أشعر بمدى ضرورة ظهـور الفرج وقيـام المهـدي المنتظر (صلوات الله عليـه)، ولازلـت أتوسّـل إلى الله تعـالى أن يعرّفـني علـى حقيقـة الموضوع ويوقفني إلى حل الاشكال، ولكني مـن جهـة أخـرى أخشـى وأخـاف كـل الخوف من أن تكون رغبتي النفسية في دفع الاشكال وتصحيح مدعياتنـا الأوليـة هـي التي تدفعني إلى محاولة ذلك. وعلى كل حال فانّ حالتي النفسية لأجـل هـذا مضطربـة وقلقة غاية القلق، وما الاعتصام إلا بالله، وأني اكتب هذه المسألة إليك أيهـا الحبيـب المفدى لتشاركني التأمّل فيها وتعيين موقفنا منها بصورة أساسية...)).

آنذاك ـ إلاّ إذا كان يتضمن تصوراً كاملاً عن نظرية الحكم الاسلامي وطريقة ممارسته فاذا لم تكن النظرية حول الحكم الاسلامي واطاره ومؤسساته واضحة فكيف يمكن ايجاد تنظيم يسعى إلى هذا الهدف دون أن يكون نفس الهدف واضح المعالم.

وعلى هذا الأساس إنسحب الشهيد الصدر من تنظيم حزب الدعوة[١٢] بعد أن كان يمارس فيه دور القيادة الفكرية والاشراف العام.

ولكنه كان في نفس الوقت يشعر بضرورة وأهمية العمل السياسي الاسلامي المنظم. ولذا بقي يؤيد التحرك السياسي (الخاص) بمستوى من المستويات وسمح للحزب ـ من أجل أن يحل الاشكال الشرعي له ـ ان يستند في شرعيته إلى فتوى بعض الفقهاء أمثال خاله الشيخ مرتضى آل ياسين أو غيره.

كما انّه في الوقت نفسه نقل جهوده بشكل عام إلى العمل المرجعي من خلال مرجعية الامام الحكيم (ره) ومن خلال التوجه الأساسي لبناء الحوزة العلمية الواعية ـ وتربية الطلبة والمبلّغين ـ وتنظيم هذه الحوزة والذي تجسد في أحد مفرداته بتبني الشهيد الصدر (لمدرسة العلوم الاسلامية) في النجف الأشرف والتي كان قد أسسها الامام الحكيم (ره).

---

(١٢) اقترن هذا الشك في دلالة آية الشورى مع طلب الامام الحكيم (قده) منه الانسحاب من الحزب في الحادثة المعروفة التي أشرت إليها في بعض الكتابات، وكان السبب الشرعي الواقعي للانسحاب هو الشك في صحة العمل الحزبي كما أشرنا، بالاضافة إلى المصلحة التي كان قد شخصها الامام الحكيم وكان يرى الشهيد الصدر نفسه ملزماً روحياً وأدبياً بمراعاتها. وقد دوّن ذلك الشهيد الصدر في رسائله الخاصة التي أشرت إليها في الهامش السابق.

نظرية ولاية الفقيه والمرجعية

وبعد فترة من الزمن توصّل الشهيد الصدر (رض) إلى توثيق التوقيع المعروف عن الامام الحجة (عج) [**وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله**] كما انه استفاد من التوقيع المذكور الدلالة على ولاية الفقيه بعد أن كان الفقهاء يستفيدون منه الدلالة على صحة وجواز تقليد المجتهد في الفتاوى الشرعيه فقط حيث كانوا يفسرون الرجوع فيه بخصوص الرجوع إليهم بالفتوى. وأما الشهيد فيفهم منه الرجوع إليهم في قضايا الولاية أيضاً بقرينة (الحوادث الواقعة).

وكان الالتزام بولاية الفقيه فقهياً يمثل تطوراً نوعياً في النظرية السياسية للشهيد الصدر (قده).

ومن هنا نجد الشهيد الصدر يبدأ باعادة ترتيب المفردات السياسية نظرياً في الأمة وفي واقع العمل المرجعي وينتهي بهذا الترتيب إلى النتائج التالية:

أولاً: إطروحة المرجعية الموضوعية، وهي الاطروحة التي يكوّن الشهيد فيها تصوره عن التركيب الذاتي للقيادة واجهزتها ودورها في الأمة. حيث يرى انّ المرجعية القائمة في المجتمع الاسلامي في هذه المرحلة لها الدور القيادي وهي مرجعية في الفتوى وفي الامور السياسية والاجتماعية المرتبطة بالولاية.

والمرجعية الدينية وإن كانت من الناحية الواقعية والعملية تؤدي هـذا الدور إلى حد كبير ـ فعلاً ـــ في حركـة الأمـة وتحفظهـا مـن الانحـراف وتقوم بقيادتها في المواقف الهامة، إلاّ انّ هذه القيادة لابد لها ان تتكامل ذاتياً ، من أجل أن تؤدي دورها بشكل أفضل ويتناسب مـع متطلبـات ظروف مـا بعـد سـقوط الدولـة الاسـلامية بعـد الحـرب العالميـة الأولى وطبيعـة تطـور العلاقـات والاتصـالات بـين أطـراف القـاعدة الشـعبية والاسلامية.

وهذا التكامل الذاتي يتحقق من خلال تحولها من الحالـة الذاتيـة الـتي تعتمد فيها على:

(أ) المرجـع كإنسـان لـه خصوصياتـه العلميـة والأخلاقيـة وأوضاعـه وعلاقاته الاجتماعية التي تنمو معه طبيعياً.

(ب) جهازه الخاص (الحاشية).

(ج) (الوكلاء والمعتمدين الخاصين) الذي يتكون وفق هـذه الأوضـاع، إلى الحالة الموضوعية التي تعتمد على المرجعية كموقع ومؤسسه تتحـرك في الأمة وجهـاز لـه ديمومتـه وشموليتـه واسـتمراريته ومقدماتـه المبدأيـة والنظرية وقدرته القيادية.

" وكـان يعتقـد انّ هـذا التحـوّل يحتـاج إلى توفـر شـروط موضوعيـة مناسبة، وإلى فترة زمنية، وإلى سعي متواصل بهذا الاتجـاه، وانّ المرحلـة التي تعيشها المرجعية الآن ـ (أي ما قبل قيام الدول الاسلامية) وظروفها القائمة تتناسب مع المرجعية الذاتية اكثر مـن المرجعيـة الموضوعيـة مـا لم

تحدث تطورات هامة في وضع المجتمع والمرجعية وتبقى المرجعية (الموضوعية) تمثل هدفاً لحركة المرجعية في طريق التكامل(١٣).

ثانياً: انّ المرجعية الموضوعية ليست بمجرد المرجع والقائد، أو جهازه الخاص (الحاشية)، بل المرجعية الموضوعية تعني شيئاً أوسع من ذلك، فهي مؤسسة واسعة تتكون بالاضافة إلى المرجع الذي يمثل موقع القيادة فيها وجهازه الخاص الذي يمثل الحاشية وهم المستشارون، وكذلك أيضاً الجهاز الإداري التنفيذي لمسؤولياتها ونشاطاتها والذي يجب أن تكون له الديمومة والاستمرار من خلال ارتباطه بالمؤسسه ـ لا شخص المرجع والقائد ـ من جهاز الحوزة والوكلاء (العلماء) والمبلغين وامتداداتها ولابد أن ترتبط الامة بمجموعها مع المرجعية من خلال الاتصال المباشر بهذه المرجعية وأجهزتها.

ثالثاً: لابد أن يكون الاطار العام للتحرك سياسياً في الأمة هو الإطار العام لجهاز المرجعية الذي يبدأ في تكوينه (ذاتياً) ليتحول إلى مؤسسة ذات طابع (موضوعي) حسب ما أشير اليه في النقطة الأولى والثانية إذا تحققت شروطه وظروفه ومقوماته، ومن هنا لابد من تطوير الحوزة العلمية والوكلاء والمبلغين... إلى غير ذلك من أجهزة المرجعية والاهتمام بالمساجد والحسينيات والمدارس العلمية والمؤسسات الإسلامية لِتصبح قادرة على إستيعاب هذا التحرك.

---

(١٣) يمكن الرجوع في هذا التصور إلى الكراس المطبوع بهذا الشأن، كما انه يوجد تلخيص لأفكار الشهيد الصدر حول الموضوع كتبه الحجة السيد كاظم الحائري عندما كان يطرح الشهيد الصدر هذا الموضوع للمناقشة وعلّقت عليه ثم علّق عليه الشهيد الصدر بعد ذلك، وفي هذا التلخيص توضيح وتفصيل لبعض الأفكار المطروحة في الكراس المطبوع.

رابعاً: انّ هذا الاطار السياسي ليس شيئاً جديداً في تاريخ التحرك السياسي البشري بل هو امتداد لحركة الانبياء كلّها ولحركة الائمة(ع) وان هذا يمثل النظرية الاسلامية في خلافة الانسان وشهادة الأنبياء وانّ المرجع يمثل امتداداً للأنبياء والأئمة[١٤].

خامساً: انّ الحركة الاسلامية تمثل مفردة ومؤسسة في الساحة الاسلامية شأنها شأن بقية المفردات والمؤسسات المؤثرة والمتحركة في الأمة، والعلاقة بين القيادة (المرجعية) والحركة الاسلامية (التنظيم الخاص) هي علاقة قيمومة من (القيادة) على (الحركة الاسلامية) مع واجب الاسناد والدعم من المرجعية للحركة الاسلامية ضمن الدعم أو الاسناد لمجمل العمل الاسلامي في الساحة.

ولابد لهذه القيادة أن تمارس تجاهها هذا الدور المزدوج.

غاية الأمر انّ هذه المؤسسة (الحركة الاسلامية) لها دور خاص وهو دور الكادر الوسطي الذي له خبرة نسبية وتجربة. فهي حالة متطورة في حركة عموم الأمة بأتجاه الاسلام وأهدافه واقامة الحكم الاسلامي. ولابد لها أن تتحرك ضمن الاطار العام الذي تتحرك فيه المرجعية وتكون تابعة لها لتقوم بدور خاص أو مهمة خاصة حسب متطلبات الظروف.

---

(١٣) يمكن التعرّف على معالم هذه النظرية من خلال مراجعة كراس المرجعية الموضوعية وكراس خلافة الانسان وشهادة الأنبياء وكراس (دستور الجمهورية الاسلامية) للشهيد الصدر (رض).

كما انّ الحركة الاسلامية (التنظيم الخاص) لا يجب[١٥] أن تقتصر على صيغة واحدة شمولية تستوعب كل الأمة أو جلّها، بل يمكن أن تكون ضمن صيغ ومؤسسات (متعددة) ومتكثرة في وجودها وأهدافها العملية أو المرحلية أو المحدودة لتصب جميعها في الهدف الكبير الأصيل والعام الذي تحمل همّه القيادة الاسلامية.

سادساً: انّ الأمة لها دور الرقابة على حركة المرجعية، كما انّ لها دور انتخاب المرجع من خلال الوسائل الشرعية، أي لها دور اختياره كمرجع لها من خلال اكتشاف الخصائص الموضوعية التي تؤهله للمرجعية بالطرق التي ذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية. أما بشكل طبيعي تدريجي كما هو المتعارف عليه في الأنتخاب من خلال التقليد والرجوع اليه أو من خلال الاقتراع في الصناديق الخاصة عندما تملك ارادتها في الاختيار.

وبهذه الطريقة أصبحت النظرية السياسية لدى الشهيد الصدر واضحة المعالم حيث أصبح المرجع (الولي الفقيه) يمثل (المحور) الأساس في هذا التحرك والعلاقات السياسية. ذلك لأنه يقوم بقيادة التحرك من (جهة) ويمارس عملية الاشراف الفكري والسياسي من (جهة أخرى) ويمثل محور الولاء السياسي للأمة بكل قطاعاتها من جهة ثالثة وأجهزته هي التي تتحرك في الأمة من خلال النشاطات العامة والخاصة فيها [النشاطات العامة : (نشاط المساجد والحسينيات والمدارس..)].

---

(١٥) بل نعتقد انه لا يصح ذلك حيث يؤدي ذلك إلى أن تأخذ الحركة الاسلامية (التنظيم الخاص) ـ واقعيا أو ادعاء ـ موقع القيادة الاسلامية واطارها العام في العمل الاسلامي.

[النشاطات الخاصة: (نشاط تربية العلماء والمبلغين والمتفقهين والحواريين والصفوة، بناء التنظيمات الاسلامية ذات الأهداف المحدودة أو المرحلية (الأحزاب الجمعيات والحركات..)].

ومن الملاحظ أيضاً في هذا التصور النظري للسيد الشهيد (ره) انّه حاول أن يوفّق بين ولاية الفقية ونظرية الشورى من خلال:

١ ـ انتخاب الأمة للفقيه الولي والرقابة العامة التي تمارسها تجاه الحركة السياسية له.

٢ـ المستشارون الذين لا بد أن يرجع إليهم الفقيه في إطار المرجعية الذاتية وحتى المرجعية الموضوعية.

٣ـ المؤسسات المرجعية التي لا بد أن يتم انتخابها أو تأسيسها من قبل المرجع كأجهزة للتحرك في الأمة والتي يتم بناؤها على أساس الانتخاب الطبيعي أو التشريعي[١٦].

---

(١٦) للاطلاع على معالم وخلفيات هذه الفكرة، راجع كتاب (الإسلام يقود الحياة) وكراس خلافة الانسان وشهادة الأنبياء ١٦٧ـ١٧٢، وأيضاً كراس العلاقة بين الشورى والولاية للكاتب ص١٠ـ١٤.

الفصل الثاني

المسار العملي
للنظرية السياسية

إذا أردنا أن نؤرخ المسار العملي للنظرية فعلينا أن نؤرخ للمعالم الرئيسية في التحرك السياسي للشهيد الصدر طيلة فترة حوالي أربعة وعشرين عاماً من حياته وهذا يحتاج إلى تفصيل كثير، ولكن نود هنا أن نرسم الخطوط العامة لهذا التحرك خلال هذه الفترة بالشكل الذي يوضّح الجانب النظري.

وسوف أشير إلى ذلك ضمن تقسيم هذا التحرك إلى مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى:

(الحزب ، وجماعة العلماء ، والمرجعية الرشيدة)

لقد كانت هناك في المرحلة الأولى مفردات ثلاث مهمة في تصور الشهيد الصدر عملياً لابد لها أن تتجانس وتنسجم وتتحرك باستمرار في الساحة السياسية.

الحزب الإسلامي:

الأولى: الحزب الإسلامي الذي يعتمد الفكر الاسلامي الأصيل ويتحمل مسؤوليات التوعية في مختلف المجالات وهي:

أ ـ مجال الأمة والجماهير، حيث يمكن للحزب أن يكون له دور خاص في الأوساط المثقفة من الطلبة الجامعيين وأساتذتهم والأوساط التعليمية وموظفي الدولة... باعتبار إنّ هذه الأوساط كانت تعيش في عزلة نسبية عن نشاط المرجعية والحوزة العلمية للحواجز المصطنعة ـ والتي رسّخها الاستعمار الثقافي والسياسي ـ بين الحوزات العلمية وهذه

الأوساط بحيث أصبح من العسير بناء الجسور والعلاقات المباشرة بين الحوزة وهذه الأوساط.

بالاضافة إلى إنّ فكرة التنظيم السياسي (الحزب) كانت فكرة رائجة لها تأثير نفسي حيث كانت تستهوي هذه الأوساط بسبب التماس المستمر لهذه الأوساط مع التنظيمات السياسية الأخرى الموجودة في الساحة السياسية. وتعتبر الوسيلة الطبيعية للوصول إلى الحكم في تصور الحضارة الأوربية ذات التأثير الكبير في أوساطنا السياسية.

ب ـ مجال الحوزة العلمية وذلك بتربية جيل من طلبة العلوم الدينية الواعين والمنظمين والذين يمكن أن يشكلوا قاعدة قوية يعتمد عليها الحزب في هذا الوسط ذي الأهمية الخاصة والمتميّز اسلامياً واجتماعياً. وفي الوقت نفسه يقوموا بدورهم في توعية الأمة والجماهير وتوعية الوسط العام للحوزة، كما يمكن أن تستند إلى هذه القاعدة المرجعية الرشيدة في تحركها العام.

جـ ـ مجال أجهزة المرجعية الدينية (الجهاز الخاص للمرجعية (الحاشية) أو الجهاز العام للمرجعية المتمثل بالوكلاء والمبلغين والمؤسسات الأخرى للمرجعية) وحتى إقناع المرجعية الدينية نفسها بضرورة الحزب ودوره وأهميته واعتماده وتبنيه أو تبني أعماله ونشاطاته أو السماح له بالتواجد ضمن هذه النشاطات على الأقل.

ومن خلال هذه النظرة سعى الشهيد الصدر بشكل مباشر وغير مباشر إلى دفع الحزب بهذه الاتجاهات المذكورة من خلال التحرك على الأوساط المثقفة في الأمة وكذلك التحرك على عناصر مختاره ومتميزة في الحوزة والاهتمام بقبول الطلبة في الحوزة أو الحث على إنتمائهم

إليها وكسبهم إلى جانب التنظيم الخاص وربطهم بـه. وتبنى شخصياً إدارة بعض الحلقات الخاصة أو توجيهها وحتى مخاطبة بعض الأشخاص للانتماء إلى التنظيم.

جـماعة العلماء:

الثانية: جماعة العلماء وكانت الفكرة العملية لـدى الشـهيد الصـدر حولها هو انّ ايجاد تنظيم يضم نخبة مـن العلمـاء الواعـين الذيـن لديهـم استعداد لممارسة العمل السياسـي ولـو بـالحد الأدنـى أمرمهـم وعندهـا يكون التحرك من خلالهـا ذا طـابع جمـاعي ويمكـن أن يحقـق الأهـداف التالية:

أ ــ الواجهـة السياسـية ذات الصيغـة الشـرعية في نظـر الأمـة وذات العمق التاريخي المتجذر والتي يمكن ـ تحـت غطاءهـا ــ أن يتـم التحـرك المرحلـي في بنـاء الحـزب والقيـام بالنشـاطات الفكريـة والثقافيـة... في المقاطع المختلفة.

ب ـ دفع الأمة بأتجاه العمل السياسي واضفاء الشرعية عليـه وكسـر الحـاجز النفسـي الـذي بنـاه الاسـتعمار في محاولتـه لفصـل الديـن عـن السياسة خصوصاً في أوساط الحوزة العلمية حيث كـانت تعيـش تحت تأثير هذا الاتجاه من ناحية وما خلّفته إحباطات العمل السياسي للحوزة العلمية من آثار ونتائج في السابق.

جـ ـ تطوير العمل السياسي في وسط الحـوزة العلميـة بعـد أن عمـل الاستعمار على عزلها وتحجيم دورها، بل منعها في بعض الأحيان بالقوة عن ممارسة هذا الدور بحيث أصبح العمل السياسي وكأنّـه مـن الأمـور الغريبة والمرفوضة في بعـض أوسـاط الحـوزة العلميـة. وثـمّ يمكـن لهـذه

الجماعة أن يكون لها دور مهم في إسناد ودعم دور المرجعية الدينية الرشيدة في التصدي للعمل السياسي.

د ـ مواجهة التيارات الثقافية والسياسية ذات البعد الالحادي وكذلك الانحرافات الأخلاقية والسلوكية في الأمة. والتي كانت تحتاج إلى تصدي واسع وفعّال من قبل الحوزة العلمية.

وقد كانت المرجعية الدينية الرشيدة المتمثلة بالامام الحكيم تلتقي في تحركها السياسي وتصوراتها العملية مع الأهداف الثلاثة الأخيرة من وراء تأسيس جماعة العلماء بالاضافة إلى أهداف أخرى، الأمر الذي أدى إلى أن يقوم الامام الحكيم (قده) بالمساهمة مع بقية العلماء المنضوين تحت هذا التشكيل بتأسيس ودعم جماعة العلماء التي كانت تضم كبار علماء النجف الأشرف من الطبقة الثانية والثالثة بعد المراجع الكبار[١٧]، والذين كانوا ينطلقون في نشاطاتهم وتصوراتهم من

---

(١٧) كانت اللجنة المشرفة على جماعة العلماء في النجف الأشرف تتألف من:
١ـ آية الله المرحوم الشيخ مرتضى آل ياسين (خال الشهيد الصدر)
٢ـ آية الله المرحوم الشيخ حسين الهمداني.
٣ـ آية الله المرحوم الشيخ خضر الدجيلي.
وهم يشكلون هيئة الاشراف.
وأما باقي أعضاء الجماعة فهم:
١ـ آية الله المرحوم السيد محمد تقي بحر العلوم.
٢ـ آية الله المرحوم السيد موسى بحر العلوم.
٣ـ آية الله المرحوم السيد محمد باقر الشخص.
٤ـ آية الله المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر.
٥ـ آية الله السيد مرتضى الخلخالي.
٦ـ آية الله المرحوم الشيخ محمد طاهر آل شيخ راضي.
٧ـ آية الله الشيخ محمد جواد آل شيخ راضي.
٨ـ آية الله المرحوم السيد محمد صادق الصدر.
٩ـ آية الله المرحوم الشيخ محمد حسن الجواهري.

أهداف المرجعية، ويمكن تلخيص الأهداف الأخرى المرحلية ـ لتأسيس جماعة العلماء من وجهة نظر المرجعية وفي أطارها ـ بالاهداف التالية:

أ ـ المطالبة بالحقوق المهضومة للمسلمين بشكل عام والشيعة بشكل خاص سواء على المستوى المدني أو الديني، وطرح الفكر السياسي الإسلامي على الأمة.

ب ـ اتخاذ المواقف السياسية تجاه الأحداث التي تواجهها الأمة وتطوراتها. وايجاد تيار سياسي إسلامي في مقابل التيارات الأخرى الوضعية التي غزت العراق وبلاد المسلمين مع الاهتمام بطرح هذا التيار والفكر من خلال العمل الجماعي للحوزة العلمية.

جـ ـ محاولة الجمع بين جميع اطراف الحوزة العلمية المتمثلة بالمراجع العظام في صف واحد تجاه الاحداث والمواقف حيث كانت هذه الجماعة تمثل في انتماءاتها الحوزوية مختلف الاطراف المهمة فيها. بالرغم من انّ المرجع الأعلى آنذاك هو الامام الحكيم (رض) الذي برزت المرجعية فيه بشكل واضح بعد وفاة آية الله البروجردي (رض) سنة ١٣٨٠هـ.

وعلى هذا الأساس أمكن أن تتكون هذه الجماعة في النجف الأشرف التي كانت تسندها المرجعية الدينية وتلقى في الوقت نفسه تبنياً غير محدود من الشهيد الصدر (رض) الذي كان حينذاك شاباً معروفاً بالفضل في أوساط الحوزة العلمية، ولكن لايسمح له عمره بالإنضمام إلى قائمة أسماء الجماعة.

١٠ـ آية الله المرحوم السيد اسماعيل الصدر.

١١ـ آية الله الشيخ محمد تقي الايرواني.

ولكنه مع ذلك كتب جميع بياناتها السبعة، كما كان يكتب بأسمها (كلمتنا) في مجلة الأضواء على الغالب.

وكان يفكر بالبداية أن ينشر باسمها كتاب (فلسفتنا) إلاّ أنه عدل عن هذه الفكرة بعد ذلك لما أثاره بعض الأشخاص ضده من (تهمة) انه يرغب باستخدام إسم الجماعة للتستر على تحركه السياسي الواقعي وهو التحرك الحزبي.

كما انه انقطع عن كتابة (كلمتنا) بعد ذلك باسمها بعد أن أثير هذا الموضوع ضده أيضاً[١٨].

وكانت لعلاقته الخاصة برئيس هذه الجماعة خاله آية الله الشيخ (مرتضى آل ياسين) وببعض اعضائها من أرحامه وأصدقائه أمثال ابن عمه السيد (محمد صادق الصدر) وأخيه السيد (اسماعيل الصدر) وآية الله السيد (محمد تقي بحر العلوم) وحجة الاسلام والمسلمين السيد (باقر الشخص) وغيرهم الأثر الكبير في قدرته على التأثير في مسار هذه الجماعة[١٩].

---

(١٨) لقد كان لهذه التعدية في الاتجاهات والاهداف في أوضاع الجماعة من ناحية وتمركز المرجعية الدينية في الامام الحكيم من ناحية أخرى والضغوط السياسية الخارجية والداخلية على الجماعة من ناحية ثالثة أثر بالغ في توقف الجماعة عن فعاليتها السياسية الجماعية لكنها بقيت فكرة مقبولة في الوسط الحوزوي.

(١٩) طبعاً لا يعني هذا الاستعراض لجماعة العلماء هو انّ الشهيد الصدر (رض) كان وراء تأسيسها، بل كان العلماء والمرجعية وراء تأسيسها، وانما نقصد بذلك انّ التنظيم (الناشئ) كان يؤمن بضرورة هذه الواجهة وهذه المفردة في تلك المرحلة واهتمام (الشهيد) بها وكذلك التنظيم كان ينطلق من هذا التصور. وإلاّ فانّ في جماعة العلماء من كان لا يؤمن بالتنظيم وكان يحذر ويحتاط من الصاق هذه التهمة بالجماعة ويسعى لإيجاد مشاكل في وجهه، كما انها كانت تحضى بدعم وتأييد قطاعات كبيرة جداً في الأمة أوسع من التنظيم الذي بدأ تأسيسه في أجواء تأسيس

كما كان لوجود حجة الاسلام السيد (مهدي الحكيم) وأخيه السيد محمد باقر الحكيم (كاتب هذه السطور) في جهاز مرجعية الامام الحكيم الاثر المهم في التنسيق بين أهداف المرجعية من تشكيل جماعة العلماء وفكرتها والأهداف الخاصة للحزب الذي كان حينذاك في بداية وجوده و لم يكن قادراً على ممارسة التأثير إلاّ من خلال هذه العلاقات الطبيعية التي كانت موجودة قبل وجود الحزب نفسه[٢٠].

وبهذا الشكل تمكنت هذه الجماعة أن تحظى بتأييد المرجع العام وكل المراجع الآخرين كما تحظى في الوقت نفسه بقبول شباب الحوزة الذي يتطلع للعمل المنظم الخاص لأنها كانت تمثل من ناحية حاجة فعلية وضرورية للمرجعية وللحوزة العلمية من جهة وللتنظيم السياسي الخاص من جهة أخرى. كما انّ أعضاءها كانوا يمثلون الطبقة الثانية في الحوزة العلمية الذين يأتون بعد المراجع العظام.

وبهذا أصبحت جماعة العلماء في النجف الأشرف نموذجاً يقتدى به في ساحة العمل السياسي في وسط المرجعية الرشيدة والحوزات العلمية والتنظيم الخاص[٢١].

جماعة العلماء ومقترناً معه تقريباً. كما انّ تأسيس الجماعة كان بمبادرة من الامام الحكيم وبعض العلماء وأجهزة المرجعية حينذاك.

(٢٠) كان حجة الاسلام السيد محمد مهدي الحكيم وأخيه السيد محمد باقر الحكيم (كاتب السطور) يرتبطان بالشهيد الصدر بعدة روابط روحية وعملية قبل الايمان بالعمل التنظيمي الخاص. ولكن كان منها هذا الارتباط، وأشرنا الى بعضها في الهامش الاسبق.

(٢١) لقد كان تأسيس جماعة العلماء في النجف الأشرف قبل تأسيس جماعة العلماء المجاهدين في إيران، ويمكن أن نقول انّ هذا النموذج كان له تأثير على طبيعة التحرك في ايران أيضاً، بل يمكن أن نقول انّ مجمل التحرك في حوزة النجف بقيادة الامام

وعندما توقفت جماعة العلماء في النجف الأشرف أو تقلص نشاطها لأسباب لا مجال لتفصيلها الآن[٢٢] نجد إنبثاق فكرة جماعة علماء في بغداد والكاظمية لتحقيق أهداف المرجعية ذاتها بعد أن تولّت المرجعية مباشرة قيادة العمل السياسي وأصبحت قادرة على تجسيد وحدة الحوزة العلمية باعتبارها المرجعية العليا. وقد تميّزت جماعة العلماء في بغداد والكاظمية[٢٣] بنشاطها في الستينات وكانت تضم في أعضاءها

الحكيم كان متقدماً على مجمل التحرك في حوزة قم وكان له تأثير بالغ على الأوضاع هناك خصوصاً بعد وفاة آية الله العظمى السيد البروجردي (رض).

ويمكن أن نذكر بهذا الصدد عدة قضايا منها قضية الفتوى المعروفة ضد الحزب الشيوعي - والتي كان لها تأثير بالغ في الأوساط الشعبية والرسمية ـ مع انّ الحزب الشيوعي في ايران كان نشيطاً وكذلك الموقف من اسرائيل، حيث بادرت المرجعية في النجف لانتقاد موقف الشاه من اسرائيل علناً، ولم يتم ذلك من قبل المرجعية في قم، وقضية تصدي المرجعية لطرح الاسلام والمطالبة بتطبيق أحكامه...إلخ.

(٢٢) ذكرناها في الكراس الذي تحدثنا فيه عن جماعة العلماء.

(٢٣) كانت جماعة علماء بغداد والكاظمية تتألف من الآيات وحجج الاسلام التالية أسماءهم (تم الحصول على هذه الأسماء استناداً إلى بيانات ومذكرات الجماعة التي صدرت في الستينات ونشرتها مجلة الايمان آنذاك) وقد كانت مجموعة منهم تمثل اللجنة التنفيذية أو المركزية لهذه الجماعة وفي مقدمتهم السيد مرتضى العسكري والسيد مهدي الحكيم والشيخ علي الصغير والسيد محمد الحيدري الخلاني والسيد هادي الحكيم والشيخ محمد حسن آل ياسين.

ومجموعة أخرى كان لها دور المساند، ويمثل الجمعية العامة للجماعة:

١ـ السيد اسماعيل الصدر.
٢ـ السيد مرتضى العسكري.
٣ـ السيد محمد مهدي الحكيم.
٤ـ السيد أحمد الموسوي الهندي.
٥ـ الشيخ جعفر الساعدي.
٦ـ السيد جعفر شبر ـ الكرادة الشرقية.
٧ـ السيد حسن الحيدري.
٨ـ السيد حسين العلاق ـ الثورة.
٩ـ السيد صادق السيد جواد الموسوي.
١٠ـ السيد صادق الموسوي الهندي.

كبار علماء بغداد والكاظمية وكانت غالبيتهم الساحقة من المستقلين والعاملين في إطار المرجعية وحدها، بالاضافة إلى بعض العلماء المعدودين الذين يرتبطون بالتنظيم.

١١ـ السيد عباس الحيدري ـ الكاظمية.
١٢ـ السيد عبدالمطلب الحيدري ـ الكرادة.
١٣ـ الشيخ عبدالحسين الخالصي ـ الكاظمية.
١٤ـ السيد علي الحيدري ـ الشيخ بشار.
١٥ـ الشيخ علي الصغير ـ العطيفية.
١٦ـ السيد محسن الموسوي.
١٧ـ السيد محمد الحيدري (الخلاني) ـ الكرادة وجامع الخلاني.
١٨ـ الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ الكاظمية.
١٩ـ الشيخ محمد حيدر ـ بغداد الجديدة.
٢٠ـ الشيخ محمد الشيخ صادق الخالصي ـ الكاظمية.
٢١ـ السيد محمد طاهر الموسوي ـ الكريعات.
٢٢ـ السيد محمد علي الأعرجي ـ الكريعات.
٢٣ـ الشيخ موسى السوداني ـ الحرية.
٢٤ـ السيد مهدي الصدر ـ الكاظمية.
٢٥ـ الشيخ مهدي النمدي ـ الكاظمية.
٢٦ـ الشيخ نجم الدين العسكري ـ البياع.
٢٧ـ السيد هاشم الحيدري ـ الكاظمية.
٢٨ـ السيد هادي الحكيم ـ اسكان/غربي بغداد.
٢٩ـ السيد صادق الخلخالي.
٣٠ـ السيد محمد طاهر الحيدري ـ جامع المصلوب.
٣١ـ السيد علي نقي الحيدري ـ الكسرة.
٣٢ـ السيد محمد هادي الصدر ـ الكاظمية.
٣٣ـ الشيخ هادي الشيخ جعفر الساعدي.
٣٤ـ الشيخ كاظم العظيمي ـ الثورة.
٣٥ـ الشيخ جواد الظالمي ـ البياع.
٣٦ـ السيد عبدالرزاق الموسوي.
٣٧ـ السيد علي العلوي.

كما انّ هناك أسماء أخرى كانت تشترك في مجمل نشاطاتها مثل الشيخ عارف البصري والسيد عبدالرحيم الشوكي.

المرجعية الرشيدة:

الثالثة: المرجعية الرشيدة ، حيث اهتمّ الشهيد الصدر (رض) بالاضافة إلى المفردتين السابقتين بمفردة المرجعية الرشيدة (الواعية) التي كان يتصور دورها الأساس في هذه المرحلة العملية ضمن النقاط والأهداف التي ذكرناها لجماعة العلماء مضافاً الى ذلك:

أ ـ المرجعية هي التي تملك القدرة الواقعية في الأوساط الدينية:

أولاً: من خلال الارتباط الديني بها (التقليد) الذي يخلق ارتباطاً روحياً مهماً بين الأمة والمرجع.

وثانياً: من خلال الامكانات المادية التي تملكها المرجعية (الحقوق الشرعية) وكذلك أجهزتها الدينية (الوكلاء

والمؤسسات والحوزات العلمية والمدارس) ذات التاريخ الطويل.

ب ـ إنّ المرجعية تمثل الواجهة العليا الدينية والبارزة في العمل الاسلامي والشرعي في مجتمع أتباع أهل البيت (ع) ولها قدسيتها الخاصة دينياً واجتماعياً ولا يمكن التعويض عنها بأي مفردة أخرى سواء كانت (جماعة العلماء) أو (الحزب) أو غير ذلك من المؤسسات في هذا المجال.

وعلى هذا الأساس كان يرى الشهيد الصدر (رض) إنه لابد للعمل السياسي والتنظيم (الخاص) أن يكون مدعوماً ومؤيداً من المرجعية الدينية ومنسجماً معها، وإلاّ لواجه الفشل، أو التناقض معها على أقل تقدير.

وهذا يفرض في الوقت نفسه أن تكون المرجعية واعية للأوضاع العامة الاجتماعية والسياسية ورشيدة في خبرتها ومعرفتها ودرايتها ومتصدية للعمل السياسي والاجتماعي، حتى يمكنها أن تستوعب هذا النوع من العمل السياسي وترضى أن تصبح غطاءاً شرعياً له وتضع امكاناتها في خدمة أهدافه العام.

ومن هنا يمكن أن نفهم ارتباط الشهيد الصدر في بداية تحركة السياسي عملياً بمرجعية الامام الحكيم (رض)، مع أنّ موقعه (الجغرافي) في الحوزة العلمية لم يكن إلى جانب مرجعية الامام الحكيم في تلك الفترة على الأقل.

حيث كان إرتباطه العلمي بآية الله العظمى السيد الخوئي وارتباطه المرجعي من خلال حوزة خاله المرحوم آية الله العظمى الشيخ (محمد رضا آل ياسين) التي ارتبط بعضها بعده ـ بشكل عام ـ بآية الله العظمى السيد (عبد الهادي الشيرازي) وآية الله العظمى السيد البروجردي وبقي بعضها الآخر مستقلاً في انتمائه المرجعي.

الشهيد الصدر (رض)
ومرجعية الامام الحكيم (قده)

وهذا الارتباط بمرجعية الامام الحكيم (رض) كان على أساس ادراك الشهيد الصدر (قده) الخصائص الذاتية والموضوعية التي تتميّز بها مرجعية الامام الحكيم (رض) في تلك الفترة وهي : الوعي السياسي، والانفتاح على الحوزة وأوساط الأمة، والقدرة على الاستيعاب، والتصدي للعمل السياسي والإجتماعي، والشعور بالمسؤولية تجاه الأوضاع الفاسدة وتغييرها، والفهم للظروف السياسية وملابساتها في العراق.

والقاعدة الجماهيرية الواسعة التي كانت تتمتع بها.

والأخلاقية المتميزة في الشجاعة والصبر والتسامح ، والانعطاف نحو الطبقة المحرومة والمستضعفة في الحوزة العلمية التي يمكن أن تشكل قاعدة التحرك السياسي الجديد.

والتحرر من ضغوط تاريخ السكوت والعزلة أو المهادنة.

والاعتزاز بالكرامة المرجعية والتصور الوضح لتطلعات المرجعية الواسعة...

وبهذا الشكل تحول الشهيد الصدر إلى موقع العمل مع مرجعية الامام الحكيم ولكن بالمفهوم الصحيح للعمل الذي يعني تحمل مسؤوليات وهموم المرجعية والتخطيط لها وابداء النصح والمشورة

والاستعداد للتضحية من أجل اهدافها الكبيرة، بعيداً عن المصالح والمنافع الذاتية، ودعمها وتأييدها في المفاصل الرئيسية لحركتها وقضاياها.

وفي نفس الوقت فتحت مرجعية الامام الحكيم الأبواب أمام العمل السياسي الخاص والعام، بمستوى عال فاق تصورات (النخبة) من الاسلاميين فضلاً عن الجمهور، وتمكنت أن تهدم الحواجز أمام العمل الاسلامي وحتى القوية منها في فترة قياسية سواء في مستويات التصدي وأساليبه، أو مضمونه السياسي، أو في العلاقات السياسية الرسمية، والشعبية.

ففي الوقت الذي يمتنع الامام الحكيم من استقبال الملك ـ قبل تأسيس العمل المنظم الخاص ـ وعبد الكريم قاسم ـ بعده ـ يقوم الامام الحكيم باستقبال قادة (الحزب الاسلامي) الذي أسسه مجموعة من الشباب أبناء السنة وامتنعت حكومة (عبدالكريم قاسم) من اجازته بعد أن أجازت مجموعة من الأحزاب السياسية ومنها الحزب الشيوعي مثلاً، ويقدم الامام الحكيم توجيهاته إلى قادة الحزب ويدعم فكرة هذا النوع من الأعمال.

وفي الوقت الذي تتعرض فيه جماعة العلماء إلى الأذى بمستوى الاعتداء على بعض أشخاصها والتهديد بقتل (وسحل) الأشخاص الآخرين بالحبال وتصاب بعض أوساط العلماء والحوزة والامة بالخوف[٢٤] يقف السيد الحكيم ليغطي تحرك الجماعة بقوة ويصدر

(٢٤) اتبع الشيوعيون هذه الطريقة الهمجية في التعامل مع المعارضين السياسيين في الأيام الأولى لحكم عبدالكريم قاسم وخصوصا في الحوادث التي جرت بعد فشل محاولة

فتواه بصلاحيتها ودعمها وسلامة أهدافها بحيث يفرض هذا الموقف بشكل طبيعي على بقية المراجع فيقوموا بأسناده.

ويواجه التهديد من قبل السلطة والعناصر الفوضوية الملحدة بصلابة ودون تنازل.

وعندما تتوقف جماعة العلماء عن التحرك يأخذ الامام الحكيم زمام المبادرة ويتصدى بشكل مباشر لقيادة المسيرة السياسية وهو المرجع العام الذي تفرض عليه الظروف ومخلّفات الماضي حينذاك أن يكون محافظاً ومحتاطاً خصوصاً مع وجود المراجع الآخرين في النجف وقم الذين كانوا يلتزمون الخط المحافظ والمحتاط.

وفي الوقت الذي يتعرَّض بعض علماء السنة وبعض جماهيرهم إلى الاضطهاد والامتهان بسبب إرتباطهم الجغرافي والعاطفي مع بعض العناصر القومية المعارضة للحكم القاسمي، يقوم الأمام الحكيم بدعوة بعض هؤلاء العلماء إلى النجف لحضور الاحتفالات فيها، ويرسل وفداً لحضور الاحتفال الذي أقامه هؤلاء العلماء في جامع أبي حنيفة في بغداد وغيرها، بالرغم من موقف هؤلاء العلماء السلبي من قضايا المسلمين الشيعة (بشكل خاص) في العهود السابقة، ووجود الحساسيات المذهبية السلبية في بعض الأوساط الحوزوية والأوساط العامة.

وفي الوقت الذي كان الشباب المتدين يتعرض للمطاردة ويشعر بالخوف من التيار الشيوعي الأحمر الذي شجعه عبد الكريم قاسم

(الشواف) أحد الضباط العراقيين بالتمرد على حكم عبدالكريم قاسم في القاعدة العسكرية في الموصل أوائل سنة ١٩٥٩م في أواخر شعبان ١٣٧٨هـ، وقد توقف نشاط جماعة العلماء بسبب هذه الحوادث بشكل عام.

لأغراضه الخاصة وتقوم منظمات (أنصار السلام) و (الشباب الديمقراطي) و (المقاومة الشعبية) و (لجان نصرة الجمهورية)... بمراقبة وإحصاء أنفاسه، تقوم مرجعية الامام الحكيم بفتح أبواب المساجد والحسينيات والمكتبات لهؤلاء الشباب الواعي. ولتمارس أيضاً ضغطاً واسعاً كبيراً تجاه بعض العناصر من العلماء أو كبار السن ممن لم يكن يؤمن بالعمل السياسي أو كان قد وقع تحت تأثير مواقف التيارات السياسية المنحرفة أو الضالة من أجل هدايتها أو عزلها أو تحجيمها. وفي نفس الوقت يوجه كل امكاناته لمقاومة هذا التيار الملحد(٢٥).

وقد كان هذا النجاح للمرجعية في تطوير العمل السياسي واداراته يمثل نقطة البداية في تحول النظرية للشهيد الصدر نحو فكرة المرجعية الموضوعية التي أشرنا إليها سابقاً، كما انه في الوقت نفسه يمثل المنعطف العمل في المسار السياسي الحركي كما سوف نعرف ذلك.

لقد كان الشهيد الصدر (رض) في هذه المرحلة يرى في المرجعية الرشيدة واجهة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها في العمل المنظّم

---

(٢٥) لقد أصدر الامام الحكيم فتواه المعروفة حول الشيوعيين حيث هزم الحزب الشيوعي في الشارع العراقي وفي غيره بعد ذلك بسبب هذه الفتوى. وقد كان لها أصداء واسعة في جميع أنحاء العالم الاسلامي وخصوصاً في أوساط أتباع أهل البيت (ع) واعتبرت حصانة مهمة لهم في هذا المجال حيث كان يتعرض العالم الاسلامي ولا سيما المستضعفين منهم الى تأثير واسع لهذا التيار اليساري الذي كان يعيش في قمة صعوده السياسي وفي أوج قدرته العلمية والسياسية والثقافية ،كما كان الاستكبار الغربي حالة المقت من الأوساط المسلمة بسبب عهود الاستعمار والاستغلال وقضايا العدوان ومنها قضية فلسطين، وقد صدرت في أعقاب هذه الفتوى فتاوى للعلماء والمراجع في النجف الاشرف وكتب ومنشورات تؤيد هذا الموقف البطولي الرائع، وتشرحه وتبين خلفيته الفكرية والثقافية والسياسية.

الخاص، وفي الوقت نفسه لابد للمرجعية أن تكون رشيدة وواعية حتى تتكامل الصورة.

ومن هنا كان يعتقد ان البديل للامام الحكيم لابد أن يكـون مرجعـاً رشيداً في المستقبل متطابقاً في تصوراته مع العمـل المنظـم الخـاص حتـى تصبح الصورة أكثر تماسكاً.

وكان يخطط للمستقبل من أجل أن يصبـح هـو ذلـك المرجـع الـذي يمكنه أن يتحمل المسؤوليات كاملة[٢٦].

---

(٢٦) هناك بحث مستقل حول موقـف الشـهيد الصـدر مـن المرجعيـة لابـد مـن مراجعتـه لأكمال الصورة حول موقفه من المرجعية ورؤيته لها.

المرحلة الثانية:

(المرجعية الرشيدة واقع يتقدم ويتطور)

وتبدأ المرحلة الثانية من المسار العملي للنظرية عندما يبرز الشك عند الشهيد الصدر (رض) في دلالة آية الشورى على طبيعة الحكم الاسلامي وذلك في صيف ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ، حيث انتهى إلى قرار الخروج من الحزب الاسلامي ـ الذي كان يتولى قيادته الفكرية والاشراف الديني عليه ـ لوجود الشبهة الشرعية في هذا العمل.

واقترن ذلك بأزمة سياسية أثيرت حول الحزب وعلاقته به وكذلك حول كتابة الشهيد الصدر لافتتاحية بمجلة الأضواء بإسم جماعة العلماء بدون اطلاع أعضاء الجماعة بعد أن كانت الجماعة قد تجمد نشاطها واقعياً وانتهت الأزمة بأستقالته من الحزب واستقالة العلاّمة السيد (مهدي الحكيم) منه بطلب من الامام الحكيم.

والسيدان الشهيدان وإن كانا قد خرجا من الحزب في آن واحد، إلاّ انّ المبرر للشهيد الصدر كان هو الشك في دلالة آية الشورى على النظرية بالاضافة إلى العامل الروحي والنفسي بطلب الامام الحكيم. أما المبرر للشهيد الحكيم فهو طلب والده منه والذي فسَّره الامام الحكيم (رض) بأن جهاز المرجعية يجب أن ينفصل عن الحزب لئلا تفسر مواقف المرجعية بأنها مواقف تتأثر بموقف حزبي. وكان طلب السيد الامام الحكيم موجهاً إلى كل من السيد مهدي والسيد الشهيد الصدر.

علماً بأن الامام الحكيم كان على إطلاع من وجود الحزب وعلى وجود علاقات المودة والتنسيق بينه وبين بعض أولاده ، وان لم يكن له اطلاع على كثير من التفاصيل.

وفي هذه المرحلة لم تكن تفاصيل إطار العمل السياسي وشكله واضحة لدى الشهيد الصدر بعد أن اهتزت الصورة الشرعية للعمل السياسي (الخاص) الذي كان يستحسنه ولكن في الوقت نفسه بدأت تتبلور صورة جديدة من خلال الممارسة العملية لمرجعية الامام الحكيم وقدرتها على التطور والتعبئة الجماهيريه والاستفادة من إمكانات الأمة وتوعيتها للأمة على مختلف المستويات الثقافية والسياسية.

ومن هنا نجد إنّ الشهيد بدأ يعمل على خطوط ومحاور أساسية مع وجود الفارق في مستوى الاهتمام بينها.

الأول: العمل في إطار المرجعية الدينية الرشيدة حيث طور الشهيد الصدر علاقته بمرجعية الامام الحكيم وظهر ذلك واضحاً في نهاية سنة ١٣٨٠هـ عندماً توفي المرجع الكبير آية الله العظمى السيد البروجردي (قدس سره) حتى أصبحت ـ كما أشرت سابقاً ـ على درجة كبيرة وعالية بحيث اعتبر في الأوساط الحوزوية في النجف الأشرف انه محسوب على مرجعية الامام الحكيم. وأخذ الشهيد الصدر يساهم في شتى النشاطات السياسية والحوزوية العامة التي تمارسها مرجعية الامام الحكيم.

أـ مثل النشاطات الجماهيرية، كالاحتفالات والزيارات حيث كان يخطط لها في جملة العلماء الواعين في إطار المرجعية.

ب ـ نشاطات الحوزة العلمية، كتربية الطلبة وتأسيس الدراسة المنظمة ومنها مدرسة العلوم الإسلامية.

جـ ـ النشاطات الثقافية والاجتماعية، كالمكتبات والمدارس وكلية أصول الدين وجامعة الكوفة...

د ـ النشاطات السياسية العامة التي كانت تتبناها المرجعية، والتزم بذلك حتى الأيام الأخيرة من حياة الأمام الحكيم مثل كتابة نص الخطاب الذي ألقي في الصحن الحيدري في يوم السابع والعشرين من صفر ١٣٨٩هـ والذي حدد الامام الحكيم فيه موقفه العام من الأوضاع السياسية، وكذلك نص المذكرة التي أريد تقديمها إلى حكومة انقلاب ١٧ تموز في الأيام الأولى، وكذلك سفرة الامام الحكيم إلى سامراء ١٣٨٣هـ، واستقبال ضريح العباس، والسفر التاريخي لحج الامام الحكيم، والزيارة التأريخية الأخيرة لبغداد وملابساتها المختلفة، وحتى سفر الشهيد الصدر إلى لبنان لمتابعة قضية محنة المرجعية وقيامه هناك بحملة سياسية واعلامية واسعة وتضحيته من أجلها[٢٧].

هـ ـ الاهتمام بإرسال الوكلاء وملأ الفراغات في هذا المجال حيث تم إرسال آية الله السيد (اسماعيل الصدر) الى الكاظمية وحجة الاسلام السيد (مهدي الحكيم) إلى بغداد ونقل العلامة السيد العسكري من البياع إلى الكرادة الشرقية وإرسال العلامة الشيخ (علي الكوراني) إلى الكويت وتدعيم وتطوير تحرك آية الله السيد (موسى الصدر) في لبنان وغير ذلك من النشاطات المهمة.

(٢٧) يوجد حديث مستقل عن هذا الموقف الجليل للشهيد الصدر نذكره في المواقف.

و ـ المساهمة في التخطيط العام لمرجعيـة السـيد الحكيـم علـى مسـتوى الحوزة في قضايا الرواتب والمدارس وغيرها.

الثاني: بناء الوضع المرجعـي الخـاص للشـهيد نفسـه وذلـك بالاتجـاه بشكل مكثف إلى البحث الفقهي والأصول في الحوزة العلميـة واعطـاء هذا البعد في عمله الحوزوي أهمية خاصة بحيث يصبـح الطـابع العلمـي الخاص هو الوجه الظاهر له في الحوزة.

وفي الوقت نفسه اتجه نحو دراسة تاريخ الأئمة (ع) وتعميق وتطويـر هذه الدراسات للخروج منها بنظرية في العمل والمواقف وربـط حركـة المرجعية بها.

وكانت محاضراته حول الأئمة (ع) والتي طبع قسم منها تحت عنوان (أهل البيت (ع) وحدة هدف وتعدد أدوار) وكذلـك محاضرتـه حـول المحنة التي تعرضت لها المرجعية الرشـيدة للامـام الحكيـم في آخـر أيامهـا نموذجاً لهذا اللون من التفكير والدراسة.

الثالث: رعاية العمل الاسـلامي المنظـم الخـاص مـن خـلال ترشـيده بالنصائح والآراء وحل المشكلات ومعالجة الصراعات الداخلية لـه الـتي بدأت تهدد وجوده. وكذلك رعاية الوسط الحوزوي والمثقـف بشـكل عام المرتبط به وتربيته أخلاقياً وعملياً.

الرابع: بناء العنصر الحوزوي الواعي بناءً علمياً وفكرياً واخلاقياً مـن أجل أن يكون الوسيط بين المرجع والأمـة في عمليـة التوعيـة والتوجيـه والأدارة والاهتمام بشكل خاص في إدخـال دم جديـد في هـذا الوسـط من عناصر خريجي الجامعات العلمية والإنسانية لتأكيد الصلة والوحـدة مع هذا القطاع المهم من الأمة.

الخامس: التفكير الجدّي والبحث العلمي للتوصل إلى تصوّر نظري كامل حول التحرك السياسي للعمل الاسلامي بحيث يتصف بالشمولية ويتمكن أن يفسر جميع هذه المواقف والواقع الموضوعي المعاش ويكون قادراً على ترتيب أجزاء الصورة ويضع المفردات في مواضعها وحسب أولويتها وأدوارها الصحيحة الشرعية.

ومن خلال مراجعة سريعة لاهتمامات الشهيد الصدر نجد الشهيد في هذه المرحلة يتجه عملياً إلى إطروحة (المرجعية) ويلتزم بأطارها وحركتها، إنطلاقاً من مجموعة حقائق هي:

أ ـ الواقع الموضوعي الفعلي الذي كان يعيشه.

ب ـ الحالة الوجدانية والارتباط الروحي الذي كان يحس به.

جـ ـ طبيعة واقع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت تعيشها الأمة حينذاك والتي أصبح من الواضح من خلالها إنّ حركة المرجعية كانت متقدمة عدة أشواط على الحركة الاسلامية والعمل المنظم الخاص سواء في عمق وجودها في الأمة وإرتباط الأمة بها أو في إدراكها لطبيعة الظروف وتحليلها لهذه الظروف أو في مواقفها من الاحداث حيث كانت تتخذ المواقف ذات العلاقة بهذا الواقع وعلى أساس هذا التحليل وتتفاعل مع الجماهير والأمة.

ولذا كان هذا الموضوع بالذات يحظى بالاهتمام الاكبر للشهيد الصدر ويقف إلى جانب حركة المرجعية في النقاط التي كانت تختلف فيها زوايا رؤية المرجعية إلى الأحداث عن زوايا رؤية العمل الحزبي لها أو تختلف فيها المواقف تجاهها.

مع العلم إنّ المساحة المشتركة بين عمل المرجعية والتنظيم الخاص كانت واسعة وكبيرة من ناحية، كما ان العمل الحزبي المنظم كان محدوداً في وجوده السياسي وفي تصدياته السياسية والاجتماعية ويمارس وجوده من خلال التحرك العام للمرجعية باستثناء اللقاءات الحزبية الخاصة أو بعض المنشورات الثقافية المحدودة التداول.

وهناك أمثلة كثيرة على هذه الحقيقة:

١ ـ الرؤية والموقف من عموم النشاط الإجمالي للمرجعية والمواقف السياسية لها تجاه الأحداث مثل نشاط الاحتفالات. والزيارات العامة التي كانت تستخدم كوسيلة للتعبئة العامة السياسية وكذلك مضمونها ومحتواها السياسي. وتجاه تأسيس المدارس الرسمية وكلية أصول الدين في بغداد وكذلك الانفتاح في العمل المرجعي وفي الحوزة على العلماء والطلبة غير المنظمين والاعتماد عليهم في الأعمال الرئيسة[٢٨]. فقد كان الشهيد الصدر مع المرجعية في كل هذه النشاطات مع إنّ مجمل هذه النشاطات كانت تواجه انتقاداً ـ أحياناً ـ من قادة العمل الحزبي بادعاء إنها لاجدوى منها ولا تنسجم مع المرحلة التي تعيشها الأمة[٢٩].

(٢٨) كان الوسط الحزبي يعبر عن جميع العلماء غير الحزبيين بأنهم غير واعين لأنّ مفهوم الوعي كان يعني الايمان بالعمل الحزبي والارتباط به.

(٢٩) كانت بعض أوساط العمل الحزبي تعمل في مجال هذه النشاطات كفرصة للكسب الحزبي وأحيانا كوسيلة لنشر الوعي الثقافي في الأمة، ولا تؤمن بأن هذه النشاطات أساسية ومركزية وخصوصاً ذات الطابع السياسي منها.

كما انه كانت توجد بعض المبادرات العامة للعمل الحزبي مثل مواكب الطلبة، ولكن الهدف منها لم يكن التعبئة السياسية بقدر ما كانت تستهدف ايجاد البديل الثقافي في مجال الشعائر الحسينية وهو مضمون ثقافي.

٢ ـ المشاركة عملياً في المواقف السياسية المهمة في الساحة الإسلامية مثل الموقف ضد تشريع قانون الأحوال الشخصية والتمييز الطائفي وعمليات تأميم التجارة وتحويل النظام الاقتصادي إلى (الاشتراكية) وغيرها.

مع إنّ العمل المنظّم الخاص لم يكن لديه موقف سياسي حركي تجاهها و لم يتناولها في أدبياته إلاّ على المستوى الفكري أحياناً، بالرغم من ضخامة بعض الأحداث التي عاشتها الأمة في هذه الفترة الزمنية. ولعلّ العمل الحزبي في تلك الفترة كان يعتمد على تحرك المرجعية في هذه المجالات بشكل عام ويكتفي به إلاّ انّه يلاحظ عليه عدم التصدي المباشر حتى على مستوى البيانات العامة أو الخاصة في داخل التنظيم.

٣ ـ الموقف السياسي من حكومة البعث العفلقي وإنقلاب ١٧ تموز والأحداث التي تعاقبت بعده ومحاولتها للقضاء على الوجود الاسلامي من خلال ضرب القواعد المهمة له مثل الحوزة العلمية والشعائر الحسينية وذلك من خلال الاجراءات التي اتخذها النظام، مثل تسفير طلبة الحوزة العلمية والمقيمين الإيرانيين ومنع الزائرين من زيارة العتبات المقدسة والتحرش بالشعائر الحسينية. وشن حملة الاعتقالات العامة للمتصدين والارهاصات باتهام المرجعية.

الأمر الذي انتهى إلى قيام الامام الحكيم بزيارته إلى بغداد للمواجهة، وقد تردد الحزب في القيام بعمل سياسي في هذا المجال واكتفى بمراقبة الأوضاع، وبعد ضغط الشهيد الصدر والعلامة السيد مرتضى

العسكري وغيرهما من العناصر المؤثرة على الحزب استجاب جزئياً في أول الطريق ثم عدل عن المواجهة بدعوى الالتزام بمنهج المرحلية(٣٠).

وفي الوقت الذي كانت المرجعية تمر بأشد وأقسى المحن والأزمات ويكون الشهيد الصدر مستعداً للتضحية بدمه الشريف في هذا المجال، حيث طرح مشروع التوقيع على مذكرة احتجاج بالأسماء الصريحة بعد المذكرة التي قدمها السيد مهدي الحكيم للنظام باسم جماعة علماء بغداد والكاظمية والتي يحتج بها على مجمل التصرفات ويدين النظام على أساسها ويقدّم اقتراحات محددة بشأنها(٣١).

وقد سافر الشهيد الصدر بعد ذلك إلى لبنان متحملاً أشد الأخطار من أجل أن يقوم بحملة سياسية واعلامية لدعم واسناد موقف المرجعية والدفاع عنها...

ففي مثل هذا الظرف لم تكن القيادة في التنظيم الخاص على استعداد لاصدار منشور يشجب هذا الموقف من السلطة تجاه الأمة والمرجعية بل ولا توزيع منشور أبسط من ذلك(٣٢).

وانسحبت القيادة من تعهدها بالقيام بتظاهرات عندما يقوم البعثيون بالتحرش بالمرجعية(٣٣).

---

(٣٠) لقد تجاوبت أوساط وقواعد الحزب مع حركة المرجعية في كثير من الأحيان لأنها كانت تمثل عناصر مؤمنة ومرتبطة بالمرجعية في التقليد والمشاعر الروحية وتتفاعل مع الأحداث بشكل طبيعي من خلال حركة المرجعية، وعندما نتحدث عن الحزب هنا نقصد القرار السياسي الذي كان يصدر عن القيادة.

(٣١) راجع الملحق رقم ( ) . [تنشر المذكرة كملحق]

(٣٢) حيث طلبت من الشهيد السعيد الحاج عبدالصاحب دخيل شخصياً اصدار منشور يتضمن على الأقل (دعاء الفرج) لاشعار الأمة بالمحنة، ووعد بذلك، ولكن لم ينفذ الوعد بسبب هذا الموقف ولعله كان يرى شخصياً صحة اصدار المنشور والله أعلم.

٤ـ الموقف من أزمة اخراج آية الله السيد (اسماعيل الصدر) من الكاظمية وملابساتها، حيث اهتم الشهيد الصدر بالمواجهة مع النظام وتطوراتها، وعبَّرَت عن الموقف الحقيقي في إسناد ودعم المرجعية الأوساط العشائرية العراقية سواء في الكاظمية أو في منطقة الفرات الأوسط(٣٤).

٥ـ الموقف من المواكب الحسينية، حيث تم ايقاف مواكب الطلبة في الجامعة والتي كان وراء تنظيمها التنظيم الخاص، والتي كانت تحظى بتأييد متميّز من المرجعية الدينية بحيث تحولت بهذا الأسناد إلى ثقل سياسي حيث أخذت تشترك فيه عناصر ذات انتماءات عامة الأمر الذي أدى بالتنظيم أن يوقف اخراج هذه المواكب تجنباً للمواجهة مع النظام.

---

(٣٤)حيث تم التداول في ذلك في اجتماع اشترك فيه الحاج عبدالصاحب دخيل والسيد حسن شبر وغيرهما وكنت حاضراً في هذا الاجتماع. والعجيب انّ بعض الحزبيين حاول بعد وفاة الامام الحكيم تبرير هذا الموقف بأنّ الامام الحكيم طلب منهم عدم القيام بهذا العمل وعدم التحرك للاحتجاج، مع انّ الامام الحكيم رحّب بتحرك طلاب العلوم الدينية الذين تظاهروا وتعرضوا إلى القمع، واستمر هذا الموقف تجاه تحرك العشائر حيث استقبل وفداً من عشائر العباسية ومندوباً من مدينة السماوة وتحدثت اليهم شخصياً . ومع انّ نفس سفر الامام الحكيم إلى بغداد والكاظمية له دلالات واضحة على تصديه المباشر والعلني الا أن الخوف من ناحية وعدم وجود جهاز منظم لتعبئة الناس وتوجيههم من ناحية أخرى وموقف قيادة الحزب من ناحية ثالثة والتخلف في الوعي لدى بعض الأوساط من ناحية رابعة كانت أسباباً في ظهور الامة بمظهر التخاذل.

(٣٣) لقد قامت عشائر بني تميم في الكاظمية وكذلك العشائر في المشخاب والقادسية والديوانية والصليجية وأبو صخير والحيرة وغيرها بتظاهرات ومسيرات واستعراضات ضخمة لتأييد المرجعية حتى قتل (عبدالسلام عارف) في الحادث المعروف وهو سقوط الطائرة في منطقة النشوة قرب البصرة.

ولكن استمرت المواكب في المناطق الأخرى انسجاماً مع التوجه المرجعي.. وهذا الموقف من التنظيم الخاص كان بخلاف موقف الشهيد الصدر الذي كان يرى في وجود واستمرار المواكب الحسينية ضرورة وأهمية خاصة، وكان يحث طلاّبه على الاهتمام بها وتشجيع الآخرين على الاستمرار، حتى كان أحد الأسباب الحقيقية شهادة حجة الإسلام السيد عماد الدين الطباطبائي ورفاقه هو هذا الموقف من الشعائر.

وبالاضافة إلى هذا التوجه في العمل المرجعي قام الشهيد الصدر بالانفتاح على الأوساط الشعبية كخطوة أخرى في هذا المجال، ولاسيما بعد وفاة أخيه آية الله السيد (اسماعيل الصدر) حيث أخذ يهتم بالسفر إلى الكاظمية وبغداد ويلتقي بالأوساط الشعبية والاجتماعية هناك بشكل واسع ومفتوح، وكان للتنظيم الخاص دور في تأييد واسناد هذا التوجه بطبيعة الحال.

ونجد الشهيد بعد ذلك يركّز على الجانب العلمي ويعطيه أولوية خاصة في عمله ويبني القاعدة الحوزوية القوية في المجال العلمي ويتجنّب إلى حد كبير مواطن الإثارة ضمن العمل المنظّم الخاص، وكل ذلك كان يتم ضمن تنسيق وتفاهم عملي وواقعي مع التنظيم الخاص غير مكتوب أو مقرر، بحيث كانت الصورة مختلطة ومبهمة في نظر الكثير من القريبين أو المراقبين للشهيد الصدر سواء في أوساط التنظيم الخاص أو في أوساط الحوزة العلمية أو غيرهما.

وقد كان التنظيم حريصاً في هذه المرحلة أن يعرف الشهيد الصدر في أوساطه بطريقة الايحاء أو التلميح بأنّ الشهيد الصدر هو قائد

التنظيم، بل كان بعضهم يجرأ ويروّج ذلك صراحة كما اتّضح فيما بعد[٣٥].

(٣٥) لقد كان لهذا الاختلاط والايهام والايحاء اثار سلبية على الشهيد الصدر ومرجعيته ولا سيما في أوساط الحوزة العلمية ، حيث كان يواجه الشهيد الصدر بتحفظ عام في أوساط الحوزة المتدينة والمؤمنة بالموقع المتميز للحوزة والمرجعية وكان يستغل ذلك بعض المنافسين او الحاسدين أو الحاقدين على العمل الاسلامي والسياسين الامر الذي أدى الى مضاعفات كبيرة انتبه اليها الشهيد الصدر أخيراً واتخذ عدة احتياطات لتداركها كما سوف اشير قريباً .

المرحلة الثالثـة:

المرجعيـة وولايـة الفقيـه

ولا أتذكـر بـالضبط في أي وقـت انتهـى الشـهيد الصـدر إلى رأيــه الفقهي القائل بولاية الفقيه المطلقة(٣٦)، ولكن يمكن أن نؤرخ للمرحلـة الثالثة في المسار العملي لنظريتـه في التحـرك السياسـي في هـذا التـاريخ الذي يقع على مـا أظن أواخـر الثمانيـات الهجريـة أي أواخـر مرجعيـة الإمام الحكيم(رض).

ويكون الشهيد الصــدر بوصولـه إلى هـذه الرؤيـة الفقهيـة قـد تـوج توجهه العملي السياسي بهذه النظرية الفقهية، حيث عرفنـا مـن خـلال المرحلة الثانية انّ الشهيد الصـدر اتجـه عمليـاً إلى مضمـون هـذه الرؤيـة الفقهية، وإن لم يكن قد قال بها بالفعل.

ومن خلال هذه الرؤية بـدأت تتطـور الأحـداث في التطبيـق العملـي بعد المسيرة السابقة التي أشرنا إليها.

١ ـ أنشأ الشهيد الصدر في جهازه الخاص مجلساً للاستشارة أراد له أن يكون بذرة لمجلس استشاري يكون ضمن جهــاز المرجعيـة وهـو يضـم مجموعة من خيرة طلابه المتقدمين اختارهـم الشهيد الصـدر لهـذا المجلـس

---

(٣٦) الولاية المطلقة يراد بها الولاية التي يدل عليها نص خاص له اطـلاق ولـو نسـبي في دلالته في تعامل الولاية بدليل الحسبة حيث يقتصر فيهـا علـى القـدر الـلازم والا فـان الولاية المطلقة فيها تقيـد وتفصيل بين المجتهدين أنفسـهم.

وكان يضيف إليهم من يراه قد وصل درجة النضج والكمال لبعضهم أو من أجل الاعداد والتدريب السياسي والاجتماعي لبعضهم الآخر.

وأعضاء هذا المجلس وإن كانوا يتفاوتون في مستواهم العلمي والفهم الاجتماعي ولكنهم كانوا يشتركون في الإيمان بمرجعية الشهيد الصدر وإنه يمثل الاطروحة الصالحة للمرجعية الرشيدة مستقبلاً، بالاضافة إلى انتمائهم جميعاً إلى الوسط العلمي والحوزوي.

وكانت تطرح القضايا والمشاكل والنشاطات المهمة في هذا المجلس الاستشاري، بالاضافة إلى الأبحاث الجانبية وتنضج بهذا الشكل الرؤية تجاهها وتتخذ بحقها القرارات المختلفة.

مرجعية الامام الخوئي

وفي البداية ـ بعد وفاة الامام الحكيم عام ١٣٩٠هـ ـ قرّر الشهيد الصدر دعم مرجعية آية الله العظمى السيد الخوئي اعتماداً على النقاط التالية:

١ ـ انفتاح آية الله العظمى السيد الخوئي على مشاكل مرجعية الامام الحكيم الميدانية في العراق وموقفه الايجابي نسبياً من الامام الحكيم وحركته السياسية في أيامه الأخيرة على الأقل.

٢ ـ العلاقات القوية التي تربط الشهيد الصدر بآية الله الخوئي والثقة المتبادلة بينهما والذي كان يرى الشهيد الصدر من خلالها إمكانية التأثير على آية الله الخوئي في البقاء ـ ولو نسبياً ـ في خط مرجعية الامام الحكيم. لاسيما وإنّ تصورات آية الله الخوئي عن العمل الاسلامي نظرياً كانت قريبة من نظرية الشهيد قبل أن يقول بولاية الفقيه المطلقة .

٣ ـ الشعور بالفراغ ووجود الأخطار بعد وفاة الامام الحكيم في تلك الظروف المأساوية (المحنة) التي تهدد المرجعية والعمل الاسلامي العام والانجازات التي توصلت إليها مرجعية الامام الحكيم ، وكذلك الاهتمام بملأ هذا الفراغ من خلال وحدة المرجعية في العراق، وكان آية الله الخوئي هو المرجع الوحيد الذي يمكن أن تجتمع عليه الكلمة في العراق نسبياً.

ولعلّ هذه النقطة هي أهم النقاط الثلاث.

وقد حاول الشهيد الصدر أن يتوثّق من ذلك عن طريق أحاديث مباشرة وغير مباشرة ـ بواسطة بعض طلابه ـ مع آية الله الخوئي لمعرفة وجهة نظره في هذا المجال، وكانت نتائج المباحثات ايجابية.

ولكن لم يمر وقت طويل حتى أصبح من الواضح انّ آية الله الخوئي ـ كما صرّح هو بنفسه أيضاً ـ لم يكن قادراً أو مؤهلاً للقيام بهذا الدور الديني بأبعاده الاجتماعية والسياسية لاسيما في ظروف المحنة والحكم القمعي الوحشي الذي يمارسه البعثيون.

الشهيد الصدر (رض)
في واجهة التصدّي

ولا أريد هنا أن أتناول هذا الموضوع الشائك بتفاصيله وملابساته، ولكن الواقع الذي واجهه الشهيد الصدر وتتابع الأحداث دفع بالشهيد الصدر على غير رغبة منه أن يدخل في مواجهة الأحداث بشكل مباشر.

ومن هذه الأحداث المحاولة الأولى للتسفير العام للحوزة العلمية بعد وفاة الامام الحكيم في أواخر سنة ١٣٩٢هـ.ق، حيث كان آية الله الخوئي مريضاً راقداً في المستشفى في بغداد وعلى أبواب السفر إلى لندن للمعالجة، وكان طلاب الحوزة العلمية والعلماء في حيرة من موقفهم تجاه الانذار بالسفر الذي وجهته الحكومة المجرمة عن طريق مكبرات الصوت السيارة، وكان الشهيد الصدر في زيارة توديعية لآية الله الخوئي ونقل له مجمل الأوضاع في النجف ورجّح له أن يتخذ موقفاً واضحاً من هذه القضية وهو الطلب من الحوزة الامتناع عن السفر ووافق آية الله الخوئي على ذلك، ونقل الشهيد رسالته إلى حاشية السيد الخوئي وكبار الحوزة العلمية.

ويبدو إنّ الحاشية كان لها رأي آخر بالموضوع وتقدير آخر للموقف فلم تستجب لمتطلبات الرسالة بل أمعن بعضهم في الموقف السلبي بأن أبرز التشكيك بصحتها.

وهكذا تم سفر عدد كبير من العلماء والطلبة حتى أنقذ الموقف الامام الخميني (رض) الذي تدخل في الأمر ولأول مرة، وأعلن تعطيل الحوزة احتجاجاً على هذا القرار، وطلب عدم الاستجابة للسفر، فأعلنت الحكومة العدول عن قرارها بعد أن أرسلت (علي رضا) أحد كبار مسؤولي المخابرات العراقية آنذاك(٣٧) للتفاوض مع العلماء في النجف حيث اجتمع بالامام الخميني وغيره من العلماء، وأسمعه الامام كلاماً واضحاً وقوياً تجاه هذا الموضوع.

وكان للشهيد الصدر دور كبير في التنسيق ودعم هذا الموقف القوي الجديد في الحوزة تجاه الحكم العفلقي المجرم.

كما كان من هذه المواقف والأحداث البرقية التي أرسلتها الحوزة العلمية إلى أحمد حسن البكر تطالبه بايقاف التسفيرات بتوقيع كبار العلماء أمثال آية ا لله الشيخ مرتضى (آل ياسين) وآية ا لله السيد (محمد سعيد الحكيم) وآية ا لله الشيخ (محمد جواد آل شيخ راضي) وغيرهم والتي سعى الشهيد الصدر إلى ترتيبها(٣٨).

ومنها التهيؤ لمواجهة التوقعات التي كانت موجودة في إقدام حزب البعث العفلقي المجرم على تحجيم واحتواء المواكب الحسينية في

(٣٧) لقد كان (علي رضا) شيعياً وكردياً فيلياً يعمل في العلاقات العامة لمجلس قيادة الثورة وهو اسم لمؤسسة المخابرات العراقية في بداية تأسيسها وكان المسؤول عنها شخص صدام، ثم تم اعدام (علي رضا) بعد ذلك ضمن الاعدامات التي قام بها البعثيون في صفوفهم بعد مايسمى بمؤامرة (ناظم كزار) مدير الأمن العام، وهي تصفيات طالت اكثر العناصر المتنفذة الشيعية في الحزب، وكذلك الخط السامرائي ـ الذي كان يقوده عبد الخالق السامرائي ـ المنافس لصدام.

(٣٨) لعلّ هذه البرقية هي آخر عمل قامت به الحوزة العلمية في النجف بشكل علني وواضح تجاه حزب البعث حتى كتابة هذه السطور.

الأربعين، حيث قام الشهيد الصدر في توعية أصحاب المواكب وإلفاتهم إلى هذه المؤامرة الدنيئة ضد الشعائر الحسينية والتي تطورت الأحداث تجاهها تدريجياً بعد ذلك في السنوات التالية حتى كانت إنتفاضة صفر المحدوده سنة ٩٦ هـ وانتفاضة صفر الدموية الأخرى سنة ٩٧ هـ والأحداث المؤلمة التي رافقتها[٣٩].

وكانت لتلك الجهود التي يبذلها الشهيد الصدر أثر مهم في مجال تأخير تنفيذ الحكم المجرم لمؤامرته ضد الاسلام وضد الشعائر الحسينية بشكل خاص من ناحية، وتوعية الجماهير في الوقوف تجاه هذه المؤامرة الاجرامية من ناحية أخرى.

وبسبب هذه الجهود التي كنت أساهم فيها مع شهيدنا الغالي حتى كانت ردّة فعل النظام هو القيام باعتقالي والمحاولة الفاشلة لاعتقال الشهيد الصدر ونقله إلى بغداد سنة ٩٢هـ[٤٠] وكذلك إعتقال عدد من

---

(٣٩) انتهت انتفاضة صفر ٩٧هـ التي استمرت أربعة أيام إلى اعتقال وتعذيب اكثر من (عشرة) آلاف شخص من الجماهير المؤمنة وإعدام اكثر من (عشرة) أشخاص والحكم بالسجن المؤبد على (ستة عشر) شخصاً كان من ضمنهم كاتب السطور في مهزلة لم يعرف لها التاريخ الحديث للعراق مثيلاً وذلك بعد أن تدخلت القوات الجوية والبرية والقوات المدرعة في قمع الانتفاضة، وقد كانت لهذه الانتفاضة أصداء سياسية واسعة في العراق وخارجه وحاول النظام أن يتهم سوريا والكويت بها على عادته في نسبة الأحداث الداخلية إلى العامل الخارجي، ولم ينسب الإنتفاضة إلى ايران لأنه كان قد دخل في صلح مع حكومة الشاه وكان يخاف منها خوفاً شديداً.

(٤٠) لقد أدخل الشهيد الصدر المستشفى في النجف قبل مجيء رجال الأمن إلى بيته نتيجة لعارض مفاجئ بسبب تناوله لبعض الحبوب التي كان يستعملها ضد ارتفاع ضغط الدم وبكمية أكبر من اللزوم حيث انخفض عنده الضغط بدرجة خطيرة وحاول رجال الأمن اعتقاله في المستشفى إلاّ انّ بعض الأطباء ـ ومنهم الدكتور موسى الأسدي الذي كان مختصاً بأمراض القلب ـ كان لهم موقف رافض ومشرف في هذا المجال، ولذا تم نقله إلى مستشفى الفرات الأوسط في الكوفة رهن الاعتقال

العلماء والمجاهدين في الوقت نفسه واطلاق سراحهم في النجف. ولكن موقف آية الله آل ياسين[٤١] وجماعة من العلماء وطلاب العلوم الدينية من ناحية، وصمودي أمام عمليات التعذيب التي مورست ليلة الاعتقال لانتزاع الاعترافات الكاذبة[٤٢] والنشاط السياسي الذي قمت به بعد الاعتقال لكسر حاجز الرعب والخوف الذي حاول البعثيون ايجاده أفشل المؤامرة بكاملها بل أعطى التحرك المرجعي للشهيد الصدر زخماً جديداً من ناحية، ووضع الشهيد الصدر وحوزته في الخط الأول من

وهو في حالة اغماء حتى اليوم التالي، وقد حاول رجال الأمن أثناء التحقيق معي أن يفسروا هذا الحادث بأنه محاولة للانتحار.

(٤١) لقد قام الشيخ آل ياسين وجماعة من العلماء والطلبة بزيارة الشهيد الصدر إلى المستشفى صباحا حيث منع من الدخول عليه، الأمر الذي أدّى إلى تجمهر عدد كبير من الطلبة والناس ثم تم اقتحام أبواب المستشفى ووقف رجال الأمن في حيرة من أمرهم حيث تمت الزيارة بسلام. ثم أرجع الشهيد الصدر إلى مستشفى النجف بعد الظهر عندما رفع الاعتقال عنه.

(٤٢) لقد تم نقلي من بين جميع المعتقلين تلك الليلة إلى بغداد فوراً وتعرّضت إلى التعذيب حتى طلوع الشمس تقريبا وبأساليب مختلفة وكان الاتهام الرئيسي الذي يوجه إليَّ في التعذيب ويتم الضغط باتجاهه هو الانتماء إلى تنظيم سرّي هو حزب الدعوة الاسلامية والطلب بالاعتراف به وانّ قائده هو الشهيد الصدر، بالاضافة إلى مقدار وافر من السب والشتم للعلماء والدين والاسلام والقذف بالطائفية على عادة الأنظمة التي توالت على حكم العراق باتهام كل من يطالب بحقوقه أو المساواة بين المسلمين بالطائفية. وتم بعد الظهر اطلاق سراحي لأسباب لا أعرفها، ولعلّ أهمها الخوف من تطوّر رد الفعل الجماهيري، وإن كنت قد توسلت بالامام الكاظم عليه السلام من أن يشفع لله تعالى بالفرج عني، وعندما طلب مني الخروج بعد الظهر والاعتذار عمّا حدث في الليل بعدما شاهد مدير الشعبة آثار التعذيب والورم في اليدين والرجلين، أصررت على عدم الخروج حتى يتم رفع الاعتقال عن الشهيد الصدر، الذي كان المجرمون في أثناء التعذيب يكيلون له التهم والسباب ويدّعون انه حاول الانتحار للتخلّص من نتائج التحقيق، و لم أخرج حتى تم الاتصال تلفونيا بالنجف وأبلغت برفع الاعتقال عن الشهيد الصدر (رض).

المواجهة من ناحية أخرى وأصبح الشهيد الصدر اطروحة المرجع الديني المتصدي للنظام العفلقي.

وفي هذه الأثناء وبعد هذا التطور في التصدي أي في أواخر سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، قام الشهيد الصدر بطرح موضوع حسّاس ومهم حول العلاقة بين الحوزة العلمية والتنظيم الخاص الذي كان يوليه حينذاك رعاية خاصة في الوقت نفسه وكان هذا الطرح في المجلس الاستشاري الخاص به.

وكانت تصورات شهيدنا الصدر تقوم على أساس انّ الحوزة بتشكيلاتها وتنظيماتها تمثل القيادة الأساسية للعمل الاسلامي ولابد لهذه الحوزة أن تكون مستقلة عن العمل المنظّم الخاص.

وقد تم بحث هذا الموضوع في عدة أجتماعات وكان يوجد اتجاهان في المجلس:

أحدهما: كان يتبنى ضرورة إبقاء المجال مفتوحاً امام العمل المنظم الخاص ليمارس نشاطه في الحوزة إستناداً إلى انّ هذا هو السبيل الطبيعى المتيسر أمامنا لتوعية طلبة الحوزة العلمية على العمل السياسي وحمل همومه. وبدون ذلك فسوف ينخفض هذا الوعي في الأوساط الحوزوية خصوصاً الطلبة الجدد الذين لا يخضعون لضوابط أو توعية في الحوزة ويتعرضون عادة إلى الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحوزة بحيث قد يتعرضون إلى العزلة أو الانكفاء على الذات أو ترك الهموم السياسية.

مضافاً إلى انّ فصل الارتباط العضوي قد يؤدي بالعمل المنظّم الخاص إلى الانحراف والابتعاد تدريجياً عن المرجعية الرشيدة الصالحة

وتأثيرها فيه، لأن وجود العلاقة العضوية بين الطلبة والعلماء والعمل المنظم الخاص سوف يسمح بشكل طبيعي الى وجود التأثير المتبادل بين الحوزة والعمل المنظم الخاص.

وثانيهما : الاتجاه الذي كان يرى ضرورة فصل الحوزة عن هذا العمل بأعتبار وجود المحور الصالح واطروحة المرجع الواعي المتمثلة بالشهيد الصدر وحوزته الذي يمكن أن يكون مصدر الهداية والتوعية في هذا المجال، وباعتبار الايمان الفعلي للعمل المنظم الخاص بالمرجعية الرشيدة للشهيد الصدر على مستوى الواقع العملي من ناحية وبأعتبار وجود الأجهزة النامية للمرجعية التي يمكنها أن تمارس التوعية في أوساط الحوزة العلمية من ناحية أخرى.

مضافاً إلى انّ ضرورة استقلال الحوزة تنبع من موقعها القيادي في الأمة الذي يفرض هذا الاستقلال لأنه هو الذي يمكنها من التأثير في الأمة من خلال هذا الموقع بعيداً عن الشبهات. مع ضرورة ممارسة التوعية في الحوزة وانطلاقاً من المراكز الحوزوية الأصيلة.

وكان كل من الاتجاهين يؤمن ــ على مستوى المجلس الاستشاري والأحاديث المطروحة فيه على الأقل ـ بصحة الفصل والاستقلال نظرياً ولكن المشكلة التي كانت مطروحة للبحث هو النتائج العملية لهذا الفصل.

وفي النهاية تم التوصل إلى هذا القرار العملي ـ مع التحفظ تجاهه من قبل بعض أعضاء الجلسة ايجابياً وسلبياً ـ وهو ضمن النقاط التالية:

١ ـ أن يتم الفصل كلياً على مستوى أجهزة المرجعية الخاصة والعناصر الادارية والاستشارية لها. وبين العمل المنظم الخاص لتحقيق الاستقلال على هذا المستوى.

٢ ـ أن يتم الفصل بين الحوزة بشكل عام والعمل المنظم على مستوى دراسة السطح والخارج(٤٣) بحيث يتم ابلاغ الطلبة المنظمين على هذا المستوى بشكل خاص بفك الارتباط العضوي مع التنظيم الخاص.

٣ ـ يسمح للطلبة ذوي الدراسات الأولية (المقدمات) أن يرتبطوا بالتنظيم الخاص مؤقتاً من أجل تحقيق التوعية السياسية في هذا القطاع مؤقتاً.

٤ ـ يستثنى من البند الثاني الأشخاص المرتبطين بالتنظيم الخاص الذين يكون لوجودهم دور مهم في إداراته وتثقيفه بحيث يؤدي فك ارتباطهم إلى إيجاد الاختلال في الوضع التنظيمي الخاص على المستوى العملي والثقافي.

---

(٤٣) في الحوزة العلمية تقسّم الدراسة على مستويات ثلاثة:

أ ـ المقدمات، وهو دراسة العلوم المساعدة في الاستنباط مثل العلوم العربية والمنطق والكلام وغيرها وكذلك المعلومات الأولية الفقهية.

ب ـ السطح، وهو دراسة النصوص الفقهية والأصولية المعقدة نسبياً وذات الطبيعة الاستدلالية.

جـ ـ الخارج، وهو الدراسة المفتوحة للفقه والأصول ذات الطبيعة الاستدلالية والتي يتولى الأستاذ تهيئة الموضوع وطرحه للاستدلال والمناقشة والتي يتم تخريج المجتهدين على أساس هذا المستوى من الدراسة.

الحوزة العلمية..
وموقفها من مرجعية الشهيد الصدر (رض)

وكانت هناك تساؤلات وشبهات حادة ومهمة مطروحة على مستوى الحوزة العلمية والأمة حول الشهيد الصدر وعلاقته ـ بالتنظيم الخاص ـ خصوصاً بعد تصدي الشهيد الصدر للمرجعية وبروزه في صدر الأحداث وذلك باعتبار عدة عوامل وأسباب منها وجود العلاقة التاريخية إبتداءً بين الشهيد الصدر والتنظيم الخاص، ومنها وجود الرعاية للتنظيم الخاص بقاءً واستمراراً من قبل الشهيد الصدر، ومنها إرتباط عناصر التنظيم الخاص بالشهيد الصدر روحياً ومعنوياً.

وكانت وراء هذه التساؤلات دوافع عديدة (مخلصة)، لأن قدسية المرجعية ودورها المهم في الأمة وموقعها من العمل الاسلامي وسعة دائرتها وعمق نفوذها لم يكن يسمح لها في ذهن الحوزة والأمة معاً أن تكون في إطار تنظيم خاص أو حزب محدود. وكان هذا الموضوع يعيش في وجدان الامة ومشاعرها وأذهانها بعيداً عن النظريات والمفاهيم. علماً إن النظرية والاحساس معاً يدعمان هذا التصور في فهم الشهيد الصدر كما ذكرنا، كما ان هذا الأمر هو الذي دعا الامام الحكيم لأن يطلب من الشهيد الصدر وولده السيد مهدي الحكيم الخروج من التنظيم الخاص.

ومن هنا كان بعض المخلصين من الأمة يقفون من مرجعيته موقفاً سلبياً أو متردداً تشوبه الحيرة والارتياب ويطرحون هذا التسائل: ماهو مدى علاقة الشهيد الصدر بالتنظيم الخاص؟.. وطبيعة هذه العلاقة؟.

وعندما يجابون بنفي العلاقة يذكرون الشواهد والأرقام ذات المداليل الظنية الحدسية أو شبه الحسية، ومنها هذه الشواهد وهي إنّ اكثر المرتبطين به وخاصتهم يرتبطون عضوياً بالعمل المنظم الخاص.

ولكن كان إلى جانب هذا الدافع المخلص المشوب بالكدر والظن دوافع أخرى تتراوح بين (الحرص) على مصلحة الشهيد الصدر و (التخلف) في الرؤية السياسية و (مرض القلب).

لأن بعض هؤلاء الناس كانوا يتسائلون بدافع آخر ينطلق من عدم ايمانهم بالعمل السياسي مطلقاً فكيف إذا كان العمل السياسي بهذا المستوى الصارخ الشامل، ويرون في الارتباط بالعمل الحزبي أوضح ألوان الممارسة السياسية ذات الاسلوب الغريب عن المجتمع الاسلامي والتي عرفها من خلال التأثر بالحضارة الغربية وأساليبها في العمل السياسي[٤٤].

والبعض الثالث الذي كان يعادي مرجعية الشهيد الصدر لأسباب شخصية أو أقليمية أو سياسية، كان يستغل هذا السؤال ويعطيه أبعاداً مختلفة وحجماً كبيراً ويستفيد إلى حد كبير من حالة الغموض والسرية في تشويه الصورة العامة لمرجعية الشهيد الصدر، لاسيما وإنّ مرجعيته كانت (ناشئة) وقد طرحت من خلال العمل السياسي والمواجهة مع

---

(٤٤) لقد كان هذا الموقف يشبه موقف بعض الناس من تأسيس المدارس الحديثة أو مدارس البنات، ولكنه اكثر شدّة.

النظام المجرم. ولعب بعض الأفراد ــ في حاشية بعض المراجع في هذه الفترة بالذات ـ دوراً غير أخلاقي في هذا المجال.

كما إنّ بعض تصرفات بعض المحبين للشهيد الصدر وأساليب التعبير عن حبّهم ومودتهم واعتقادهم التي لا تتصف بالحكمة والحنكة ساعدت هؤلاء على تحقيق أغراضهم الفاسدة، فكانت تثير كوامن الحسد أو الحقد أو الغيظ أو غير ذلك من المشاعر التي يبتلى بها عامة الناس.

وإلى جانب ذلك كان يوجد بعض المحبين والعارفين بالشهيد الصدر ومنهم آية الله العظمى السيد الخوئي كانوا يرون ان تصدي الشهيد الصدر للمرجعية في هذا الوقت المبكر سوف يعرضه للاذى والتحجيم وانّ من الضروري الانتظار قليلاً وعندئذٍ فسوف تكون المرجعية له بلاشك، كما انّ بعضهم كان يرى في هذا التصدي خرقاً للقواعد العرفية الحوزوية التي يراعى فيها عادة موقع الطبقة العلمية وان وجود استاذه في قيد الحياة وفي موقع المرجعية لا يناسب هذا التصدي.

وقد كان النظام المجرم يضغط بأساليبه الخبيثة، والقاسية، بأتجاه (تسقيط) شخصية الشهيد الصدر وتحجيمها في دائرة معينة، ليسهل عليه الانفراد به، حيث كان يطلق الاشاعات ويهدد ويتوعد بهذا الاتجاه.

لأن النظام المجرم يدرك إنّ المرجعية الرشيدة الصالحة هي أقوى وجود اسلامي يمكنه تعبئة الأمة ضد النظام الفاسد المستبد وقيادتها في مسيرتها الاسلامية.

كما كانت الأمة أيضاً تدرك هذه الحقيقة لاسيما وإنّ مرجعية الامام الحكيم التي حققت الانجازات الكبيرة في هذا المجال على مستوى الأمة كانت قد نبّهت الأعداء إلى هذه الحقيقة الكبيرة لدور المرجعية والتي نامت عنها عيون الأعداء بعد عزلة المرجعية السابقة(٤٥).

كل هذه الامور جعلت الشهيد الصدر يفكر بشكل أعمق وأكثر جدية بأن يتبنى عملياً ونظرياً الاتجاه إلى بناء المرجعية والحوزة العلمية وجهازها واستقلالها ويعطي ذلك الاولوية في الأهتمام، مع اهتمامه في الوقت نفسه برعاية العمل المنظّم الخاص الذي يمكن أن يكون ذا أهمية في بعض المجالات والأعمال.

وكان من جملة النشاطات لبناء الحوزة الاتجاه إلى رعاية الطلبة علمياً ومادياً، ومحاولة تطوير (نظام طبيعي)(٤٦) ومشجّع للحوزة عن طريق الدراسة المنظمة فيها من جهة، وتعميق الضوابط الموضوعية والأخلاقية التي تحكمها وتطبيقها تدريجياً من جهة ثانية.

---

(٤٥) بعد وفاة الامام الحكيم وتعليقاً على مرجعيته ودورها في الامة كان الشهيد الصدر يقول ـ على ماأتذكر ـ انّ المسؤولية أصبحت كبيرة والمعركة اكثر ضراوة بسبب انّ الأعداء قد فتحوا عيونهم على (المرجعية) وقدرتها والامكانات الكبيرة الموجودة بالقوة فيها ومايمكن أن تقوم به من تعبئة للأمة في المواجهة مع الأعداء والدفاع عن الاسلام والأمة.

(٤٦) كانت فكرة الشهيد الصدر في (النظام الطبيعي) هو تشخيص الأساتذة الجيدين أو الجديرين بلقب الأستاذية في وسط الحوزة العلمية وعلى جميع المستويات ثم الطلب من طلاب العلوم الدينية الدراسة عند واحد من هؤلاء الأساتذة، مع الطلب من الأساتذة أنفسهم بوضع تقييم للطلبة في دراستهم، ويكون ذلك هو الأساس في نظام الحقوق المادية والرواتب وغيرها، والمعنوية من الدرجة العلمية والارساليات والوكالات وغيرها التي يحصل عليها طلاب العلوم الدينية.

فك الإرتباط
بين المرجعية والتنظيم الخاص

وفي تطور آخر للأحداث(٤٧) على مستوى العمل المنظم الخاص والحوزة، تم اعتقال أحد العناصر المهمة في التنظيم الخاص الذي قدَّم اعترافات واسعة و(بسهولة) عن التنظيم تشمل مجموعة من خيرة طلبة العلوم الدينية، حيث تم اعتقالهم أيضاً.

وتكشفت خطوط العمل لتطال مجموعة من طلاب وحوزة الشهيد الصدر وبعض خاصته.

وقد كان ذلك (مفاجئة كبيرة) للشهيد الصدر بهذه الحقيقة والواقع وتبين له إنّ مجموعة من طلابه ومقرّبيه قد انتموا إلى التنظيم الخاص معتقدين إنّ ذلك برأيه ونظره وموافقته وبسعي من أحد طلابه المقربين إليه جداً، الذي لم يتم إبلاغهم بالقرار السابق المذكور بشكل مناسب على الأقل، وكانت صدمة نفسية ـ وسياسية ـ قاسية وكبيرة لخطته وتصوراته السياسية عن العمل حتى أصيب على إثر ذلك بالمرض عندما قام هذا الأخ (الطالب الفاضل) المقرب إليه بالاعتراف للشهيد الصدر بالحقيقة كاملة مع اخباره بعزمه على الهجرة من النجف خوفاً من الاعتقال لأنه كان يحتمل قوياً أن يعترف عليه بعض المعتقلين ويكون

---

(٤٧) كان ذلك في بداية سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م،والاخ الذي تم أعتقاله كان هو الحاج صالح الظالمي.

ذلك كارثة للشهيد الصدر وللحوزة العلمية فاحتاط بالخروج. وقد كان ظنّه صحيحاً، وتوالتْ عليه الاعترافات الصحيحة وغير الصحيحة خصوصاً بعد أن خرج من العراق.

وقد استفاد هذا الأخ في الخروج من الاختلاف بين اللقب الرسمي له المثبت في الجواز ووثيقة الاقامة، وبين اللقب المعروف عنه في الأوساط العلمية والاجتماعية وتمكن من الخروج من النجف إلى إيران(٤٨).

وعلى أثر ذلك قام الشهيد الصدر باتخاذ اجراء عاجل وهو إبلاغ كل هؤلاء الطلاب والمقربين بضرورة الخروج من العمل المنظّم الخاص. كما قام بابلاغ بعض المسؤولين الكبار في التنظيم بضرورة إصدار بلاغ من القيادة إلى التنظيم الخاص يطلب منهم فك الارتباط مع جميع طلاب ومدرسي الحوزة والوكلاء في البلدان. وبدون ذلك فسوف يقوم الشهيد الصدر باصدار حكم باعتباره الفقيه الولي بحرمة الانتماء

---

(٤٨) كان اعتذار هذا الأخ عن هذا الموضوع ـ كما حدثني الشهيد الصدر ـ هو انه كان يعتقد انه مشمول بالاستثناء الذي ذكرناه في الفقرة (٤) آنفاً وانه لم تتهيأ له الفرصة لأن يبلغ بالقرار جميع المرتبطين وقد عاجلته الأحداث، ولكن الشهيد الصدر لم يكن مقتنعاً بكفاية هذا العذر لارتكاب هذا الخطأ الكبير كما صرّح بذلك وكان يرى ـ على الأقل ـ ضرورة اخباره بهذا الأمر خصوصاً وانّ الشهيد الصدر لم يكن على علم بانتساب هذا الأخ للتنظيم الخاص، ولم يكن يظهر عليه شيء من ذلك، واستفاد عملياً وواقعياً من موقعه ومن اعتماد الشهيد الصدر عليه وكذلك اعتماد جهاز الشهيد الصدر وأصدقائه على هذا الأخ في الإمتداد الواسع في أجهزة مرجعيته والحوزة ـ لقد كان الأخ المذكور مشرفاً تربوياً على احدى المدارس التي أسسها الامام الحكيم وكان يقوم بنشاط حزبي في هذه المدرسة الأمر الذي أثار بعض أبناء الامام الحكيم حيث لم يكونوا يوافقون على ذلك، ولكن كاتب السطور كان مسؤولاً عن المدرسة وكان يدافع عنه اعتقاداً بعدم صحة هذه الأخبار والاتهامات حتى تبيّن صحتها بعد ذلك ـ ولعلّ الأخ المذكور له عذر آخر والله أعلم.

إلى التنظيم الخاص بالنسبة إلى طلاب الحوزة العلمية وغيرهم من الأجهزة[٤٩].

وبعد ذلك أعتقل عدد كبير من طلاب الشهيد الصدر ووكلاءه وأصدقاءه من العلماء وغيرهم، وكانت هناك قوائم معده للمزيد من الاعتقالات كان الشهيد الصدر بضمنهم وكذلك (كاتب السطور) وغيرهما. وكان بضمن المعتقلين طلاب لم يكن لهم إنتماء إلى التنظيم الخاص مطلقاً وآخرون كان لهم انتماء إلى التنظيم الخاص ولكنهم كانوا قد خرجوا منه بطلب الشهيد الصدر وآخرون كانوا منتمين إليه بالفعل.

ثم بعد مداخلات كثيرة من الحوزة وبضمنهم مداخلة آية الله السيد الخوئي، ومن خارجها وبضمنهم مداخلة السيد موسى الصدر، تم اطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين مع الاحتفاظ ببعضهم. وتبيّن بعد الافراج عنهم عدة قضايا:

١ ـ إنّ جميع المعتقلين تقريباً قد انتزعت منهم اعترافات بالانتماء إلى التنظيم الخاص، وبعضهم تم ترتيب هذا الاعتراف له في المعتقل تفادياً للتعذيب مع عدم كونه منتمياً حقيقياً أو له ارتباط بأشخاص غير الذين تم الاعتراف عليهم.

٢ ـ انَّ التفكير العام الذي كان يسود أفراد التنظيم الخاص هو صحة الاعتراف بالانتساب إليه والتكتم مهما أمكن على اكبر قدر ممكن من

---

(٤٩) لقد قمت بابلاغ بيان الشهيد الصدر إلى المرحوم الشيخ عارف البصري وذكر في حينه اننا لا نجد فرقاً بيننا وبين الشهيد الصدر ولا يمكن أن نختلف معه، ولكن الأحداث تسارعت واعتقل الشهيد الشيخ عارف بعد ذلك بفترة قصيرة، ثم كانت شهادته المباركة.

المعلومات، وانَّ هذا هو أفضل طريق لمواجهة حملة القمع والاعتقالات بأعتبار وجود تجربة سابقة مشابهة في السنين الماضية.

٣ ـ إنّ هناك ضغط شديد تمت ممارسته لانتزاع اعتراف ضد الشهيد الصدر في هذا المجال من بعض المقربين إليه وبتشجيع بعض المعتقلين انسياقاً مع الجو العام، ولكن صمود بعض الأخوة كالسيد (محمود الهاشمي) وتشجيع الشهيدين الشيخ عارف البصري والسيد عماد الدين الطباطبائي على الصمود منع وقوع هذه الكارثة للشعور بخطورة هذا الاعتراف بشكل خاص.

٤ ـ إنّ الفكرة العامة التي تم استنتاجها لدى النظام وكذلك لدى الأوساط العلمية في النجف هو: انّ الشهيد الصدر مرتبط بالتنظيم، بأعتبار انّ جميع هؤلاء الأخوة كان لهم ارتباط وثيق وقريب جداً من الشهيد الصدر، بالرغم من انّ اكثرهم حاول أن يدفع هذه الشبهة في داخل المعتقل عن طريق الجواب عن سؤال : لمن ترجع بالتقليد؟ بأن مرجعهم هو آية الله السيد الخوئي.

وكان الشهيد الصدر يقول إنّ هذا الاستنتاج طبيعي بعد أن كانت الاعترافات سهلة وعامة تقريباً من قبل الأخوة وإنّ هؤلاء يشكّلون القاعدة الظاهرية لحوزته.

٥ ـ أنّ هناك مجموعة من أفراد التنظيم الخاص كانت تعتقد فعلاً إن الشهيد الصدر هو رأس التنظيم أو المنظّر له أو الفقيه الذي يرجع إليه التنظيم، وكانت هذه الفكرة تلقى بشكل أو بآخر إلى أفراد التنظيم من قبل بعض المسؤولين في الحلقات.

ومن هنا نجد الشهيد الصدر يتخذ عدة إجراءات إحترازية :

١ ـ إصدار جواب لاستفتاء مكتوب[٥٠] ينص على انه كان قد أصدر حكماً بعدم جواز انتساب طلاب العلوم الدينية إلى التنظيمات الخاصة.

٢ ـ منع بعض الوجوه المعروفة بأنتمائها الى التنظيم الخاص لاسيما من صدر منه الاعتراف بذلك عن التردد إلى منزله من أجل تغيير الصورة الشكلية لحوزته واعطائها البعد الديني العام.

٣ ـ المنع من الحديث عن علاقته بالتنظيم الخاص سواء على مستوى التاريخ أو التأييد أو الرعاية، وكان يظهر انفعالاً شديداً من سماع ذلك.

٤ ـ التوجه بشكل أشمل وأوضح إلى الأعمال الحوزوية بالصيغ المعروفة والانفتاح الواسع عملياً على القطاعات العامة للأمة والحوزة كمجلس التعزية الاسبوعي والمقابلة العامة مع الناس والاهتمام ببعض الوجوه الحوزوية التقليدية النظيفة والمعروفة بل وغيرهم وإدخالهم في بعض نشاطاته.

٥ـ تشكيل لجان عمل في داخل جهاز مرجعيته تقوم بالنشاطات الحوزوية من رعاية الطلبة إلى إرسال الوكلاء والاتصال بهم إلى تأليف بعض الكتب الدينية والثقافية لاعداد منهج ثقافي للحوزة.

٦ ـ التصدي العام للقضايا التي تهم الامة وفتح الحوار نيابة عن الأمة مع السلطة حول هذه القضايا، وقد تجلّى ذلك بشكل واضح في قضية

---

(٥٠) كتابة الفتوى ونشرها وإن كانت تمثل موقفاً سياسياً ولكنها في الوقت نفسه تعبّر عن خلفية فكرية ونظرية للشهيد الصدر أبلغها شفهياً قبل صدور الفتوى وقد عارض بعض الطلبة ـ مع الأسف ـ البلاغ الشفهي و لم يقبلوه بل تحدثوا عن الشهيد الصدر بحديث غير لائق، وصبر عليهم الشهيد الصدر حتى تطورت الأحداث فدونها وأبلغها للأمة.

الدفاع عن الحوزة العلمية وتسفيرات سنة (٩٢) هـ - (٧٢)م، التي مرَّ ذكرها.

وقضية المواكب والشعائر الحسينية وقضايا أخرى.

ومنها قضية (١٧) صفر (١٩٧٧) م (١٣٩٧) هـ التي قام الشهيد الصدر بأرسال وفد فيها عندما طلبت منه الحكومة ذلك بواسطة (السيد مصطفى جمال الدين) بعد إعلان موافقتها على التراجع عن موقفها تجاه قضية منع المواكب وكنت ممثلاً له في هذا الشأن بعد إلحاحه عليَّ بالقيام بهذه الخطوة، وانتهى الأمر بعد ذلك بالموقف الخياني للحكومة والموقف البطولي للجماهير والرعاية الواعية للمرجعية حيث كانت الجهة الاسلامية الوحيدة التي تبنت الجماهير وانتفاضتها وتحملت نتائج ذلك.

وقد تم اعتقالي بعد ذلك والحكم بالسجن المؤبد عليّ والتهمة التي كانت موجهة هو تحريض الجماهير على الانتفاضة والتخطيط لها وكان مستند الحكومة في هذه التهمة هو مضمون الحديث الذي تحدثت به مع مجموعة من قادة الانتفاضة في ليلة (١٨) صفر في خان النخيلة[٥١].

---

(٥١) وخلاصة القصة في موضوع انتفاضة ١٧ صفر: انّ السيد مصطفى جمال الدين إلتقى بالشهيد الصدر عصر يوم السابع عشر من صفر بعد الأحداث الأليمة والدموية التي وقعت في (خان النص) والتي ذهب ضحيتها بعض الشهداء، وفيهم امرأة لبنانية، وطلب من الشهيد الصدر أن يتدخل في تهدئة الأوضاع قبل أن تنفجر في صراع دموي واسع يذهب ضحيته عدد كبير من الناس لا يعلمه إلاّ الله.

وقد كانت خطة الحكومة تعتمد على الخطوات التالية:

١- استفزاز الناس وأصحاب الشعائر ليقوموا بأعمال شغب عامة.

٢- الطلب من رجال الدين والوجهاء التدخل لتهدئة الأوضاع، وكانت تفترض انّ الشعب سوف يرفض ذلك.

٣- القيام بتوجيه ضربة عسكرية واعتقال العناصر المؤثرة لمنعهم من الوصول إلى كربلاء، وكانت الحكومة تشعر بحرج كبير لهذا التحدي الجماهيري الكبير لأول مرة بعد مرجعية الامام الحكيم (ره).

وقد قامت الحكومة بالخطوة الأولى، ونجحت فيها، ثم قامت بالخطوة الثانية فأرسلت وفداً من كربلاء واجهته الجماهير بالرفض وطلبت بعد ذلك بارسال وفد من قبل آية الله السيد الخوئي وآية الله الشهيد الصدر.

ورأى الشهيد الصدر الاستجابة لهذا الطلب، وطلب مني أن أقوم بهذه المهمة فذكرت له بعض المخاوف من خطة الحكومة للخداع وتبرير ضرب الجماهير، ولكنه (قده) كان يرى صحة هذا العمل واستخرت مرتين للاصرار على الرفض فجاءت الاستخارة نهياً.

فتوكلت على الله تعالى - بعد أن وضعت خطة في ذهني للاحتياط للأمة وللقضية - وكانت المعركة التي يدور حولها الصراع هو استمرار الشعائر الحسينية كما تريد الجماهير أو منعها كما تريد الحكومة، فطلبت من الحكومة أن أتلقى الطلب رسمياً وأن تتعهد رسمياً بالانسحاب عن قرارها بالمنع لأنقل ذلك إلى الجمهور وأطلب منهم الهدوء بعد أن استجابت الحكومة لمطاليبهم.

وعلى أساس ذلك اجتمعت بالمحافظ، وهي أول مرة اجتمع فيها بالمحافظ وهو (جاسم الركابي) في داخل مركز النجف طيلة حياتي، واستمعت إليه يعلن رسمياً التراجع عن موقف الحكومة، وذهبت إلى خان النخيلة في ليلة ظلماء مطيرة وعاصفة.

وكان الجمهور متفرقاً في زوايا وأواوين الخان والمكان مظلم، ولما عرف بعضهم بورودي اجتمع عدد منهم في حدود عشرين شخصاً وكان فيهم بعض المسؤولين عن ادارة المسيرة، وتحدثت إليهم انّ موقفنا معهم ونحن نقف إلى جانبهم في هذه المطاليب والشعائر يجب أن تستمر، فأخذوا يتظلمون من العدوان والاستفزاز والقتل، وكانوا يرحبون بأي حل لهذه المشكلة ويتخوفون من الغدر.

فاتفقت معهم على هذه الصيغة وهي أن يلتزموا بالانضباط بالشعائر وتلتزم الحكومة علناً في خطاب جماهيري بالتراجع عن قرار المنع، على أن يتم هذا الخطاب صبيحة اليوم الثاني في (خان النخيلة) ومن هناك تنطلق المسيرة إلى زيارة الامام الحسين (ع).

وبعد هذا الاتفاق رجعت إلى النجف واجتمعت مرة أخرى مع المحافظ وكان الوقت متأخراً قريب من منتصف الليل.

ورأيت المحافظ كأنه قد فوجئ بهذه النتائج والاتفاق، فقال سوف أتصل بالقيادة البعثية في بغداد ويبلغني بالنتائج صباحاً لنذهب إلى خان النخيلة مرة أخرى.

ولكنه لم يتصل إلى الساعة التاسعة صباحاً، واتصل السيد مصطفى جمال الدين في ذلك الوقت وأبلغته ماحدث وعدم اتصال المحافظ.

واستمرّ هذا المنهج للشهيد الصدر حتى انتصار الثورة الاسلامية وبعدها.

٧ـ ايجاد صلة محدودة مع أجهزة السلطة المحلية لانجاز المعاملات الروتينية ذات العلاقة بالطلبة وغيرهم كما هو شأن المراجع، والانفتاح في استقبالهم في الديوان في بعض المناسبات.

ثم انّ المحافظ بعد قليل اتصل وقال بأنّ أصحاب الشعائر الحسينية قد قطعوا الشارع العام منتصف الليل (وكان ذلك كذباً) فاضطرّت (القيادة!) أن تستخدم الجيش والقوات المسلّحة لاقرار الأمن والنظام.

وعرفت بعد ذلك انّ النظام قد استخدم اللواء المدرع من المسيب وأرسل عدة طائرات مقاتلة لتكسر حاجز الصوت وتحلّق بشكل منخفض لارعاب الناس وحاولوا ايقاف المسيرة، وقاموا باعتقال أبناء الشعب بالجملة.

ولكن أبناء الحسين (ع) استمروا في مسيرتهم وسلكوا طريق البساتين والنخيل حتى وصلوا إلى هدفهم في صحن الامام الحسين عليه السلام والعباس سلام الله عليه، وحققوا هدفهم رغماً على أنف النظام وبالرغم من كل هذه الاجراءات.

وبدأت حملة اعتقالات وتعذيب واضطهاد واسعة بعد ذلك حيث تم اعتقالي بعد ثلاثة أيام، وكذلك الشهيد الصدر وأخي الشهيد حجة الاسلام السيد علاء الدين وأحد عشر ألف من مختلف طبقات الشعب العراقي وخصوصاً أبناء النجف الأشرف والمناطق المحيطة بها.

وللاعتقال والتحقيق والتهمة حديث آخر، ولكن النظام حاول أن يلقي بالتهمة والمسؤولية على الخارج (سوريا) علناً والكويت في مراكز التحقيق، وعندما فشل في ذلك اعترف بالحقيقة واهتزّ الحزب من الداخل وطرد عضوين قياديين كانا من أعضاء المحكمة الثلاثة الذين تولوا مسؤولية المحاكمة لامتناعها عن المشاركة في الجريمة، وهما عزّت مصطفى وفليح جاسم الحسن، وتحمل المسؤولية في المحاكمة كاملة العضو الثالث حسن العامري.

وقتل النظام صبراً اكثر من عشرة وحكم بالسجن المؤبد دون محاكمة ستة عشر شخصاً كنت أحدهم، والتهمة اني كنت قد شجعت الحسينيين على الاستمرار في المسيرة وطالبت السلطة بالتراجع عن موقفها علناً وأفشلت خطة الحكومة.

خطوط عامة جديدة
في تصور الشهيد الصدر (رض)

وقد توضحّت للشهيد الصدر (رض) في هذه الفترة بمجموعة من القضايا الاستراتيجية في العمل السياسي مضافاً إلى النقاط السابقة منها:

١ - إنّ منهج العمل السياسي القائم على فكرة (المرحلية) وبمعنى انّ يقوم التحرك السياسي على أساس الفصل الكامل بين طبيعة مرحلة، ومرحلة أخرى.. غير سليم، وانّ التدرّج في الدعوة والعمل إلى الله لا يعنى بالضرورة هذا التصور للمرحلية. وانّ الصحيح في منهج العمل هو الدمج بين العمل الثقافي والعمل السياسي والتصدي للمواجهة، ولكن مع مراعاة التدرّج في الطرح، والظروف الموضوعية القائمة فعلاً، سواء على صعيد الأمة أو الحكم أو أجهزة المرجعية وإمكاناتها. وبذلك أعطى الشهيد الصدر (المرحلية) معناها القرآني الأصيل.

٢ - إنّ المرجعية الدينية يجب أن تعتمد بصورة (أساسية) على تشكيلاتها الخاصة، التي يجب العناية بها وتطويرها كماً وكيفاً وهذه التشكيلات هي مؤسسات: الحوزة، والوكلاء، والمساجد، والمؤسسات المرتبطة مباشرة بها والصفوة المؤمنون الذين يلتفون حول هؤلاء العلماء ويشكّلون القاعدة العامة لهم.

٣ ـ إنّ التنظيمات الخاصة يمكن أن يكون لها دور (مهم) في العمل السياسي وفي أطار المرجعية ونشاطها العام لاسيما في بعض الأوساط أو بعض الاعمال والنشاطات، ولكن من خلال تحولها إلى مؤسسات تعبوية للمرجعية وتحركها السياسي ومواقفها المتحركة. وإلاّ فقد تصبح أجهزة معوقة للتحرك في بعض المقاطع أو المواقف، وإنّ هذه التنظيمات يجب أن تخضع لاشراف المرجعية ورقابتها، وبهذا الصدد نجد الشهيد الصدر يقوم بتعيين بعض طلابه مشرفاً على بعض هذه التنظيمات الاسلامية(٥٢) ويطالب بعضها الآخر بالالتزام بقرارته والانسجام معها.

وكانت معاناة الشهيد الصدر اللاحقة تؤكد هذه الحقيقة حيث عاش حالة الاحباط التي شهدتها مرجعية الامام الحكيم تجاه هذا الموضوع في الأزمات لا سيما عند سفره إلى لبنان لتعبئة الأمة سياسياً واعلامياً لاسناد المرجعية في محنتها. حيث كانت النتائج والملابسات توضح هذه المقولة بجانبيها الايجابي والسلبي(٥٣).

---

(٥٢) لقد كلفت بالقيام بهذه المهمة تجاه بعض هذه التنظيمات، وأظن ان الشهيد عين أحد طلابه الفضلاء لذلك تجاه تنظيم آخر.

(٥٣) لقد ذكرنا انّ الشهيد الصدر ضغط على التنظيم الخاص لتأييد موقف مرجعية الامام الحكيم تجاه حكومة البعث في بداية مجيئها إلى السلطة، وعند سفر الامام الحكيم إلى بغداد. ولكنه لاحظ الموقف المتردد والمتحفظ من التنظيم الخاص، ثم أصبح هذا الموضوع واضحاً لديه عند سفره إلى بيروت في تلك السنة لغرض التعبئة حيث كان موقف التنظيم الخاص هو التردد في التعاون المناسب في هذا المجال ولولا حماس بعض عناصر التنظيم كالشيخ علي الكوراني من جهة، والعلاقة الوطيدة بين الشهيد الصدر وبعض أفراده من طلابه ومريديه، وكذلك الموقف الايجابي للمجلس الاسلامي الشيعي الأعلى بقيادة آية الله السيد موسى الصدر، والقاعدة العريضة للمرجعية في لبنان، لما أمكن للشهيد الصدر أن يحقق شيئاً في هذا المجال.

٤ ـ إنّ قدرة المرجعية بأجهزتها الصالحة على التعبئة السياسية والجهادية في مواجهة القمع والأنظمة الفاسدة، اكبر من قدرة التنظيم الخاص. كما انّ قدرتها على حماية نفسها وعلى المناورة أفضل، لأنّ المنهج الذي تتبعه المرجعية هو منهج اللامركزية الاكثر قدرة على التعبئة والاكثر مرونة في المواجهة والمناورة مع وجود الحماية الواسعة لها على مستوى التاريخ والأمة.

٥ ـ الفصل بين أجهزة المرجعية وأجهزة التنظيم الخاص حتى على مستوى الوكلاء. حتى انه أمتنع أن يمنح أحد كبار طلابه وكالة عنه بعد أن أصرَّ هذا الأخ على البقاء في الحزب لمصلحة كان يعتقد بوجودها، بالرغم من طلب الشهيد الصدر منه الخروج من التنظيم الخاص، علماً بأنّ الشهيد كان يثق بتدينه وفضله. كما إنه لم يرشحه للقيادة النائبة لهذا السبب على ما أعتقد.

وقد اهتمَّ الشهيد الصدر بتدوين بعض أفكاره ونظرياته هذه إلى حد بعيد وذلك من خلال كتابته لكراس المرجعية الموضوعية بعد مناقشته له في المجلس الاستشاري وإرساله إلى المناطق المختلفة والطلب من بعض طلابه[٥٤] القيام بشرحه إلى القواعد المؤمنة، كما انّ رؤيته لذلك أصبحت اكثر وضوحاً من بعد في مرحلة التطبيق.

كما كان يتحدث ببعض هذه الأفكار في جلساته الخاصة إلى طلابه ويناقش بعضها في جلسة الشورى.

وتوجد رسالة بخط الشهيد الصدر (ره) يتحدث بها عن هذا الموضوع يشكو فيها هذا الهم والالم، كما كان حديثه حول (المحنة) يعبر عن هذا التصور.

(٥٤) لقد كلفني الشهيد الصدر بذلك في سفر ١٣٩٥ هـ الى بيروت، كما كلف آخرين بذلك.



الفصل الثالث

المرحلة الجهادية

وبعد انتصار الثورة الاسلامية أصبحت الحقائق والمفاهيم في العمل السياسي التي كان قد توصل إليها الشهيد الصدر (رض) اكثر وضوحاً وواقعية، وبدأت بذلك مرحلة جديدة من العمل السياسي تؤكد نفس المفاهيم والتصورات السياسية السابقة.

إذ من الواضح انّ الثورة الاسلامية في ايران اعتمدت في تحركها السياسي - بالأصل - على نظرية (المرجعية الدينية) بالمعالم السابقة التي أشرنا إليها وكان للحوزة العلمية، والوكلاء، والمبلّغين، والمساجد.

والتحرك الجماهيري العام مع تحرك (الحواريين) المؤمنين من وراء هذه المساجد، وحلقات التدريس العام للفقه والقرآن والمعرفة الاسلامية.

وتبني مصالح الأمة الفعلية والمرحلية وطرحها سياسياً إلى جانب الطرح المفاهيمي والثقافي العام.

والدخول في الصراع مع السلطة والاستكبار العالمي إلى جانب البناء الروحي والأخلاقي والثقافي...

كان لكل هذه المفردات المساهمة الفعاله في تحقيق التعبئة السياسية والروحية من ثم الوصول إلى النصر بإذن الله(٥٥).

ومن هنا كان تقييم الشهيد الصدر لهذه الثورة انها حققت الاهداف التي عمل من أجلها الأنبياء، ومن هنا كان هذا الذوبان من الشهيد الصدر في الثورة وقيادتها الحكيمة.

وأصبح من الواضح لدى الشهيد الصدر ضرورة الانتقال من حالة (الانتظار للفرصة المواتية) لبدء المواجهة، إلى حالة (المواجهة الفعلية). وقد عبّر عن ذلك في بعض الاجتماعات الخاصة للتداول والتشاور بما مضمونه: انه من قال انه سوف يبقى لنا شيء إذا انتظرنا الفرصة المناسبة؟ بعد أن كان العفالقة المجرمون جادون في مسخ شخصية الانسان المسلم في العراق وتغيير كل المعالم الاسلامية وسحق المثل والقيم الربّانية واستخدموا كل الأساليب الفاسدة والخبيثة والوحشية لتحقيق أهدافهم.

كما أصبح واضحاً للشهيد الصدر انّ الجهود التي كانت تبذل في سبيل بناء التنظيم الخاص لو بذلت ووظّفت في سبيل بناء الحوزة العلمية وتشكيلاتها الخاصة لكانت النتائج أكبر بكثير من النتائج التي توصلنا إليها طيلة المدة السابقة كما صرّح بذلك.

كما أصبح من الواضح لديه انه لابد من مضاعفة الجهد لملأ كل الفراغات الموجودة في ساحة العمل التبليغي وعلى صعيد المساجد

(٥٥) لا شك انّ لخصوصيات الشعب الايراني المتعددة وقوة جهاز المرجعية الدينية والعلماء وعمق وجودها ومايتمتع به الامام الخميني من مواصفات كان لها أثر مهم أيضاً في هذه النتائج.

ومراكز الهداية والتوجيه وبأسرع وقت انطلاقاً بالعمل الجماهيري باتجاه الأهداف الاسلامية.

خطة العمل في المرحلة الجهادية:

وقد بدأ الشهيد الصدر (رض) عملية فحص واحصاء وتقييم للمرحلة ومستلزماتها ومتطلباتها لتحقيق الاهداف الآنفة فقام بالخطوات التالية:

١ـ إرسال الوكلاء والمبلغين الى مختلف المناطق الخالية.

٢ـ مطالبة الأمة بطرد وكشف وملاحقة علماء السوء أو الأدعياء منهم.

٣ـ ضرورة طرح (المرجعية الرشيدة) بشكل عام حيث أصبح ذلك مطلباً ضرورياً واضحاً.

٤ـ القيام بعمل ثقافي وروحي شامل في أوساط الحوزة العلمية.

٥ـ التلاحم مع الثورة الاسلامية في إيران. وكان من الاجراءات التي اتخذها في هذا المجال هو التصدي لاصدار بيان في تأييد الثورة الاسلامية، وتعطيل درسه، وتشجيع طلابه بالاعداد لتظاهرة تأييد للثورة في النجف الاشرف. وقد خرجت بالفعل هذه التظاهرة ولأول مرة وواجهت عملية مطاردة من السلطة العفلقية.

٦ـ قام أيضاً بتأسيس درس التفسير الموضوعي في الأيام الأساسية للتدريس في النجف وعلى حساب بعض حصص درس الفقه المهم[٥٦] حيث كان درس التفسير هذا من الدروس المهمة التي لاقت اقبالاً عظيماً في أوساط الحوزة وتناول فيه موضوعاً حساساً يرتبط بالتحليل التاريخي والاجتماعي النظري للقضايا المعاصرة والملحَّة.

وعندما استشهد آية الله المطهري أقام مجلس الفاتحة على روحه الطاهرة انسجاماً مع الثورة الإسلامية حيث فسَّرت السلطة هذا الموقف بهذا التفسير. لأنه لم يقدم على هذا العمل غير الشهيد الصدر.

٧ـ قام في الوقت نفسه بالتنسيق مع بعض قيادات العمل المنظم الخاص في التحرك للمواجهة الجهادية من خلال وجهة نظره لموقع المرجعية والعمل المنظم الخاص، حيث تمت الموافقة على أن يسلّم العمل المنظم الخاص على مستوى العراق على الأقل بقيادة المرجعية، ويرتبط بقرارها السياسي العام[٥٧].

٨ ـ قام في الوقت نفسه بالتخطيط للتحرك الاعلامي والسياسي في الخارج وكتب رسالة في هذا المجال[٥٨] تمثل رؤيته لهذا التحرك السياسي والاعلامي.

---

(٥٦) الدروس الأساسية في مرحلة الخارج هي الفقه والأصول، والأول أهم من الثاني ويدرسان عادة خمسة أيام في الاسبوع بخلاف التفسير فأنه لم يكن أساسياً و لم يعرف على مستوى المراجع تدريسه في العصور المتأخرة إلاّ نادراً حيث قام آية الله السيد الخوئي بتدريسه لمدة محدودة ثم انقطع عنه.

(٥٧) كما أخبرني (رضوان الله عليه) بذلك شخصياً.

(٥٨) لقد كلفني الشهيد الصدر بكتابة هذه الرسالة وقد دونتها ثم عرضتها عليه وبعد اقرارها من قبله تم ارسالها إلى الخارج باسمه بعد أن استنسخها بخط يده. واطلعت على نشرها ـ بعد ذلك ـ في صوت الدعوة، وهي النشرة السرية الخاصة لحزب الدعوة الاسلامية.

٩- وعلى أساس هذا التخطيط أيضاً قام بارسال ممثل له الى ايران لينطلق بالعمل الخارجي من هناك، وينسق مع قيادة الثورة الاسلامية وهو سماحة السيد محمود الهاشمي.

١٠- أصدر توجيهه بتأسيس حركة التحرر الاسلامي في لندن وهي تضم مجموعة من عناصر منظمة لأكثر من جهة إسلامية وعناصر مستقلة ايضاً وبدأت تعمل وتمارس النشاط السياسي العام لأول مرة في الخارج وبشكل علني من أجل طرح القضية على صعيد المجتمع الدولي(٥٩).

كما كانت محاولة أخرى لفتح مكتب في باريس يقوم بهذا النشاط السياسي والاعلامي الدولي.

١١- وكان قمّة التحرك السياسي العام في الداخل هو اسبوع البيعة الذي قامت به جماهير ووفود وهيئات بقيادة العلماء من مناطق مختلفة من العراق تتوافد فيه على النجف الأشرف لتعلن البيعة للشهيد الصدر والاستعداد للتضحية، واشترك في هذه الوفود علماء وشباب وعناصر منظمة وجماهير مؤمنة عامة، وتجاوب مع هذا الاسبوع تنظيم حزب الدعوة الاسلامية مع بقية المؤمنين الواعين حيث كان يعبّر ذلك عن مظهر من مظاهر التنسيق وتطبيق الاتفاق الآنف الذكر.

---

(٥٩) تعطل نشاط هذه الحركة بسبب تحول موقف حزب الدعوة منها من المشاركة الى المعارضة بعد ان قرر الحزب ان ينتقل الى المرحلة السياسية والتصدي العلني وطرح اسمه في هذه المواجهة ومن ثم فلم يكن يرى مبرراً لوجود هذه الحركة بل كان وجودها الى جانب الحزب يعبر عن انشقاق في صف الحركة الاسلامية كما كانوا يفسرون بذلك موقفهم السيي منها بعد ذلك.

رد فعل النظام تجاه خطة الشهيد الصدر (رض):

وازاء هذا التحرك فقد النظام أعصابه ـ بالرغم من انّ تحرّك الشهيد الصدر كان سياسياً وسلمياً ـ إلاّ انّ النظام كان يرى أمامه التجربة الاسلامية في ايران ونتائجها لاسيما انه أدرك الترابط العقائدي والعناصر الثابتة بين هذا التحرك وتحرك الثورة الاسلامية في ايران مضافاً إلى الطبيعة العدوانية والغرور الذي يتّصف به حزب العفالقة ومجموعة صدام.

واقترن اسبوع البيعة مع برقية الامام الخميني (قدس سره) إلى الشهيد الصدر (رض) التي يطلب فيها منه البقاء في النجف حيث بلغت مسامعه أنباء عزم الشهيد الصدر على الهجرة إلى الخارج[٦٠].

وعلى أثر ذلك قام النظام باعتقال بعض أفراد الوفود ومطاردة البعض الآخر أو وضعهم تحت الرقابة، وطلب الشهيد الصدر ـ لامتصاص رد الفعل ـ من الوفود التوقف وأغلق بابه احتجاجاً على موقف السلطة. ولكن السلطة قامت على الفور باعتقال الشهيد الصدر في ١٦ رجب.

وانفجر الوضع بتظاهرة في النجف ـ بعد أن خرجت الشهيدة بنت الهدى تعلن عن اعتقال الشهيد الصدر وتستنهض الأمة ـ وأخرى في مدينة الثورة وثالثة في الكاظمية وأماكن أخرى من العراق، ووقعت

(٦٠) لم يكن في نية الشهيد الصدر الهجرة إلى الخارج في تلك المدة، ولكن جاء في البرقية الاشارة إلى ذلك، ولم أعرف حتى الان السبب أو المغزى من هذه الاشارة، ومن المحتمل وصول أنباء الى الامام الخميني بذلك أو انه أراد ان ينبه الشهيد الصدر الى عدم صحة ذلك لو كان في نيته هذا الامر بهذه الطريقة.

مصادمات مع رجال الأمن فاطلق سراح الشهيد الصدر في اليوم الثاني ثم وضع رهن المراقبة وتم احتجازه في بيته[٦١].

وفي التحقيق عند اعتقاله طُلب من الشهيد الصدر التخلّي عن تأييده للثورة الاسلامية، وتعرّض للتهديد الشديد إذا استمر في هذا الطريق.

وفي الوقت نفسه تم إلقاء القبض على عدة آلاف من الأشخاص، وعرضوا للتعذيب الوحشي أثناء التحقيق.

وفي هذه الأثناء وبسبب هذه التطورات والأحداث ولمواجهة الثورة الاسلامية والنهضة المحمدية في العراق وايران وتطبيق سياسة التصفية الشاملة والقبضة الحديدية والأرض المحروقة، حدثت تغييرات مهمة وأساسية سياسية في أوساط النظام الحاكم حيث أزيح أحمد حسن البكر وذلك من خلال الضغط عليه بتقديم الاستقالة من رئاسة الجمهورية، وتم تنصيب صدام مكانه، فاستهل حكمه باراقة الدماء بصورة وحشية، ثم تمت تصفية العناصر المعتدلة المحسوبة على البكر أو غير الموالية لصدام بتهمة التعاون مع الحكم في سوريا للاطاحة بنظام صدام حيث قُتل عدد كبير من قادة حزب البعث وسجن عدد آخر وذلك ضمن سياسة القبضة الحديدية الجديدة والسيطرة الكاملة لصدام ومجموعته.

كما أتخذ قرار التعامل الوحشي ضد الاسلاميين في العراق، وكانت النتائج الحكم بالاعدام بعد أيام قليلة وتنفيذه على اكثر من سبعين شخصاً فيهم مجموعة كبيرة من العلماء البارزين في ليلة النصف من

---

(٦١) هذه الاحداث هي المعروفة بأنتفاضة صفر.

شعبان ١٣٩٩هـ والحكم بالسجن المؤبد على اكثر من مائتين شخصاً فيهم العلماء والمثقفون ومن مختلف أوساط الشعب العراقي.

وقد حاول النظام عدة مرات في فترة الاحتجاز من خلال الحوار والوسطاء أن يثني الشهيد الصدر عن موقفه المؤيد للجمهورية الاسلامية، أو الكف عن مواصلة تنفيذ هذه الخطة.

ومارس من أجل ذلك مجموعة من الضغوط النفسية والبدنية والتهديد بالاضافة إلى محاولات الاغراء والاستمالة ولكنه بقي صامداً على موقفه، بل أُذن بتصعيد الموقف السياسي والجهادي ضد النظام في الداخل والخارج بعد أن منع النظام الجمهور من الممارسة العادية للعمل السياسي وقام بعمليات القمع والاعدام.

وعلى أثر ذلك قام بعض المؤمنين في التنظيمات الخاصة ومن غيرها بتشكيل مجموعات جهادية في الداخل، وأخذ جهاز الشهيد الصدر المرجعي يخطط لهذا العمل الجهادي بشكل واسع.

كما قام بعض طلاب الشهيد الصدر وأنصاره بتأسيس حركة المجاهدين العراقيين في لبنان للقيام بأعمال جهادية ضد النظام.

وبذلك دخل الشهيد الصدر المواجهة الجهادية المسلحة بعد أن بدأها النظام بقسوة وأصبحت الشهادة ماثلة أمام عينيه بسبب ظروف هذه المواجهة.

التخطيط لما بعد الشهادة

وأخذ الشهيد الصدر (رض) يخطط لما بعد شهادته، وكانت هناك قضايا أساسية أمامه:

١ ـ قضية القيادة النائبة التي يمكنها أن تنوب عنه وهو في الاحتجاز وتقوم بدورها بعده في قيادة التحرك الاساسي. وقد رشّح أربعة أشخاص غير مرتبطين بالعمل المنظم الخاص، وكتب بذلك رسالة للامام الخميني بهذا الترشيح مغلقة وكلفني بالاحتفاظ بها للوقت المناسب، ولكنه سحب ترشيحه بعد ذلك[٦٢] وطلب اتلاف الرسالة بعد أن وصلته أخبار عن الوضع الخاص له في ايران غير مشجعة، وكذلك عن الموقف العام تجاه حركته وتقييمها[٦٣].

(٦٢) تحدثنا عن هذه الفكرة في مقال مستقل نشر في جريدة لواء الصدر.

(٦٣) يمكن ملاحظة هذا التقييم والتصور حول النجف والحركة الاسلامية في العراق فيما كتبه السيد حميد روحاني عنها في كتابه (نهضة الامام الخميني) وهو شخص كان الى آخر أيام الامام على صلة وثيقة بمكتبه، وقد لمست ذلك عند الهجرة الى ايران من بعض هذه الاوساط ولو لاتدخل الامام شخصياً وتكليف آية الله السيد الخامنئي بمتابعة قضية العراق لاستمرت المأساة بحجمها الكبير.

٢ ـ قضية تطوير خط الجهاد في بناء الخط العسكري الجهادي، وقد طلب منّي الخروج من العراق للقيام بهذا العمل وكانت لدي ملاحظات عرضتها عليه فتوقف عن الطلب في حينه[٦٤].

٣ ـ قضية تعبئة الشعب العراقي بجميع فئاته وقطاعاته سياسياً ضد البعث العفلقي، وقد وجه نداءاته الثلاث إلى الشعب والتي سجلها بصوته، وطلب أن تبث وتنشر بعد شهادته مباشرة ووضعها أمانة لديّ حيث أرسلتها مع أول رسول بعد شهادته[٦٥].

٤ ـ قضية الوقوف إلى جانب الثورة الاسلامية وقيادتها الحكيمة والدولة المباركة التي كان يعتبرها تجسيداً لحركة الانبياء وقد أكد ذلك في رسائله الخاصة قبل تطور الاحداث وكتبه بعد ذلك بدمه الزكي عندما أصر على الاستمرار في موقفه المساند لها حتى لو كان على حساب حياته الشريفة التي قدمها رخيصة في سبيل الاسلام[٦٦].

٥ ـ قضية الاهتمام بالشباب المؤمن المخلص المجاهد الذين كانوا ينتمون إلى التنظيمات الاسلامية كحزب الدعوة أو غيرهم من أبناء

---

(٦٤) ذكرت بشكل مختصر هذه الملاحظات في بحث القدوة في النظرية الاسلامية، وفي بحث القيادة النائبة.

(٦٥) لقد تميزت هذه النداءات بطرح سياسي وحدوي يقوم على أساس وحدة الأمة في العراق بين الشيعة والسنة والعرب والاكراد والتركمان والمطالبة بالحقوق الأساسية للانسان ومنها الحرية والعدالة والمساواة وانّ الشعوب هي أقوى من الطغاة فلا بد أن يتحقق النصر على يدها إذا وظفت طاقاتها في المعركة إلى غير ذلك من المفاهيم المهمة.

(٦٦) وهنا لابد أن اسجل للتاريخ ان الشهيد الصدر كان يشعر ببعض الاحباط تجاه بعض الأخبار والمواقف في ايران ، حيث كان يسيطر على توجيه حركات التحرر اشخاص لايثقون بالشهيد الصدر ولا بالحركة السياسية الاسلامية العراقية كالسيد مهدي الهاشمي ويشجعهم بعض الاوساط السياسية العراقية المحيطة بهم ممن يرتبطون بالسيد محمد الشيرازي في ذلك الوقت، وذلك انطلاقاً مما ذكرته في الهامش ٦٣.

الاسلام والذين أثبتوا فنائهم في الاسلام وتعاليهم على جميع الانتماءات الأخرى غير الاسلام وقدموا التضحيات في سبيل القضية الإسلامية، حيث أوصى بهم خيراً لأنهم يمثلون القاعدة الاسلامية التي يمكن أن تستند إليها الثورة، وقد كان يدرك بوضوح الفرق بين موقفهم واستعدادهم للتضحية وموقف بعض العناصر القيادية المترددة.

وقد أثبتت تجربة السنين الماضية في الحرب العدوانية ضد الجمهورية الاسلامية كيف تحوّل هؤلاء الشباب ومن سار في خطّهم إلى قوة جهادية ارتبطت بالولاية الشرعية وبالقيادة السياسية الدينية ووظّفت قدراتها من أجل القضية وأكدت انتماءها المطلق للاسلام قبل كل شيء.

٦ ـ الاهتمام بدور المرأة في العمل الاسلامي وأهمية دورها المساند والمكمل لدور الرجل في العملية التغييرية حيث جسدت أخته الشهيدة بنت الهدى هذا الدور عملياً في فترة الاعتقال والاحتجاز وفي التحرك السياسي قبل ذلك ثم في شهادتها العظيمة مع اخيها الشهيد.

وانتهت هذه المرحلة بشهادته رضوان الله عليه مع أخته الفاضلة العلوية بنت الهدى (رض) التي وقفت إلى جانبه في جميع مسيرته وانتهت حياتهما الطاهرة بالشهادة بعد إبلاغهما الرسالة. وكانت هذه النهاية العظيمة والمفخرة بعد حوالي سنة من الاحتجاز ومحاولات الاحتواء والتفاوض وعروض الحرية المشروطة. وبعد أن قام النظام بأعدام كوكبات من الشباب المؤمن الذين قاموا بالعمليات الجهادية أو خططوا لها أو تعاطفوا معها، بعد أن أصدر القانون المشؤوم الذي لا يعرف التاريخ الاسلامي له نظيراً وذلك بقتل كل من ينتمي إلى حزب

الدعوة أو يروّج أفكاره وجعل له أثراً رجعياً وطبّقه على عشرات الآلاف من الناس وفيهم الكثير ممن لم ينتم إلى حزب الدعوة، كما طبّقه على الشهيد الصدر نفسه.

خاتمة المطاف

ويمكن أن نستنتج من هذا الاستعراض السريع للأحداث والمواقف والنشاطات في هذه المرحلة الأبعاد النظرية التي كان يؤمن بها الشهيد الصدر في العمل الاسلامي.

١ ـ إنّ المرجعية الدينية السياسية المتصدية والرشيدة هي القيادة السياسية الشرعية والفعلية لمجمل العمل السياسي والجهادي في الساحة الاسلامية.

٢ ـ إنّ المرجعية وبتشكيلاتها ونشاطاتها العامة هي الاطار العام الصالح للعمل السياسي والجهادي ،كما هي محور الولاء فيه.

٣ ـ إنّ المجتهد العادل الجامع لشرائط الدراية والخبرة السياسية والاجتماعية والتصدي يمكن ان يتولى (القيادة السياسية النائبة) عن المرجعية الدينية السياسية العامة عندما لا تتمكن القيام بدورها المباشر[٦٧].

---

(٦٧) انتهت الجمهورية الاسلامية إلى هذا التصور بعد ذلك عندما تم تصور فصل الولاية السياسية عن المرجعية الدينية واقرار تصدي المجتهد الجامع للشرائط لقيادة الأمة سياسياً وشرعياً (المرجعية السياسية الدينية) حتى لو لم يكن هذا المرجع الديني مرجعاً عاماً في الفتوى.

٤ ـ إنّ العمل المنظّم الخاص (حزب أو حركة أو منظمة أو جمعية) هو مؤسسة يمكن أن يكون لها دور هام[٦٨] ومتفاوت المستوى ضمن الاطار العام للمرجعية وتحت قيادتها واشرافها.

٥ ـ اللامركزية في العمل السياسي على مستوى التنفيذ والتعددية على مستوى التشكيلات المرجعية والمؤسسات وغيرها مع المركزية في القيادة السياسية للمرجعية أي في تشخيص الخطوط السياسية العامة، والمواقف الأساسية في التغيير والمواجهة، والاشراف على عموم التحرك الاسلامي والأموال والحقوق الشرعية، والتخطيط العام.

٦ ـ القيادة المرجعية السياسية لابد أن تتوفر فيها الشروط الاساسية وهي (الاجتهاد) و(العدالة) و(الكفاءة السياسية) و(الكفاءة الشخصية) و(التصدي) لقيادة الأمة ولقضاياها.

٧ ـ تجاوز فكرة (المرحلية) في العمل الثقافي والسياسي والجهادي والايمان بفكرة التدرج في العمل مع الايمان بالتداخل بين العمل الثقافي والمواقف السياسية. ونلاحظ انّ الشهيد الصدر انتقل في فترة قصيرة من العمل الثقافي إلى المواجهة السياسية ثم المواجهة الجهادية.

٨ ـ إن انتصار الثورة الاسلامية يمثل منعطفاً أساسياً ومهماً في المسيرة الاسلامية، قلبت الكثير من الموازين والتصورات تجاه العمل الاسلامي، ووضعت المسلمين أمام مسؤوليات جديدة تهون ازاءها التضحية

---

(٦٨) تشخيص هذا الدور يرتبط بطبيعة الظروف التي تمر بها الأمة والمنافسات السياسية والأوضاع التي تعيشها المرجعية الدينية، ولكن مهما كانت هذه الأهمية كبيرة فلا يمكن تجاوز الخطوط الحمراء التي وضعها الاسلام والتصميم العام للمرجعية من قبل الأئمة الذي أشير إليها في النقاط الأولى والثانية والثالثة.

الكبيرة والفداء العظيم(٦٩)، وتفرض المزيد من التصدي والالتحام معها في موقف واحد أمام قوى الاستكبار العالمي.

٩ ـ أهمية الوحدة بين المسلمين وتجاوز الخلافات المذهبية والقومية والفئوية في مثل هذه المواجهات الشاملة.

١٠ ـ ضرورة التركيز في الطرح على القضايا الأساسية والمصيرية للأمة وحقوقها الشرعية والتعامل مع القضايا التي تعيشها الأمة أو تعانيها فعلاً بشكل واقعي وميداني.

١١ ـ الانفتاح على قطاعات الأمة وجمهورها في القضايا المختلفة والتخاطب معها بشكل مباشر والاعتماد على الله تعالى وعلى قدرة الشعب في التغيير.

١٢ ـ أهمية العناية البالغة بالقاعدة الايمانية العامة وخصوصاً الطاقات (الشابة) المستعدة دائماً للتضحية والفداء وكذلك أهمية دور (المرأة) و (النخبة) الاسلامية في العمل التعبوي.

****

(٦٩) ولذلك هانت التضحية العظيمة والخسارة الفادحة بفقد هذا العالم الرباني المؤيّد وهو الشهيد الصدر (رض) لأنه كان يرى انّ هذه الجمهورية تمثل القاعدة القوية والضمانة الحقيقية لمستقبل الاسلام، وفي الوقت نفسه يمكن أن تتمركز آثار التضحيات في مسيرتها وحركتها فلا يضيع منها شيء.

«الجزء الرابع»

الإمام

الشهيد الصدر (رض)

المواقف والتوجهات السياسية

فيما يتناول من حياة الشهيد وهي زاخرة بمختلف الأحداث والقضايا التي يستحق كلّها التناول والحديث، كما انها زاخرة بالمعاني السامية التي يجد الانسان صعوبة في استيعابها والاحاطة بها. خصوصاً عندما يكون الانسان قريباً من هذا البحر المتلاطم. ولكن قد يكون من المفيد أن أتحدّث قليلاً عن بعض النقاط الأساس التي كانت تمثل مواقف وتوجهات السيد الشهيد لمسيرة الثورة الاسلامية في العراق وهو يتوقع استشهاده ويشعر بالحرص على مستقبل الثورة ومصيرها كما هو حريص على مسيرتها عندما كان يقود تحركها في العراق في حياته، شأنه في ذلك شأن القائد الذي لا يفكّر في الحاضر وحده، بل في الماضي والمستقبل ليحكم الارتباط بين كل الحلقات التي تؤثر في مسيرة الأمة وتاريخها.

ولقد كان لهذه الثورة الأثر البالغ ـ على الأقل ـ في توجيه المسيرة من خلال الخط الذي وضع أسسه السيد الشهيد رضوان الله عليه (خط المرجعية الدينية السياسية) والذي عشت الظروف الصعبة القاسية التي مرّت بهذا الخط بعد استشهاد الصدر (رض).

كما كان لهذه التوجهات والالتزام بها والاصرار عليها والاهتمام ببلورتها وطرحها وتثقيف الأمة على مضمونها أثر بالغ في تصاعد الثورة الاسلامية في العراق وتحقيق الكثير من أبعادها بعد أن قام الشهيد الصدر (ره) بتفجير هذه الثورة بتضحياته العظيمة ورسم طريقها بدمه الزكي الغالي.

مرجعية الامام الخميني

لقد كان الشهيد (رضوان الله عليه) يدرك الدور العظيم الذي يمكن أن تقوم به المرجعية الدينية في التحرك الاسلامي، وذلك من خلال دورها التاريخي عبر القرون في إدارة شؤون جماعة أهل البيت (عليهم السلام) والدفاع عن الاسلام، وكذلك من ما تملكه من قدرات وطاقات وأجهزة في صفوف الأمة ووفق نظامها العام ومنهجها الخاص في العمل السياسي، وبموجب مواصفات وشروط محددة، والتي سوف نتناولها في نقطة أخرى. ولكن الشيء الذي أريد التاكيد عليه في هذه النقطة هو جانبان في المرجعية تجسّدا في مرجعية الامام الخميني وفرضا ضرورة التأكيد لها وترويجها من قبل الشهيد الصدر وخطّه السياسي المبارك.

المرجعية المجاهدة

الأول: التوجه الجهادي في هذه المرجعية والتصدي للعمل السياسي والاصلاح العام في المجتمع الاسلامي، فانّ المرجعية الصالحة هي تلك المرجعية التي تضع في رأس قائمة أولوياتها مسألة الإصلاح وإخراج الناس من الظلمات إلى النور والدفاع عن الاسلام والأمة الاسلامية وشعوبها، والتضحية والبذل والعطاء من أجل ذلك، وتقديم الخدمة لجماهير الأمة والدفاع عن مصالحها وتحقيق العزة والكرامة والاستقلال. ولا يكتفي السيد الشهيد بتأكيد هذه الرؤية نظرياً كما يمكن التعرّف عليها من خلال مؤلفاته وأحاديثه. بل تمثل هذه الرؤية صفة ثابتة اتسم بها سلوكه منذ بداية ارتباطه بهذا الخط الرباني، فمنذ سنة ١٣٧٦هـ عرفت السيد الشهيد مصلحاً ومجاهداً في كل المجالات التي كانت تنفتح له، وكان يدرك جملة المشاكل والآلام التي تعانيها الأمة ويتحسس هذه الآلام، ويفكّر في حل هذه المشاكل ويضع الحلول الفكرية والثقافية والسياسية لها.

وقد كان أحد الأسباب المهمة لإرتباط الشهيد الصدر (رض) بمرجعية الامام الحكيم (رض) وتصديه للعمل معها وتحمل مسؤولياته وآلامه ومحنه هو هذا الجانب في مرجعية الامام الحكيم.

وعلى مستوى مرجعية الامام الخميني (رض) فقد كان تحرك السيد الامام الخميني منذ بدايته موضع الاعجاب والتقدير والتأييد الحار من قبل السيد الشهيد (رضوان الله عليه)، ومازلت أتذكر الأيام الأولى لهذا التحرّك، وكيف كان يتفاعل معه السيد الشهيد ويضغط باتجاه تأييده في أوساط مرجعية المغفور له السيد الحكيم (رضوان الله عليه)، وكذلك في الأوساط التي كانت تتفاعل مع الشهيد بشكل مباشر، ثم تجسّد هذا التحرك المبارك في ثورة اسلامية مباركة تمكنت من تحقيق أعظم انجاز عرفه تاريخ المسلمين بعد فترة الرسول وامتداداتها الثورية.

وقد سجل السيد الشهيد تأكيد هذه الرؤية لمرجعية الامام الخميني خلال مواقف كثيرة على المستوى الفكري والسياسي والجهادي، تجسّدت في كتاباته الأخيرة حول الاسلام ومواقفه الصامدة في تأييد الثورة وتضحيته بالنخبة الطيبة من أبناءه البررة في هذا السبيل ، حتى كتب آخر صفحة من هذه المواقف في حياته بدمه الزكي ودم أخته العلوية العالمة الشهيدة (بنت الهدى).

وحـدة المرجعيـة

الثاني: وحـدة المرجعيـة، فـانّ المرجعيـة الدينيـة السياسـية باعتبارهـا القيادة الشرعية العامة والحقيقيـة الفعليـة تصبـح قضيـة (الوحـدة) فيهـا مسألة ذات أهمية تبلغ درجة الضرورة في المقاطع التاريخية الحاسمة. وقد كان للسيد الشهيد موقف ثابت لا يتغير تجاه هذه الرؤية أيضاً، بـالرغم من التغييرات والأحداث والضغوط التي تعرّض لها في حياته أو شاهدها في مسيرته.

وينطلق هذا الموقف من رؤية نظريـة للامامـة حيـث ورد التـأكيد في روايات أهل البيـت (عليهـم السـلام) علـى وحدتهـا، وتعتـبر المرجعيـة الدينية السياسية امتداداً للامامة، كما تنطلق أيضاً من رؤية واقعية هـي قوة وقدرة المرجعية على الأداء والتأثير في الأمة.

والتعدد في المرجعية وإن كان أمـراً مقبـولاً ومسـموحاً بـه علـى مـر تاريخ جماعة أهل البيت (ع)، إلاّ انّ وصول المرجعية إلى مرحلة القيادة وهي المرحلة الرابعة التي يحددها الشهيد الصدر فانّ ذلـك يفـرض هـذه الوحدة ويجعلها قضية ذات أهمية خاصة، لأنّ الموقف السياسي لا يقبل التعدد وليس كالفتوى الشرعية.

ومن خلال استعراض المواقف الثلاثة التالية يمكن أن نشهد هذه الحقيقة الثابتة لا في الرؤية النظرية فحسب، بل في الموقف والتطبيق العملي الذي يقترن ـ أيضاً ـ بالبذل والتضحية.

١ـ لم يكن السيد الشهيد الصدر في علاقاته العلمية ولا الاجتماعية الحوزوية ـ تاريخياً ـ ممّن يحسب على مرجعية المغفور له الامام الحكيم (قدس سره) وانما كان ضمن علاقات حوزوية أخرى. ولكن بعد أن أصبح السيد الحكيم (قدس سره) المرجع العام للشيعة الامامية بعد وفاة المرحوم السيد البروجردي، نلاحظ انّ السيد الشهيد الصدر يقف بإصرار واخلاص إلى جانب الدعوة إلى مرجعية السيد الحكيم، ويعمل ـ وبدون ضوضاء أو أية مصلحة أخرى غير المصلحة الاسلامية العليا ـ بجد من أجل إسناد هذه المرجعية. ولا يكتفي بذلك حتى يكون على استعداد لأن يبذل دمه الشريف في سبيل الدفاع عنها عندما تعرّضت إلى العدوان من قبل الحزب العفلقي سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ثم يسافر إلى لبنان ويقود الحملة الاعلامية والسياسية ضد حكم البعث العفلقي. ويعرّض كل وجوده الاجتماعي، بل وحياته للخطر من أجل هذا الهدف[٢].

٢ـ بعد وفاة الامام الحكيم يتحرك عدد من العلماء والمخلصين المثقفين لإرجاع الناس بشكل واسع للسيد الشهيد الصدر في التقليد والفتيا.

---

(٢) قد نوفق لنشر تفاصيل هذا الموقف العظيم للسيد الشهيد في فرصة أخرى، وقد أشرنا إلى بعضها في بحثنا (النظرية السياسية للشهيد الصدر).

وقد كان يرى هؤلاء العلماء ـ كما كان يرى السيد الشهيد أيضاً ـ الكفاءة والأهلية للسيد الصدر لتسلّم هذا الموقع. ولكن السيد الشهيد يرفض ذلك باصرار، ويروِّج لمرجعية الامام الخوئي انطلاقاً من فكرة ضرورة توحيد المرجعية وتكريس قوتها لصالح قضايا الأمة والدفاع عن الاسلام. ويبذل بعد ذلك كل مافي وسعه وقدرته من أساليب ووسائل وأدلة للاقناع والضغط في تقويم مسيرة المرجعية ودفعها في الاتجاه الصحيح في التصدي. ويتحول إلى الجندي المجهول الذي يتحمل الآلام والشدائد من أجل تحقيق الانتصار أو ملأ الفراغ أو الدفاع عن الاسلام والحوزة العلمية. ويتعرض بسبب ذلك إلى الاعتقال من قبل السلطة، وأساليب الاحباط والتشهير من قبل المتخاذلين والمنحرفين، والارهاب النفسي من قبل بعض الأوساط التقليدية والمحافظة، والتشكيك واللمز والغمز لأسباب عديدة. ويصمد في وجه كل تلك المحاولات وهو يتابع مسيرته وطريقه في هذا السبيل، إلى أن يفرض عليه الموقف الشرعي ـ الذي تجسّد من خلال مجموعة من الدلائل والمؤشرات أهمها ضغط الأمة ومتطلبات المرحلة ـ أن يسمح لنفسه بالتصدي للمرجعية بشكل واضح ليكون في الخط الأمامي من المواجهة، ويتحمل مسؤولية التصدي للبعث العفلقي الذي حاول أن يضلل الأمة ويكتم أنفاسها ويفرض عليها الكفر والتمرد على الله[٣].

(٣) تحدثنا عن شرح هذا الموضوع في بحث النظرية السياسية.

٣ـ وبعد انتصار الثورة الاسلامية ـ وقد أصبح الشهيد الصدر المرجع الثاني في العراق من حيث عدد المقلدين، والمرجع الأول من حيث التصدي والمودة والمحبة والارتباط ولاسيما في أوساط الشباب والواعين من أبناء الأمة، بالاضافة إلى شخصيته الاسلامية التي طبقت الآفاق في العالم الاسلامي وامتدّت إلى أبعد من ذلك ـ نجد السيد الشهيد الصدر (رض) يعلن وبكل فخر واعتزاز وإيمان واخلاص وعزم وتضحية عن ارتباطه بالمرجعية السياسية وبقيادة إمام الأمة السيد الخميني (قدس سره)، الذي أصبح المتصدي الرئيس لقضايا الاسلام في العالم الاسلامي، ولم يكن يعني هذا الاعلان في نظر السيد الشهيد إلاّ مسؤولية شرعية وموقفاً اسلامياً، وكان يعرف مايحتاج إليه من البذل والعطاء والتضحية. ثم لم يتزحزح عن هذا الموقف بالرغم من أساليب التهديد والضغط، بل والاغراء التي صاغتها بدقة أيدي الأسياد ونفّذها العبيد (العفالقة) المجرمون صدام وجلاوزته بكل وقاحة وصلافة ووحشية حتى ارتفعت روحه الزكية إلى بارئها تشكو ظلم الانسان وطغيانه وجبروته، وتعبّر في جانب آخر عن كمال الانسان وقدرته على الارتقاء والارتفاع.

الامام الخميني المرجع المؤهل

ولم يكن هذا الموقف من السيد الشهيد الذي كتبه بدمه الزكي نتيجة لانفعال عاطفي، أو فورة مشاعريّة، أو ردّة فعل للأحداث أو اندفاعاً في الموقف، بل كان هذا الموقف تصميماً ثابتاً راسخاً مدروساً بدقة ومدعوماً باخلاص وايمان عميقين، ومستهدفاً لغاية وهدف مقدس وهو رضا الله وصلاح الأمة، فقد أدرك السيد الشهيد (قدس سره) انّ الامام الخميني (رضوان الله عليه) بالاضافة إلى مواصفاته القيادية التي أشرنا إلى بعضها ـ أصبح اماماً للمسلمين جميعاً ورمزاً لثورتهم، وقائداً لمسيرتهم في مواجهة قوى الاستكبار العالمي والطغيان الكافر، وانّ المسلمين بأجمعهم ـ بعد هذا الانجاز العظيم ـ دخلوا في مواجهة واحدة مع هذه القوى الشيطانية وكل أتباعها وعملائها، وانّهم يقاتلون هذه القوى تحت راية هذا الامام. وبالتالي فلا بد لهم جميعاً من أن يكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص لـ ﴿**انّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص**﴾.

وكل التصريحات التي صدرت عن السيد الشهيد ـ بالرغم من اختلاف ظروفها النفسية والسياسية ـ كانت تؤكد هذه الحقيقة. فهو

يطلب من طلابه أن يذوبوا في الامـام الخميـني كمـا ذاب في الاسـلام، ويرسل ممثله إلى ايـران ليضع كل طاقاته العلمية والسياسية والاجتماعية تحت تصرف الامام، ثـم يتحمـل الأذى والعـذاب والاحتجـاز الطويـل والارهاب له ولأهل بيته من أجل أن لا يقول كلمة واحدة في خـلاف ذلـك، بـل يصـر علـى أن يؤكـد موقفـه هـذا ولـو بواسـطة التلفــون، ويتعـرّض إلى الاغـراء والعـروض الواسـعة ويثبـت ويصمـد علـى هــذا الموقف حتى الموت عليه على هذا الموقف.

مرجعية الامام
ومستقبل الثورة الاسلامية في العراق

لقد جسّد السيد الشهيد الصدر (رض) رؤيته في قضية مرجعية الامام الخميني (رض) في مواقف ثابتة وواضحة، وكان من حق السيد الشهيد الصدر (رض) علينا ـ نحن السائرين على خطه ومنهجه ـ أن نسير في مدى هذه الرؤية ونؤكد هذا الموقف وندرك الأبعاد الاسلامية فيه وتأثيرها على مستقبل الثورة الاسلامية في العراق. ولذا كنت أدرك في هذا الضوء انّ من النقاط الثابتة في المنهج التي تتصف بأهمية خاصة والتي لا بد من تأكيدها منذ بداية هجرتي من العراق إلى الخارج هي هذه النقطة، وضرورة توضيحها وتفسيرها وترسيخها في أوساط الأخوة العراقيين في الداخل والخارج.

وسوف أحاول أن أشير إلى بعض الأبعاد الاسلامية في هذه النقطة (مرجعية الامام) مع الأخذ بنظر الاعتبار انّ البعد الشرعي لها مدوّن في الكتب الفقهية المعروفة والرسائل العملية.

١ـ انّ وحدة القيادة العامة والخاصة وصلاحها من أهم العوامل التي تحفظ وحدة الشعب والأمة، وتحقق قدرتها وتفجّر الطاقات الكامنة

فيها، وقد شاهدنا ذلك من خلال تجربة الشعب الايراني المسلم، والثورة الاسلامية في العراق. وكذا الشعب العراقي المسلم بحاجة ماسة إلى هذه القيادة الواحدة الصالحة التي تملك القدرة على الصمود، وادارة الأمور، ومواصلة مسيرة الهدم والبناء، وعملية التغيير الانساني، والامام الخميني هو الانسان المتصف بكل هذه الخصائص والذي يصلح لتحقيق هذه الوحدة بين أبناء الشعب العراقي.

٢ـ انّ الشعب العراقي المسلم يتعرّض الآن إلى مؤامرة عالمية تكالبت في الاعداد لها كل قوى الشر في العالم الاستكباري، الشرقية والغربية، وسوف تزداد حرارة المعركة وشراستها كلما اقتربت ثورته من تحقيق الانتصار، بل سوف يواجه هذا الشعب المسلم مختلف المؤامرات بعد تحقيق الانتصار لثورته باذن الله، شأنه في ذلك شأن الشعب الايراني المسلم الذي واجه العدوان بشكل أشد شراسة بعد الانتصار منه قبل الانتصار. ويحتاج هذا الشعب المسلم في عملية التصدي والمواجهة إلى قيادة حكيمة يرتبط بها ارتباطاً دينياً حاراً، ويخلص لها بقوة ويؤمن بقدرتها وصلاحيتها، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلاّ من خلال الارتباط الديني بالتقليد والفتيا بقيادة الامام الخميني الذي يتّصف بذلك، لاسيما وانّ المرجعية في الفتيا والمرجعية في الأمور السياسية قد اجتمعت في هذا الامام.

٣ـ انّ الثورة الاسلامية في العراق باعتبارها ثورة أصيلة في وجودها وخطّها الاسلامي، وتعتمد في قدرتها على الله سبحانه والأمة

الاسلامية، فهي بحاجة إلى تحقيق الانسجام بينها وبين حركة شعوب العالم الاسلامية، والاستفادة من قدراتها، وبالأخص الشعب الايراني المسلم الذي يشكل القاعدة المتينة للثورة الاسلامية العالمية، لأنّ هذا الانسجام هو الذي يكفل للأمة تحقيق القدرة والقوة في مواجهة كل قوى الشر والكفر. وانّ عوامل تحقيق هذا الانسجام هو القيادة المرجعية السياسية الواحدة والارتباط الديني في الفتيا والتقليد والعمل السياسي.

العراقيون يقلّدون الامام الخميني

وباعتبار انّ قضية التقليد في الفتيا ليست مسألة يتحكم فيها الذوق والاستحسان والرغبة الشخصية، وانما هي قضية دينية عقيدية تخضع لموازين شرعية مضبوطة، لذا فهي تحتاج إلى فترة زمنية مناسبة حتى تتخذ مسارها الجديد.

ولكن بالنظر إلى انّ قضية مرجعية الامام مسألة لها مبرراتها الشرعية والاسلامية وتمثل الموقف الصالح في تطور الثورة الاسلامية، نلاحظ أبناء الشعب العراقي المسلم ولاسيما في المهجر أخذوا يدركون هذا الموقف ويبادرون إلى تقليد إمام الأمة.

وبالرغم من بعض الصعوبات التي وجدتها في البداية من خلال تجربتي في الاصرار والتأكيد لهذه النقطة بسبب انخفاض الوعي السياسي لدى بعض الأوساط، وعدم القدرة على تفهم الدور الحقيقي الذي يمكن أن تحققه هذه المسألة لقضية الثورة الاسلامية، فانّ هذه المسألة أصبحت في الوقت الحاضر من الوضوح بحيث التزمتها بشكل علني ورسمي معظم الحركات الاسلامية، وكذلك القوى والشخصيات العلمية في الساحة العراقية بالاضافة إلى الجماهير المسلمة وأبناء حزب الله.

وهذا في الواقع يمثل أحد الدلائل والمؤشرات على تصاعد الوعي وتقدّم الثورة في خطواتها نحو أهدافها، كما يدل على جانب من النجاح الذي تم تحقيقه في المجال السياسي والديني.

الفصل الثاني

(٢) القيـــادة السياسية النائبة [٤]

---

(٤) نشر في صحيفة لواء الصدر بتاريخ (   )، وقد أدخلنا عليه بعض التعديلات والاضافات التوضيحية أو البيانية.

تمهيد

لقد كان آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر (قدس سره) يضع أمام عينه منذ بداية تحركه الثوري الأخير قضية الشهادة، ومن ثم فقد كان يرى بأم عينيه خلو الساحة الاسلامية العراقية من وجوده الشريف كانسان يعيش بين الناس يتمكن أن يمارس دوره القيادي بصورة اعتيادية.. ولذا كان يفكر في الظرف المستقبلي للساحة عندما تخلو من وجوده (بدمه ولحمه) ويضع التصور لذلك الظرف والموقف العملي لمعالجة هذا الفراغ وملأه... وبذلك بقي الشهيد الصدر بين هؤلاء الناس يمارس دوره كشهيد رائد للأمة في أفكاره وتصوراته عن العمل والمواقف الاستراتيجية ويصبح كل واحد من هذه التصورات موقفاً هادياً في الساحة الاسلامية العراقية لابد من الاهتمام به، وكان أحد معالم هذا التصور للظرف المستقبلي يتمثل بـ (**القيادة السياسية النائبة**) وسوف نتحدث عن هذا التصور والموقف ضمن محاور رئيسة ثلاثة:

١ـ خلفية اطروحة القيادة النائبة.

٢ـ ملامح القيادة السياسية النائبة.

٣ـ الواقع التجربي لإطروحة القيادة النائبة.

ومن خلال هذا الحديث سوف نتبين مدى مطابقة هذه التجربة مع توجهات السيد الشهيد الصدر والسيرة الواقعية للساحة الاسلامية العراقية في ضوء هذه التوجهات.

١ـ خلفية إطروحة القيادة النائبة

من الواضح انّ منطلق التحرك السياسي في الساحة الاسلامية العراقية أنما هو الاسلام والدين على أساس انّ السياسية لا تنفصل عن الدين وأهدافه، وانّ هذا التحرك في مواجهة الطغيان والانحراف انّما هو مسؤولية شرعية وضعها الاسلام على عاتق أبناء الأمة.

ومن هنا لابد أن يتسم هذا التحرك بالقانونية الشرعية ليكون في موضع رضا منه تعالى. وهذه الشرعية في التحرك إنّما تتحقق من خلال الشرعية في القيادة التي تعتبر الموقع المحرك للعمل والمشرف عليه.

إذن فلابد أن ننطلق في تصور القيادة السياسية من منطلق إسلامي، ونلتزم الطاعة والانقياد لتلك القيادة التي وضع الشارع في أعناقنا الطاعة لها والتسليم لأوامرها وتوجيهاتها، وقد جعل الشارع المقدس لولي الأمر والمرجعية الدينية السياسية حق الطاعة كما وضعه لله وللرسول ﴿**أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

وقد وضع الشارع مجموعة من الشروط والمواصفات لتشخيص ولي الأمر والمرجعية الدينية السياسية، وفي عصر الغيبة يكون ولي الأمر هو المجتهد العادل الخبير بشؤون الأمة السياسية والمتصدي للدفاع عنها وعن عقيدتها والأقوى في إدارة أمورها إلى آخر ما يذكره الفقهاء من شروط بهذا الصدد:

أ ـ قيادة الفقيه قيادة نائبة مطلقة:

وعندما نلاحظ بدقة نجد أن ولاية الفقيه للأمر انّما هي باعتبار النيابة عن الإمام المعصوم بسبب الغيبة التي تشكل ظروفها حاجزاً بين المعصوم وممارسته لولايته في الأمة بشكل مباشر، هذه الولاية التي ثبتت بالنصوص مثل التوقيع الموثّق الصادر عن الامام الحجة (عج) [**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا أنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله على الناس**].

وقد كانت هذه الولاية في العصر الأول للغيبة (الغيبة الصغرى) تمارس من خلال النص على أفراد يعيّنهم الامام من بين أبناء الأمة نواباً ويسند إليهم هذه الولاية بأشخاصهم بحيث يتصدي الامام إلى تشخيص وجود شروط الولي فيهم بنفسه كما حصل ذلك بالنسبة إلى النواب الأربعة على التوالي[٥]، ولكن بعد ذلك في (الغيبة الكبرى) ترك أمر تشخيص وجود الشروط في الأفراد إلى الأمة كما أشار إلى ذلك التوقيع المذكور، وهذا يعني في الحقيقة انّ الولاية بالأصل لله وللرسول وانّ الرسول ينص على الامام من بعده بأمر الله تعالى فيكون ولياً ووصياً على الأمر من بعده، ثم يقوم الامام بدوره بتعيين الامام الولي من بعده وهكذا، وهذا كلّه في زمن فقدان الولي الأول، ولكن هناك حالة أخرى وهي أن يكون الامام موجوداً وحياً ولكن يواجه ظروفاً

---

(٥) وهم أبو محمد عثمان بن سعيد العمري وولده محمد بن عثمان بن سعيد المعروف بالخلاني والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمري.

خاصة ـ تكوينية كالسجن والاحتجاز أو سياسية كالمصلحة الاسلامية العليا ــ تمنعه من ممارسة ولايته بشكل مباشر، وفي هذه الظروف يتصدى الولي لتعيين القيادة النائبة عنه، كما حصل بالنسبة إلى أمام العصر الحجة بن الحسن (عج) في الغيبة الصغرى والكبرى مع وجوده على قيد الحياة وبذلك كان الفقيه الجامع لبقية الشرائط قائداً بالنيابة عن الولي وهو الامام المعصوم الحي، وهذه الولاية لها من الاطلاق والسعة والشمول بحيث يصبح المجتهد الجامع للشرائط في قمة هرم الولاية بعد الامام في عصر الغيبة.

وهذه القاعدة يمكن أن تنطبق على الولي الفقيه العام الذي اختارته الأمة لهذا الدور أو شخصته من بين المجتهدين من خلال الرجوع إليه في الأمور الدينية السياسية. فانّ هذا الفقيه إذا لم يكن قادراً بسبب الظروف السياسية والاجتماعية أو التكوينية من ممارسة ولايته. أمكن للمجتهدين الأخر الواجدين للشروط التصدي للعمل السياسي كنواب لذلك الولي وإن لم ينص عليهم، أو بالاصالة وبموجب النصب العام.

وهكذا الحال فيما لو امتنع الفقيه الولي العام عن التصدي لمصلحة اسلامية، أو لسبب تنظيمي في عمل الولاية كما هو الحال في الادارة اللامركزية، أو لظروف سياسية دولية، فانّ المجتهدين الفقهاء يمكنهم التصدي لذلك في طول ولاية الفقيه أما بتعيينه أو بامضائه أو سكوته.

ب ـ إحتجاز الشهيد الصدر:

كانت الظروف التي واجهها الشهيد الصدر (قده) في فترة الاحتجاز تدعوه للتفكير في القيادة السياسية التي تنوب عنه في الساحة الاسلامية العراقية ولكن بشكل محدود لأن الشهيد الصدر كان قد أتخذ القرار بالتصدي للمواجهة والدفاع عن الاسلام والشعب العراقي المظلوم وتحرك على أساس هذا القرار وبدأت الامة تتفاعل مع هذا التحرك وتتخذ المواقف المنسجمة مع هذا القرار...

كما بدأ الشهيد الصدر يحدد للأمة في العراق المواقف السياسية العامة تجاه الظروف المستجدة ويتحمل مسؤولية القيادة في الساحة العراقية التي لم يتصد للعمل السياسي فيها غيره، ثم إذا به يواجه الاحتجاز بشكل يجعله غير قادر تكوينياً على ممارسة دوره القيادي بشكل كامل، وبالرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلها (قده) في استنباط الأساليب التي تجعله قادراً على هذه الممارسة، وبالرغم من الجهود التي بذلها بعض المخلصين من تلامذته ومحبيه في داخل العراق وخارجه من أجل تيسير هذه المهمة القيادية له، إلاّ انّ هذه المهمة كانت تواجه بعض المشاكل الرئيسية ومن أهمها:

قضية استيعاب الخطوط الاستراتيجية العامة التي يتبناها السيد الشهيد في ظروف ارهابية قاسية أحصيت فيها الأنفاس.

وقضية اتخاذ المواقف والقرارات الصحيحة والحاسمة تجاه المستجدات التي تواجهها الساحة.

وإذا أضفنا إلى ذلك انّ الشهيد الصدر كان يضع الشهادة أمام عينه في كل لحظة ويدرك مدى الفراغ الذي سوف تسببه هذه الشهادة، بل كان الهدف الخبيث للنظام من وراء احتجاز الشهيد الصدر وقتله انّما هو إحداث هذا الفراغ في الساحة الاسلامية العراقية ــ فإذا أضفنا إلى قضية الاحتجاز قضية انتظار الشهادة أمكن أن ندرك خلفية إطروحة القيادة السياسية النائبة التي كان يفكر الشهيد الصدر فيها من أجل أن يسد الفراغ القيادي في المجال السياسي العراقي وتشكل محوراً تنظيمياً بالنسبة إلى الولاية التي يتحمل مسؤوليتها الفقيه الجامع للشرائط.

جـ ـ إقتراح القيادة النائبة:

وقد اقترح سيدنا الشهيد الصدر القيادة النائبة ـ في بداية الأمر ـ على أساس أن تكون البديل له بعد استشهاده، لأنه كان يدرك انه لا يوجد ـ في الوقت الحاضر ـ شخص معين يستجمع كل الشروط التي كان يتصف بها سيدنا الشهيد في الساحة السياسية العراقية بحيث كانت تؤهله للقيام بدوره القيادي المطلق فيها..

وقد دون هذا الاقتراح في بداية احتجازه حيث كان يتوقع الاستشهاد، واقترن هذا الاقتراح بالبيانات التي سجلها بصوته الشريف والتي وجهها إلى الشعب العراقي وأوصانا بالتصدي لاذاعتها عند

استشهاده[٦] وضمَّن هذا الاقتراح رسالة وجهها إلى إمام الأمة السيد الخميني (رض) أوصى بتسليمها له بعد استشهاده... ولكن بعد أن طال أمد احتجازه أخذ يفكر بتنفيذ فكرة القيادة النائبة في حياته فأقترح عليَّ السفر إلى خارج العراق للاشتراك في هذه المهمة مع ثلاثة من الأخوة العلماء كانوا موجودين في خارج العراق حينذاك وكان هؤلاء الأخوة يمثلون ـ بنظره الشريف ـ افرازاً طبيعياً للساحة الاسلامية العراقية أو معروفين فيها بما لهم من سابقة جهادية أو فضل، بالاضافة إلى انّ بضمنهم مجتهداً أو اكثر، و لم تكن لهم علاقة تنظيمية بحزب أو حركة معينة بحسب علم الشهيد الصدر بهم في ذلك الوقت.

وهؤلاء الأشخاص هم: العلاّمة السيد مرتضى العسكري، والعلاّمة السيد محمد مهدي الحكيم، والحجة السيد محمود الهاشمي، وكاتب السطور.

وقد عرضت بخدمته (قده) انّ وجهة نظري في هذا الاقتراح الخاص أنه لا ينسجم في الوقت الحاضر مع المصلحة الاسلامية والظروف الخاصة التي تعيشها الثورة آنذاك، وذكرت له مجموعة من الحجج، كان أهمها في حالتي الخاصة هو أنه سوف يقوم العفالقة المجرمون بقتله

(٦) لقد بادرت بارسال هذه البيانات إلى خارج العراق بعد استشهاد سيدنا الشهيد الصدر بفترة وجيزة بواسطة الشيخ النعماني عند القيام بتسهيل عملية خروجه من العراق سراً وذلك من أجل تنفيذ وصية الشهيد الصدر في إذاعتها عند استشهاده، إلا انّ بعض طلاب الشهيد الصدر لم يوافقوا على إذاعتها خوفاً على عياله من الأذى. وبعد خروجي من العراق بعدة أشهر أصررت على إذاعتها فأذيعت من راديو الجمهورية الاسلامية.

بمجرد معرفتهم بخروجي والتصدي لمثل هذه المهمة علناً، لأنهم لا يفصلون بين هذا التحرك وقراره بذلك، كما كانت تشهد بذلك جميع الأحداث السابقة التي اقترنت فيها حركتي بحركته واعتقالي باعتقاله، ولاسيما وانه قد طلب مني في الوقت نفسه التصدي لقيادة العمل العسكري ضد النظام. وكان الاحتفاظ بوجوده ولو لفترة من الزمن من أهم الواجبات والمسوؤليات الدينية لانه من أنفس الذخائر الاسلامية التي منّ الله بها على هذه الأمة، مضافاً إلى بعض المسوغات الموضوعية الذاتية الأخرى منها: الاحساس الذي سوف يلاحقني نفسياً واجتماعياً بالمسؤولية المباشرة عن شهادته وقتله.

ومنها: المعلومات التي كانت متوفرة لديَّ عن وجود موقف سلبي حاد من القيادة الاسلامية في ايران وأجهزتها الخاصة تجاه اثنين من أعضاء القيادة النائبة.

ومنها: المعلومات المتوفرة لديَّ عن موقف سلبي حاد لدى الأجهزة المسؤولة عن الحركات الاسلامية في ذلك الوقت تجاه الشهيد الصدر وخطّه ونظرتهم له من زاوية التنظيم الحزبي الخاص لحزب الدعوة الاسلامية، حيث كان ينظر إليه كجزء من هذا التنظيم، كما كان ينظر إليَّ كذلك.

ومنها: عدم استقرار الأوضاع السياسية والثورية في ايران بحيث تسمح بقبول مثل هذه الفكرة والاستجابة لها.

وكل هذه الأمور وغيرها كانت أسباباً دعت إلى توقف الشهيد الصدر عن تنفيذ الاقتراح وتجميده.

ثم ينتهي الأمر به بعد ذلك إلى إلغائه اقتراحه الخاص ويطلب بمبادرة منه عدم تسليم الرسالة الى السيد الامام (رض) ولعل قناعة جديدة حصلت لسيدنا الشهيد تجاه بعض المسوغات الموضوعية التي أشرت اليها الأمر الذي أدى إلى عدوله عن اقتراحه الخاص والله سبحانه العالم[٧].

---

(٧) لقد كان الاتصال بسيدنا الشهيد الصدر يتم بصعوبة بالغة وعن طريق المراسلة المعقّدة ويأخذ بعض الوقت ويقتصر على الكلمات المحدودة، ولذا لم تكن هناك فرصة لاستيعاب المناقشة حول بعض القضايا أو توضيحها أو التعرّف على الخلفيات.

ولكن لابد هنا من تأكيد انّ ماتوقعته واستنتجته قد تحقق بالكامل بعد مجيئي إلى ايران ولاسيما في موضوع رد فعل النظام تجاه التحرك السياسي والعسكري العلني، فانّ النظام الذي كان يعرف بأنّ اخوتي وأهلي لم يكونوا مسؤولين عن حركتي السياسية وقد قطعت كل الارتباط بهم بعد خروجي من العراق، ومع ذلك اتخذ هذا الاجراء الوحشي في قتلهم، وكذلك وجدت المواقف السلبية الصعبة تجاه الحركة في ايران للأسباب المشار إليها أعلاه، ولو لا العناية الالهية والرعاية الخاصة التي كان يوليها امام الأمة الخميني (ره) ونائبه آية الله السيد الخامنئي لما أمكن الاستمرار في الحركة. ومع كل ذلك فقد واجهت موقفاً غاية في الصعوبة بسبب بعض العوامل التي أشرت إليها والتي لم يمكن تذليل بعض صعابها إلى يومنا الحاضر بالرغم من تمكني من توضيح بطلان بعض الشبهات والاتهام ووضوح انفصال موقفي عن الحزب وعن بعض المتهمين لدى هذه الدوائر.

وقد حاول البعض من المتطفلين على الساحة الاسلامية ومرضى القلوب أن يستخدم البهتان والاتهام بالباطل في تفسير هذا الموقف والله هو الحكم العدل بيني وبينهم يوم القيامة.

كما انّ بعضهم الآخر حاول أن يقدّم تفسيراً آخر من عند نفسه لعدول الشهيد الصدر ويوحي باتهام الشهيد الصدر بالاحباط واليأس والقنوط. وهذا أما جهل بالواقع أو ضعف في التقوى ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

٢ـ ملامح القيادة السياسية النائبة:

وبالرغم من أن سيدنا الشهيد الصدر قد عدل عن اقتراحه الخاص بصدد القيادة النائبة الا أنه كان على قناعة تامة بضرورة هذه الفكرة والاطروحة نظرياً ولو ضمن صيغة ثانية، ولذا فلا يشكل عدوله عنه أمراً سلبياً تجاه الفكرة والاطروحة نفسها، وإنّما ترك سيدنا الشهيد ذلك للظروف الموضوعية ولتطور الأحداث، والقيادة الاسلامية في الساحة الاسلامية الايرانية ولامام الأمة (رض). ومن هنا يجدر بنا أن نتبيَّن توجهات سيدنا الشهيد تجاه هذه الاطروحة مع قطع النظر عن الملابسات الخاصة التي اقترنت باقتراحه الخاص بها، ويمكن أن نلخص هذه التوجهات في المعالم التالية التي يمكن استنباطها من مجموع النقاط التي ذكرتها في خلفية هذه الإطروحة:

الأول ـ الشرعية:

لقد أشرت في حديثي إلى انّ الشرعية صفة أساسية في القيادة، والشرعية قد تعني الصفة القانونية، وحينئذ يكفي فيها أن يتصدى الولي الفقيه لتعيين هذه القيادة النائبة عنه كما يصنع أحياناً إمام الامة (قده) عندما يعيِّن ممثلاً له في احدى المؤسسات الحكومية والاجتماعية، ولكن الشرعية في تصور سيدنا الصدر، ومن خلال الممارسات القيادية

لامام الأمة (رض) تعني شيئاً أعمق من ذلك، وهي: أن يكون لهذه القيادة أمتداد في الامة وتحضي على نسبة عالية من التأييد فيها والرضى والقبول منها... فكما أن الولي الفقيه هو ذلك المجتهد الجامع للشرائط والذي تختاره الأمة من خلال معاناة طويلة وبصورة طبيعية، أو تختاره عن طريق أهل الحل والعقد أو عن طريق مجلس الخبراء المنتخب من الأمة، كذلك القيادة النائبة لابد لها أن تحضى بتأييد من الأمة ولو بشكل نسبي تؤهلها لهذه المهمة والمسؤولية العظيمة، لأنها قيادة للأمة وتفاعل مع الجماهير وتحمل لمسؤوليتها.

ولعلّ هذا البعد من الشرعية هو الذي يفسر لنا خلفية ما التزمه دستور الجمهورية الاسلامية في تعيين رئيس الجمهورية، وانتخاب مجلس الخبراء لتعيين الولي الفقيه فانّه بالاضافة إلى الشرعية القانونية المتمثلة بنصب إمام الأمة للرئيس وعدم الاكتفاء بتعيين الامام لأعضاء مجلس الخبراء بل لابد من احراء انتخاب عام لهذا الرئيس والمجلس، وانّ امضاء امام الأمة لذلك يأتي على أساس هذا الانتخاب.

ولعلّ هذا هو الذي يفسّر - أيضاً - الدرجة الخاصة من الولاية التي منحها إمام الأمة لمجلس الشورى الاسلامي لأنه يحظى بتأييد الأمة وانتخابها.

وبهذا نفهم الفرق بين ممثلي الامام في المؤسسات المحدودة ذات النظام الخاص، وبين ممثليه الذين يمارسون الولاية تجاه مجموع الشعب أو بعض قطاعاته وجماهيره كرئيس الجمهورية ومجلس الخبراء أو أئمة

الجمعة فأنّ هؤلاء يتم اختيارهم على أساس وجودهم في الأمة والرضى والقبول الشعبي لهم ولو بصورة نسبية.

الثاني ـ الشروط الموضوعية للقيادة النائبة:

مضافاً إلى الشرعية القانونية والشعبية توجد مجموعة من الشروط الموضوعية تشكل الأساس الحقيقي لتلك الشرعية القانونية وذلك التأييد والرضى الشعبي.. وهذه الشروط يمكن أن نستنبطها من نظرية ولاية الفقيه وشروط هذه الولاية.

فانّه لا يمكن أن نفصل بين شروط ولاية الفقيه والقيادة النائبة التي تتمثل بنيابة شخص أو مجموعة من الأشخاص عن ذلك الفقيه الولي وتقوم بدوره، ولكن مع ملاحظة فارقين أساسيين:

الأول: هو النسبة والدرجة في مستوى هذه الشروط حيث يجب أن تكون الشروط في الولي الفقيه العام بدرجة عالية من العلم والتقوى والخبرة والتصدي... إلخ، أما في القيادة النائبة فقد تكون بدرجة أقل منها، وذلك بسبب الفرق في شمول الولاية وسعتها ومسؤوليتها في الساحة التي تتحرك فيها ونفوذها في الأول ومحدوديتها في القيادة النائبة.

والثاني: أن هذه الشروط لابد أن تكون موجودة في مجموع الأشخاص لا في كل واحد منهم في حالة القيادة الجماعية وشورى القيادة فهؤلاء الأشخاص بوجودهم الجمعي يكمل بعضهم بعضاً ويحقق الشروط المطلوبة وليس من الضروري أن يكون كل واحد منهم

واحداً لكل هذه الشروط، وهذه الفكرة من الناحية النظرية قريبة من فكرة شورى الولاية التي نص عليها دستور الجمهورية الاسلامية في فرض عدم وجود الولي الفقيه الواحد الذي يختاره مجلس الخبراء وإن كان شرط الاجتهاد في جميع الأعضاء ملزماً.

ولكن بالاضافة إلى هذا الاستنباط للشروط من الأطروحة يمكن ان نستنبط بعض هذه الشروط من الاقتراح نفسه الذي قدمه سيدنا الشهيد لهذه القيادة النائبة.

لقد أخذ هذا الاقتراح ـ مع حذف الاسماء ـ الخصوصيات التالية:

١ـ الاجتهاد والعدالة.

٢ـ الخبرة السياسية.

٣ـ الوجود الواقعي في الامة.

٤ـ عدم الارتباط بحزب أو حركة[٨].

٥ـ العلنية في التصدي[٩].

---

(٨) لا ينبغي أن يفهم هذا الشرط انّه تعبير عن موقف سلبي تجاه التنظيمات الاسلامية. بل انّ للشهيد الصدر (قدس سره) تصور عن القيادة والعلاقة بينها وبين التنظيمات الاسلامية يفرض هذا الشرط، ويمكن أن نتعرف على هذا التصور من خلال بحثنا (الشهيد الصدر: النظرية السياسية).

(٩) ولهذا نجد سيدنا الشهيد الصدر (قده) يقترح وجود الأشخاص في خارج العراق بسبب ظروف القمع الذي تواجهها البلاد ومايمكن أن تتعرض له القيادة في الداخل من تصفية جسدية لو أعلنت عن نفسها، وإلاّ لأمكن انجاز القيادة النائبة دون إشكال إذا كان يكتفي بالسرية.

الثالث ـ العلاقة مع الأمة:

ولابد لهذه القيادة من تصور لعلاقتها مع الامة، لأن الطرف الآخر في هذه القيادة هي الأمة، فكما أن علاقة الامة بالولي الفقيه هي: الرجوع إليه بالتقليد في الفتيا والالتزام بأوامره ونواهيه في الأحداث المتجددة، واتباع المنهج الشرعي الذي يستنبطه أو يقرره من جانب الأمة، ومن جانب الولي العلاقة هي الرعاية للأمة وتحمّل مسؤوليتها والدفاع عن حقوقها وعقيدتها وتحديد المواقف السياسية والشرعية لها، أما القيادة النائبة فقد تختلف علاقة الامة بها عن علاقتها بالولي الفقيه بعض الشيء إذ تصبح هذه العلاقة سياسية دينية وفي مجال خاص يرتبط بمنطقة الفراغ الذي تعاني منه الأمة، وهي المنطقة التي لا يمارس الولي الفقيه العام ولايته فيها بسبب تكويني أو سياسي أو مصلحة تنظيمية كما في الادارة اللامركزية.

فالأمة مثلاً في العراق يمكنها ان ترجع الى الولي العام في أحكامها الشرعية أو المواقف الاستراتيجية العامة أو المنهج الفكري وتتناولها عن طريق المطبوعات أو الأذاعة أو غير ذلك من الوسائل الممكنة وهذا بخلاف المواقف السياسية التفصيلية تجاه الأحداث المستجدة فانها لا تكون قادرة على ذلك عادة إذ لا يعمل الفقيه الولي ولايته في هذه الدائرة عادة، أو لا يكون قادراً على ذلك بصورة مناسبة.

كما انّ القيادة النائبة لابد لها ـ من أجل تحقيق هذه الرعاية ـ الانفتاح على جميع قطاعات الأمة وفئاتها، فتعاشرها وتعيش معها

وتتصل بها وتسمع لها، وتتابع تطورات الأحداث عن كثب بمختلف الوسائل الميسورة لتجسد بذلك الطريقة التي ينفتح فيها الولي الفقيه على الأمة بالقدر الممكن والمناسب لها، وتعمل على استيعاب هذه القطاعات والفئات سواء كانت تنظيمات أو مؤسسات أم كانت جماهير المسلمين، وتولي الجماهير رعاية خاصة لأنها القوة الحقيقية المتفجرة عطاء وبذلاً والتي لا يمكن لها أن تنضب في أي وقت وحين. وتكون علاقتها بالتنظيمات والمؤسسات علاقة الأبوة والرعاية والقيمومة، وتمنحها دورها المناسب في تحريك الجماهير وتنظيم حركتها دون أن تتحول هذه التنظيمات إلى هدف بذاته.

وقد جسَّدَ سيدنا الشهيد هذه العلاقة بها في آخر أيامه وأوصى بهذه العلاقة واكّد على ضرورة رعاية الجماهير والمخلصين من أبناء الحركة الاسلامية الذين جسدوا بتضحياتهم الانتماء إلى الله وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل الله وجعلوا تضحية سيدنا الشهيد (قده) وجهاده القدوة التي يتأسون بها.

٣ـ الواقع التجريبي لإطروحة القيادة النائبة:

لقد أحدث استشهاد سيدنا الصدر (قدس سره) فراغاً كبيراً في العالم الاسلامي، وفي مختلف المجالات ولاسيما في الساحة السياسية الاسلامية العراقية. ذلك انّ سيدنا الصدر كان يمثل بوجوده المتميز واقعاً اسلامياً تجمعت حوله ـ تقريباً ـ القوى الاسلامية الحقيقية في الساحة وكان يدعم هذه الحقيقة وجوده المرجعي في الفتيا، حيث كانت ترجع إليه قطاعات واسعة من الشعب العراقي خصوصاً في صفوف المثقفين، كما كان يحظى بولاء سياسي خاص أوسع في أوساط الجماهير بسبب مواقفه الرسالية وأعماله الفكرية والشرعية والاجتماعية والسياسية، وكان الانسجام في الخط الفكري، والاستراتيجي والسياسي مع الثورة الاسلامية يعطي أهمية خاصة لوجوده الشريف، وهذا هو السبب الذي يفسر لنا مبادرة قوى الاستكبار العالمي لتنفيذ هذه الجريمة الشنعاء في حق الاسلام والأمة الاسلامية على يد النظام الصدامي العميل في بغداد.

إطروحات ملء الفراغ

وكانت هناك مجموعة من الاطروحات في الساحة السياسية الاسلامية العراقية لملأ هذا الفراغ... كان منها اطروحة القيادة النائبة.

وقد جرت محاولات لتنفيذ بعض هذه الاطروحات ولكن الاطروحة الوحيدة التي أثبتت جدارتها وواقعيتها من خلال التجربة والمعاناة إنّما هي اطروحة القيادة النائبة، وهذا لا يعني انه لم تقترن هذه الاطروحة ببعض السلبيات أو لازالت تعاني من بعض معالم النقص، وإنّما نريد أن نقول انّ هذه الاطروحة بمواصفاتها العامة أصبحت هي الاطروحة المعترف بها من كل الأطراف وتمثل حقيقة قائمة في الساحة الاسلامية العراقية.

ومن المفروض أن تبقى هذه الاطروحة تسير بأتجاه التكامل والتغلب على كل السلبيات وعوامل النقص حتى تحقق أهدافها كاملة إن شاء الله.

وتجنباً للاثارة وعدم الدخول في تفصيل بعض الأحداث التي أصبحت مجرد تاريخ ينفعنا للاعتبار فقط، نحاول أن نشير هنا إلى هذه الاطروحات كفرضيات مع قطع النظر عن محاولات التنفيذ ووجود جهات وراءها أو عدم وجودها، اذ قد يكون وراء الاطروحة عدة

شخصيات أو أشخاص أو طرف من جهة معينة، أو أن الاطروحة فكرة تدور في أذهان بعض الاخوة الاسلاميين العراقيين أو الايرانيين[١٠]:

---

(١٠) لقد كان يتبنى الاطروحة الأول ويسعى لها في بداية الأمر جماعة (السيد محمد الشيرازي) مثل (حركة المهجرين العراقيين) و (حركة الجماهير المسلمة) اللتين أسسهما بعض أنصاره دون أن يكون لها وجود جماهيري. وبعض عناصر منظمة العمل الاسلامي، وقد قاموا بتنظيم مسيرة قادها السيد مرتضى القزويني في العشر الأول من محرم الحرام ١٤٠١هـ وتوجهوا بها إلى صلاة الجمعة، ثم بعد الصلاة إلى حسينية جماران مقر الامام الخميني، وكانت تضم حوالي ألف شخص أكثرهم من المهجرين الذين كانوا يحصلون على بعض المساعدات المادية من قبل الجماعة، وحيث جندوا لها كل طاقاتهم في ايران ورفعوا لافتات تمجّد بالسيد محمد الشيرازي وكذلك صوره.

وقد كان السيد محمد الشيرازي يطرح نفسه كقائد في العراق في زمان الشهيد الصدر، وأذيعت له عدة بيانات من الاذاعة العربية التي كان يسيطر على توجيهها في البداية أنصاره ومؤيدوه. وقد تصاعد هذا الطرح بعد استشهاد الشهيد الصدر وشهادة أخيه الشهيد العلامة السيد حسن الشيرازي في بيروت التي كانت بمناسبة اقامة الفاتحة على روح الشهيد الصدر.

وقد كان السيد محمد الشيرازي يلقى تأييداً كبيراً ـ في البداية ـ من قبل الشيخ المنتظري، ويستفيد من بعض مواقفه المؤيدة للامام الخميني (قدس سره) عندما جاء إلى العراق.

وقد كان يتبنى السيد محمد الشيرازي فكرة شورى المرجعية حيث يرى نفسه في مصاف الامام الخميني ، وأفكار أخرى في قضايا الدولة والمجتمع، الأمر الذي انتهى بعد ذلك إلى أن يصطدم بالتيار الاسلامي القوي في ايران ويتم تحجيمه، ولكن بعد وقت طويل نسبياً.

ولكن المحاولة فشلت في بدايتها إذ لم يكن يؤيدها في الساحة العراقية غير الوسط الجماهيري الذي ينتمي إلى مدينة كربلاء من المهجرين أو الايرانيين الساكنين في العراق وبعض الآخرين منهم. ولاقت معارضة من أوساط مهمة في منظمة العمل نفسها فضلاً عن الأوساط السياسية العامة في الساحة العراقية.

وأما الاطروحة الثانية، فقد كان يتبناها جماعة (واحد نهضتها) أي وحدة حركات التحرر في حرس الثورة الاسلامية وبتوجيه من السيد مهدي الهاشمي والشهيد الشيخ محمد المنتظري نجل الشيخ المنتظري المسؤولين تنفيذياً عن هذه الوحدة. مضافاً إلى عناصر من منظمة العمل الاسلامي التي كانت تتفاعل معهم في ذلك الوقت إلى حد

كبير وتحصل على امكانات واسعة من هذه الوحدة ودعم من أجهزة الجمهورية الاسلامية، وقد قام تعاون واسع وقوي بينهم وبين هذه الأجهزة بحيث أدى إلى محاصرة حزب الدعوة الذي كان ينظر إليه هؤلاء المسؤولون على انه يمثل الخط الاسلامي المحافظ في الساحة العراقية ويصنف على انه خط أمريكي وليس بخط ثوري بسبب مواقفه المتحفظة تجاه الثورة الاسلامية في ايران وارتباط الكثير من عناصره المهمة قبل انتصار الثورة بجهاز المرجع السيد كاظم شريعتمدار وتقليدهم للسيد الخوئي أو للشهيد الصدر. ثم ترويجهم للشهيد الصدر الذي كان يشعر هؤلاء المتسلطون على هذه (الوحدة) بأنه منافس قوي للشيخ المنتظري الذي كان يرشح لنيابة الامام منذ ذلك الوقت.

ولذلك كان لهذا الخط السياسي في الحرس الثوري (السباه) وايران موقف يتسم بالسلبية تجاه الشهيد السيد محمد البهشتي قبل استشهاده بسبب هذا النوع من التصورات والأوهام والأغراض.

وعندما جئت إلى ايران وتم استقبالي والاهتمام بي وتوصية الامام بي حدث اختلال في هذه الموازنات، حيث استفاد حزب الدعوة من ذلك لطرحي البديل النسبي عن الشهيد الصدر لاسيما بعد اختلافهم مع سماحة السيد محمود الهاشمي، مما أدى إلى اعتزاله النسبي عن العمل في الساحة الاسلامية العراقية، وبدايات الشعور باليأس والاحباط منها.

وأصبحت هذه القوى (وحدة حركات التحرر) ومنظمة العمل أمام واقع سياسي جديد له نفوذ في الساحة السياسية العراقية ومؤيد من قبل الامام مباشرة.

وقد كان الامام قد كلّف كلاً من سماحة السيد الخامنئي وسماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني بالاشراف على هذه (الوحدة الثورية) وطلب منّي التحدث معهما بشأن القضية العراقية. وكان رأيهما في القضايا يختلف عن رأي الشخصين الآخرين (السيد مهدي الهاشمي والشيخ محمد المنتظري)، ولم أكن حينذاك على علم بتفاصيل هذا الاختلاف في الخطوط. لاسيما وانّ الثورة مشغولة كانت بقضية (الحرب والصراع مع القوى المضادة الداخلية ومنافقي خلق) وبعد ذلك (بني صدر وجماعته) وغيرهم من القوى. فكان العمل التنفيذي موكلاً إلى الشخصين الآخرين مع تدخل محدود للتوجيه والتأييد.

وعلى أي حال فقد بدأ هذا الخط بممارسة الضغط لفرض هذه الاطروحة عن طريق الامكانات الواسعة التي يملكها، فنشروا بعض المقالات في نشرة الشهيد (النشرة الخاصة بالمنظمة) يتحاملون فيها على طرح اسم السيد الحكيم في الساحة العراقية في طول اسم الامام الخميني، حيث رفع حزب الدعوة شعار (ياحكيم.. سير.. سير.. احنا جنودك للتحرير)، وكان يؤكدون على قيادة الامام وحده للساحة مباشرة، وعدم وجود الحاجة إلى طرح الوسيط.

كما أخذوا يثيرون الشبهات والشكوك حول ارتباط السيد محمد باقر الحكيم بحزب الدعوة وارتباطه بالسيد مهدي الحكيم...إلخ، وتجد هذه الاثارات طريقها لدى القاعدة الثورية في (السباه) ولاسيما العناصر المسؤولة، مستغلين بذلك المد الثوري والعواطف الجياشة والمنطلقات العقائدية.

وكان يدعم ذلك أيضاً بعض الأوساط العربية في التأثير في السباه مثل ليبيا التي كانت تتبنى (أياد سعيد ثابت) وجماعته واصرار الامام على ارتباط هذه الفعاليات بالسيد محمد باقر الحكيم كما صرّح بذلك لي الشيخ محمد المنتظري.

وقد وجد هذا الطرح أيضاً رواجا لدى بعض عناصر المجاهدين من المنشقين على حزب الدعوة الاسلامية الذي كانوا يرتبطون بالسباه من ناحية ويأخذون على حزب الدعوة السابق موقفهم السلبي النسبي من ولاية الفقيه وقيادة الامام الخميني وكذلك ترددهم وتحفظهم على المشاركة في جبهات القتال بصورة فعالة لمبررات خاصة لا تنسجم مع سياسة الجمهورية الاسلامية، ولا نداءات الامام، ووضوح وجوب المشاركة الفعالة في الدفاع عن الاسلام.

وأما الاطروحة الثالثة فقد كانت تمثل العقيدة السياسية الواقعية لحزب الدعوة الاسلامية انطلاقاً من عدة أمور:

١ـ انتقال الحزب إلى المرحلة السياسية واقامة الحكم الاسلامي الأمر الذي يعني انّ الحزب في تحليله السياسي كان يرى بنفسه انه مؤهل لاستلام الحكم، ولذلك طرح اسمه بشكل علني وواضح.

٢ـ رؤية قيادة الحزب السياسية انّ الأعمال السياسية الأخرى تمثل شقاً لعصا المسلمين وتمزيقاً للساحة بعد أن أصبح الحزب له هذه القاعدة الجماهيرية الواسعة بحسب تصورهم. ولذلك كانوا يقاومون في هذه المرحلة بقوة كل وجود سياسي آخر حتى لو كان قريباً منهم. كما حدث ذلك تجاه حركة المجاهدين العراقيين، وتجاه تكوّن (وحدة التعبئة العراقية)، وتجاه (حركة التحرر الاسلامي في لندن)، وتجاه عمل بعض الشخصيات العراقية مثل السيد محمود الهاشمي، وفكرة اقامة جماعة العلماء بدون سيطرة حزبية.

٣ـ موقف النظام من الوجود الاسلامي والحركة الاسلامية في الساحة العراقية حيث كان ينظر إليه من خلال حزب الدعوة الاسلامية فقط في بداية الأمر، ولذلك أصدر القانون المشؤوم بقتل الدعاة وذكر فيه اسم حزب الدعوة وطبّقه على كل النشاط الاسلامي بدون تمييز.

٤ـ شعور قيادة الحزب وأوساطه بأنّهم يمثلون الوريث الطبيعي لحركة الشهيد الصدر الأخيرة لأنهم قد ساهموا فيها وتحملوا نتائجها وأضرارها واشتركت أوساطهم المؤمنة المخلصة بحق فيها.

وقد حاول حزب الدعوة الاستفادة من كل ذلك ومن المنظمات الجماهيرية التي كان قد أوجدها، ومن اسم السيد الحكيم والعلاقة السابقة القوية معه والموازنة الجديدة،

فطرح اسم السيد الحكيم بقوة كواجهة علمائية، وعمل على احتوائه شخصياً وذلك في مواجهة اسم السيد محمد الشيرازي والخروج من الحصار الذي فرضته منظمة العمل والقوى الايرانية المساندة لها التي أشرنا إليها.

ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدأ يصدم بحقائق الساحة الاسلامية العراقية والايرانية بسبب تصلبه في موضوع قيادية الحزب وطرحه في أدبياته، ومحاولاته السياسية لفرض ذلك كواقع سياسي في تشكيل الواجهات. حيث برز هذا الثعلب في مناقشات حادة جرت بين الحزب وخط السيد الصدر الذي أصبح متميزاً في المرحلة الأخيرة من حياته والذي كان يتبناه السيد الحكيم مع بعض العلماء والكوادر، وكان السيد الحكيم قد اتفق مع قيادة الحزب من خلال سماحة الشيخ الآصفي على أن تكون العلاقة مع الحزب من خلال هذه الرؤية لاستقلال العلماء عن الحزب، وقد كان يساند السيد الحكيم في هذه الرؤية بمجموعة من العلماء والكوادر الاسلامية التي ارتبطت بالشهيد الصدر مباشرة. وانعكس هذا النقاش بعد ذلك على مواقف الحزب من موضوع ولاية الامام الخميني، وموضوع المشاركة في جبهات القتال، وموضوع الانسجام مع سياسة الجمهورية الاسلامية في القضايا الثابتة والعامة، وموضوع المحور السياسي في الساحة الاسلامية العراقية.

وكانت هذه الموضوعات وغيرها السبب في تشنّج العلاقات مع حزب الدعوة لأن الحزب كان يتعامل واقعياً من خلال هذا الفهم.

ثم تحولت قيادة حزب الدعوة ـ بعد فشلها ـ في تسويق الاطروحة الثالثة في مرحلة متأخرة نسبياً إلى (الاطروحة الرابعة) عملياً. وكان يسانده في ذلك منظمة العمل الاسلامي والمنظمات الصغيرة التي ترتبط بخط السيد محمد الشيرازي لاسيما بعد أن برز خط الشهيد الصدر (خط ولاية الفقيه، وخط الامام) كقوة حقيقية في الساحة العراقية وأخذ يستقطب الجماهير والكادر المجاهد ويبني المؤسسات الفعلية.

وقد كان هذا الخط يتبنى الاطروحة الخامسة انطلاقاً أولاً؛ الفكر العقائدي لولاية الفقيه، وثانياً؛ من النقطة التي انتهى إليها الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) في عمله، وثالثاً؛ الايمان بضرورة تعبئة الطاقات الشعبية العامة للأمة ـ وهي أكبر من كل هذه التنظيمات ـ في المواجهة وذلك يحتاج إلى اطار أوسع من هذه المنظمات والكتل السياسية.

وقد حاولت قيادة حزب الدعوة والمنظمات الأخرى عملياً أن تحول جماعة العلماء إلى جبهة وكذلك مكتب الثورة الاسلامية وبعد ذلك المجلس الأعلى للثورة الاسلامية. وقد ظهر هذا التوجه واضحاً عند مناقشة النظام الداخلي للمجلس الأعلى بعد الاتفاق على تشكيلة على أساس الواقع السياسي القائم دون الالتزام بالتقيد بقرار الجهات التي ينتمي إليها هذا الواقع، حيث عارض ممثلو حزب الدعوة فكرة قيادة المجلس الأعلى للساحة الاسلامية ونفوذ القرار على أساس الأكثرية العددية. وكانوا

١ـ اطروحة ملأ الفراغ عن طريق ترشيح شخصية اسلامية تقوم بدور القيادة المرجعية الأصيلة بمعناه العام الشرعي والسياسي في خصوص الساحة الاسلامية العراقية بحيث تأخذ موقع سيدنا الشهيد بكل مواصفاته وأبعاده.

٢ـ اطروحة ربط الساحة الاسلامية في العراق بالقيادة الاسلامية في ايران بشكل مباشر وأقامة مؤسسات اسلامية جهادية عراقية الى جانب المؤسسات الاسلامية الايرانية وكظل لها في الساحة العراقية، كما قد يفهم ذلك من فكرة تأسيس الجيش الاسلامي لتحرير العراق الذي كان يتراوح بين هذا التصور والتصور الرابع للاطروحة.

٣ـ إطروحة الحزب القيادي الواحد واستيعاب الساحة من خلال الواجهات المختلفة المهنية والجهادية والمعنوية وكذلك الشخصيات العلمية ومن هذه الواجهات (جماعة العلماء) أو (الرموز العراقية العلمائية).

٤ـ اطروحة الجبهة الاسلامية بين القوى الاسلامية المتعددة عن طريق توحيد الأهداف والمنطلقات، وتكون القيادة جبهوية، وتكون الأطراف فيها ممثلة واقعياً وقانونياً وفي اتخاذ القرار.

٥ـ اطروحة القيادة النائبة التي كانت تمثل توجهات السيد الشهيد ومتبنيات مجموعة من طلابه القريبين منه.

يرون انّ دوره التنسيق والاشراف، ولكن فكرة القيادة حازت على الأكثرية فأقرّت مبدئياً في النظام الداخلي، ولكن لم يقبل بها قادة الحزب عملياً.

وبالرغم من انّ كل هذه الاطروحات أو بعضها كان يمكن أن تحظى بالشرعية من خلال امضاء الولي الفقيه لها ومن خلال حصولها على التأييد الشعبي الواسع إلاّ انّ الاطروحة الأخيرة كانت أكثر اتفاقاً وانسجاماً مع الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالقضية الاسلامية العراقية ومع الخلفيات الفكرية والعقائدية لها.

مسيرة الاطروحة في الساحة الاسلامية العراقية:

لقد واجهت إطروحة القيادة النائبة في الساحة الاسلامية العراقية مجموعة من المشاكل والعقبات كما انّها مرَّت بمعاناة طويلة واتخذت أشكالاً متعددة حتى انتهت إلى اطروحة المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق والمرجعية السياسية الدينية، وهذا هو المسير الطبيعي لكل فكرة مشروع جديد.

وهنا مجموعة من الأسباب والقضايا وراء هذه المسيرة الطويلة والمعاناة المؤلمة، للحديث عنها مجال آخر ولكن كان من أهمها هو:

١ـ عدم النضج السياسي.

٢ـ عدم الوضوح في بعض معالم الخط الفكرية.

٣ـ الاختلاف في وجهات النظر في التعامل مع الأحداث وتفسيرها.

٤ـ مشاكل الثورة الاسلامية في ايران.

٥ـ المفاجأة الاليمة بفقد سيدنا الشهيد وخلو الساحة من وجوده الشريف.

فمنذ البداية بادر مجموعة من العلماء والشخصيات الاسلامية إلى الاعلان عن **مجلس العلماء للثورة الاسلامية في العراق** عقيب الاعلان عن استشهاد سيدنا الصدر، وكنت حينذاك في العراق ولكن لم تمر أيام على هذا الإعلان حتى انتهى هذا المجلس، وقيل انّ السبب في ذلك هو انّ المجلس واجه مشاكل شرعية وواقعية، إذ كان يتكون أكثر أعضائه

من علماء غير عراقيين وإن كانوا من حوزة النجف الأشرف وممن عمل في العراق، الأمر الـذي أدى إلى أن يسـجل الامـام الخميـني عليـه هـذه الملاحظة مضافاً إلى أمور أخرى لا مجال لذكرها.

١ـ الجيش الاسلامي لتحرير العراق:

وبعد ذلك تم الاعلان عن الجيش الاسلامي لتحرير العراق كأطروحة تتبنى تعبئة العراقيين المهجرين والمهاجرين والذي واجه مشكلتين رئيستين:

احداهما: الكيان والغطاء السياسي الذي يتولى شؤون القيادة السياسية لهذا الجيش.

والثانية: موقف الأطراف الاسلامية في الساحة وعلاقتها به.

وعند مجيئي إلى ايران ـ بعد الاعلان عنه ـ وجدت البحث والعمل يصب في محاولة حل هاتين المشكلتين وتذليلهما.

وقد تم تقديم اقتراحين بهذا الصدد من قبل بعض العلماء والأطراف الاسلامية فيه لمعالجة كلتا المشكلتين في الساحة السياسية الاسلامية، سواء على مستوى القيادة الاسلامية أو الشخصيات الاسلامية في الساحة العراقية أو التنظيمات والمؤسسات فضلاً عن الجماهير الواسعة للعراقيين.

الأولى: تشكيل جماعة من العلماء المجاهدين ويكون لها دور قيادي سياسي ويكون هذا الجيش مرتبطاً بها من الناحية السياسية.

الثانية: أن تكون قيادة هذا الجيش مؤلّفة من الأطراف الرئيسية في الساحة الاسلامية العراقية والتي شخصت في أربعة أطراف هم، حزب الدعوة الاسلامية، منظمة العمل الاسلامي، المستقلون أو خط جماعة العلماء ، الاكراد المسلمون، وحضور مندوب من الجمهورية الاسلامية

يمثل حرس الثورة الاسلامية، ويحكم هذا التآلف كل أجهزة هذا الجيش ووحداته الرئيسة: العمليات، التموين، الاستخبارات، الاعلام، العلاقات، وتتكون لجان شورى لادارة هذه الوحدات مع شورى لقيادة الجيش نفسه، تمثل هذه الأطراف.

ولكن الاقتراح الأول(١١) واجه مشكلتين أيضاً: احداهما: كيفية اختيار عناصر جماعة العلماء وعددهم وبعض الشؤون المرتبطة بالنظام الداخلي، والأخرى: هي أن بعض الاطراف كانت تتجه الى أن يكون هذا الجيش مستقلاً تحكمه حالة الجبهة أو التحالف ومرتبطاً بحرس الثورة الاسلامية بشكل مباشر.

كما انّ الاقتراح الثاني واجه مشكلة عملية تنفيذية هي انّ الاختلاف في وجهات النظر والمواقف بين الأطراف أخذت تعرقل عمل هذه اللجان وتعيقها عن الحركة والتقدم، الأمر الذي أدى إلى أن يتجزأ هذا الجيش إلى عدة مجموعات بعدد الأطراف المشتركة في هذا الجيش.

وبالرغم من انّ مشكلة ارتباط الجيش بالقيادة السياسية التي هي جماعة العلماء قد ذلّلت عن طريق المناقشات والوصول إلى قناعة بتشكيل جماعة العلماء إلاّ انّ المشاكل الأخرى بقيت على حالها، بالرغم من الجهود الكثيرة والمخلصة التي بذلت في هذا السبيل، وبالرغم

(١١) كان هذا الاقتراح يتبناه سماحة السيد الهاشمي والمجموعة المرتبطة به وقد أيدت هذا الاقتراح، كما كان حزب الدعوة يؤيّد هذا الاقتراح أيضاً، بأمل أن يكون له الموقع الأقوى في هذه الجماعة.

من المناقشات والمباحثات الطويلة للوصول الى صيغة افضل وتذليل المصاعب المختلفة(١٢).

٢ـ جماعة العلماء المجاهدين في العراق:

ولم تكن الجهود والمناقشات السابقة غير ذات جدوى بل أدت الى وجود نضوج في الافكار من ناحية ومعرفة الظروف الحقيقية التي تعيشها الساحة السياسية العراقية من ناحية أخرى، الأمر الذي أدّى إلى الاعتقاد بضرورة تشكيل كيان واحد سياسي وعسكري وبقيادة العلماء الأعلام وترتبط به كل الكيانات السياسية الأخرى في الساحة ارتباط الاشراف أو التنسيق ، وهذا الكيان هو جماعة العلماء المجاهدين في العراق وبعض المعالم العامة لهذه الاطروحة هي:

١ـ تبنى خط الامام في الساحة السياسية الاسلامية العراقية.

٢ـ أن يكون هذا الكيان مستقلاً في قراره عن التنظيمات الاسلامية الموجودة في الساحة.

٣ـ أن يكون اختيار العناصر فيه على أساس الكفاءة، والوجود في الساحة، والسابقة الجهادية، والمستوى العلمي، وما أشبه ذلك من ميزات موضوعية، بقطع النظر عن الانتماءات والتمثيل الرسمي الحركي، بل يكون التمثيل واقعياً.

---

(١٢) للحديث عن موقفي ومواقف بقية الأطراف وخصوصيات وجهات النظر في هذه القضايا مجال آخر وقد نوفق لبيانه في فرصة أخرى ان شاء الله.

٤ـ أن يكون النظام الداخلي لهذا الكيان يقوم على أساس انه مركب من شورى مركزية وأمانة ترتبط بها وحدتين رئيسيتين: أحداهما (سياسية) تستقطب العناصر الاسلامية السياسية المخلصة من غير العلماء والأخرى (عسكرية) تتولى شؤون العمل العسكري في الداخل والخارج، وتنبثق منها مكاتب للاعلام والعلاقات والمالية وغيرها حسب الحاجة.

٥ـ أن يحظى هذا الكيان بدعم الجمهورية الاسلامية بحيث يكون القناة الوحيدة التي يتم التعامل من خلالها مع الساحة الاسلامية العراقية.

وقد تم بالفعل تشكيل هذه الجماعة بعد مناقشات طويلة، كما تم وضع النظام الداخلي لها واختيرت الأمانة واللجان والوحدات العاملة وبدأ يتحرك هذا الكيان السياسي لتحقيق أغراضه واهدافه.

وقد تميزت جماعة العلماء هذه عن بقية الاطروحات باهتمام خاص من قبل امام الأمة السيد الخميني (رض) حيث استقبلها في أول تأسيسها وتحدث إلى هؤلاء العلماء بحديث أخلاقي وسياسي مهم، ذكر فيه الدور الأساس الذي يجب أن يقوم به العلماء في المجتمع الاسلامي والموقف المعادي للاستكبار العالمي تجاه هذه الجماعة من الأمة لدورها المتميّز، وأكّد موضوع الاخلاص لله تعالى في العمل والصبر ووحدة الكلمة بين الجماعة.

كما ذكرت للامام في هذا اللقاء رعاية آية الله السيد الخامنئي لتشكيل هذا المشروع السياسي وجهوده فيه وطلبت منه تعيين ممثل له

في الجماعة، فعيّن سماحة السيد الخامنئي (حفظه الله) في هذه الجماعة كممثل له، ومنذ ذلك الحين وإلى وفاة الامام (قده)، كان سماحة السيد الخامنئي هو ممثل الامام في القضية العراقية وفي كل الأدوار، ولازال يرعاها منذ ذلك الوقت.

ولكن بعد فترة قصيرة ظهرت بعض المشاكل امام هذه الاطروحة خصوصاً وان الثورة الاسلامية في ايران كانت تعيش في تلك الفترة ظروفاً حرجة بسبب الحرب العدوانية للنظام العراقي على ايران وحركة المنافقين في الداخل، ومحاولات بني صدر للإستئثار بالسلطة، والتفجيرات والاغتيالات، الأمر الذي جعل الاجواء مهيئة لأن تكون المواقف الخاصة بهذا الطرف أو ذاك مؤثرة في مسيرة الاطروحة، وكذلك المزاج الشخصي لبعض الأشخاص الذي أوكلت لهم مسؤولية المؤسسات الثورية الايرانية فوصلت الجماعة إلى حالة الركود(١٣).

---

(١٣) كانت هناك ثلاثة مواقف تضغط على هذا الكيان السياسي الجديد لتحجيمه وعرقلة أعماله:

الأول: موقف (وحدة حركات التحرر الاسلامية) في الحرس الثوري (السباه) الذي كان يتبناه السيد مهدي الهاشمي والشيخ محمد المنتظري، حيث كان قد قدما طرحا لأعضاء الجماعة غير متوازن ويقوم على تصورات غير واقعية وضغطا بقوة من أجل تنفيذه، حيث تم تعيين ستة أشخاص في الجماعة. سماحة الشيخ الآصفي عن حزب الدعوة. وسماحة السيد المدرسي وسماحة السيد كمال الحيدري ـ الذي كان مرتبطاً حينذاك بمنظمة العمل الاسلامي ـ عن منظمة العمل الاسلامي. وسماحة السيد محمود الهاشمي وسماحة السيد حسين الصدر وكاتب المقال. وقد رفض الشيخ الآصفي ذلك بشدة بسبب عدم الموازنة في التعيين حيث كان عضو واحد من حزب الدعوة وعضوين من منظمة العمل، وكان رفضه يتسم بالوجاهة وأيدته في ذلك، كما أيده السيد حسين الصدر.

وبعد مناقشة طويلة استمرّت إلى قريب الفجر في ليل الشتاء لم يتزحزح الشخصان عن موقفهما المذكور.

ثم تدخل سماحة السيد الخامنئي المشرف على (وحدة حركات التحرر الاسلامية) وعقد عدة اجتماعات في منزلي وحاول السيد مهدي الهاشمي التشويش على هذه المحاولة، حيث طلب الخلوة بالسيد الخامنئي للحديث معه. وتبين انّ بعض الأخوة الأعزاء كانوا يقومون بالضغط لتقليص وجود حزب الدعوة في الجماعة وأخبروه بأنّ السيد الحكيم هو عضو في حزب الدعوة، ولكنه يتظاهر بالاستقلال، لزيادة أعضاء حزب الدعوة في الجماعة وكانوا يستغلون تأييد حزب الدعوة لي في ذلك الوقت وعلاقاتي السابقة معه، وقد كشف السيد الخامنئي عن هذا الموضوع أثناء المناقشة أوضحت عدم صحة ذلك . وفي نهاية المطاف تم تشكيل الجماعة. ولكن بقي هذا التشكيل غير مقبول منهما مع اشتراكهما في مباحثات التشكيل لأن النتائج لم تكن منسجمة مع رغبتهما وتوجهاتهم الخاصة في العمل واطروحتهما السياسية وتبني موقفهما سماحة السيد المدرسي الذي رفض الاشتراك في الجماعة بالرغم من ترشيحه وأيدته منظمة العمل وجماعة السيد الشيرازي.

الثاني: موقف حزب الدعوة الاسلامية الذي وافق ممثليه على الاشتراك وأيدوا الاطروحة في البداية إلاّ انهم عدلوا عن ذلك بسبب انهم كانوا يطمحون أن يكون لهم نسبة الثلث في الشورى المركزية للجماعة كأعضاء رسميين والأكثرية كمؤيدين، فأخذوا يضغطون بزيادة نسبة عددهم بإلحاح وإصرار. وقد تمت الموافقة المبدئية على الزيادة رعاية لإلحاحهم وموقفهم، إلا انهم أرادوا ترشيح أشخاص ليسوا بمستوى أعضاء الجماعة الآخرين الأمر الذي أدى إلى توقف المباحثات ومن ثم بدأوا يبذلون مساعي لتغيير التركيبة تحت شعار الانتخاب الذي لم يكن من الممكن تشخيص الأفراد الذين سوف يشتركون فيه، مع انّ التشكيلة أصبحت تشكيلة شرعية باستقبال الامام لها، والاعلان عنها وتعيين الممثل فيها.

الثالث: موقف بعض الأخوة العلماء الذين كانوا يطمحون أن يكون لهم دور خاص ومتميز في الجماعة واستغلوا تأييد السيد مهدي الهاشمي لهم وانسحبوا عملياً من الجماعة وأخذوا يشوشون عليها. وقد قام سماحة السيد الخامنئي بالضغط الأدبي لتبديل موقف هؤلاء الأخوة فاستجابوا ظاهرياً. وعندما تطور موقف حزب الدعوة من ناحية وأصيب سماحة السيد الخامنئي بحادث الانفجار الذي استهدف حياته، وانشغل سماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني بالأوضاع السياسية الحادة والحساسة التي حدثت بعد انفجار الحزب الجمهوري وبعده انفجار مقر رئاسة الوزراء من ناحية أخرى. استغل السيد مهدي الهاشمي المسؤول عن وحدة حركات التحرر هذه الأوضاع لمحاربة جماعة العلماء وتحجيمها.

وهناك تفاصيل مؤلمة لا مجال لذكرها والحديث فيها الآن، منها المؤامرة التي سميتها بالسقيفة والتي استغلت فيها قيادة الدعوة سذاجة بعض العلماء وانتهازية بعض

٣ـ مكتب الثورة الاسلامية في العراق:

وبعد أن استقرت الأوضاع السياسية في الساحة الاسلامية الايرانية نسبياً وتم انتخاب آية الله السيد الخامنئي رئيساً للجمهورية وهو أحدى الشخصيات البارزة التي أولت القضية الاسلامية في العراق قدراً كبيراً من الاهتمام والعناية ...ومن أجل المزيد من الدعم للقضية الاسلامية في العراق، وتحقيق المزيد من التنسيق والتعاون فيها، والتأكيد على عنصر الاستقلال في التصدي للقضية بعيداً عن تدخل وحدة حركات التحرر، بالاضافة إلى حل ومواجهة بعض المشكلات القانونية

العناصر الأخرى والأوضاع النفسية ذات الطابع الشخصي للبعض الآخر، حيث تم اجراء مايسمى بالانتخابات الصورية التي أقيمت من أجل مصادرة الحزب للجماعة وتحويلها إلى واجهة له، فانسحب منها بعضهم بعد ذلك وحاربها بعضهم الآخر حتى تلخصت في شخص واحد.

ولكن في الوقت نفسه استمرت الجماعة الشرعية في عملها ونشاطها المتميز في العمل السياسي والثقافي حتى كانت هناك زيارة للأهواز لتفقد وضع المجاهدين وحصل اجتماع على غير موعد ولا مخطط له في منزل سماحة آية الله السيد الجزائري امام جمعة الأهواز وبحضور أئمة جمعة مدن محافظة خوزستان، وكان قد حضر هذا الاجتماع جل العلماء العراقيين المشاركين في الجماعة الأولى أو المشاركين في الجماعة الثانية. وعند الحديث عن الأوضاع السائدة في العراق تصدى بعض أئمة الجمعة والذين استشهدوا بعد ذلك لالقاء اللوم الشديد على علماء العراق وخص بالذكر أولئك الذين اختلفوا مع الجماعة التي حظيت بموافقة الإمام واتهمهم بالحسد والمصالح الشخصية والفئوية، لأنه كان ـ على مايبدو ـ مطلعاً على بعض الخلفيات. وكان الحديث قاسياً ومؤلماً للجميع.

وبعد هذا الاجتماع عقدنا فوراً اجتماعاً آخر في منزل أحد الأخوة في الأهواز وتدارسنا الأوضاع وتم الاتفاق على تشكيل الجماعة بصيغة موحدة يتولى فيها أمور الجماعة شورى مركزية وهيئة مشرفة من كبار العلماء. وقد كان لهذا الاجتماع أثر في حل عقدة التعارض، ولكنه لم يحل المشكلة العملية حيث اكتفى الآخرون بذلك وانصرفوا إلى أعمالهم الخاصة العلمية والاجتماعية دون أن يكون لهم استعداد للتفرغ والتصدي الكامل للعمل الذي تفرضه طبيعة هذه المواقع.

في تشريعات الجمهورية الاسلامية، تبلورت فكرة أن يكون هناك مكتب خاص يتولى شؤون الثورة الاسلامية في العراق ويكون تحت اشراف العراقيين أنفسهم ويحقق الأغراض السابقة، ويكون الاعتراف به من قبل رئاسة الوزراء أعلى جهة تتولى الأعمال التنفيذية في الجمهورية الاسلامية.

وقد تولى شؤون هذا المكتب مجموعة من العناصر الجيدة في الساحة الاسلامية العراقية وتحت أشرافي شخصياً وتم وضع نظام داخلي له مضافاً إلى وضع مجموعة من المقاييس تحكم التعامل فيه وكانت صيغة أطروحة المكتب تشتمل على قسمين رئيسين مضافاً إلى الاشراف:

١ـ الوحدات التنفيذية وهي الاعلام والعسكرية والعلاقات والادارة والمعلومات ويتم تعيين المسؤولين عنها من قبل المشرف.

٢ـ تعيين الشورى الاستشارية وهي: تتكون من مجموع القوى العاملة في الساحة الاسلامية العراقية مضافاً إلى الشخصيات المستقلة من أجل التخطيط لعمل المكتب وسياساته.

وقد تم تكوين الوحدات التنفيذية في فترة تقل عن ثلاثة أشهر وأخذت تباشر أعمالها بشكل طبيعي ومتكامل.

واما بالنسبة الى القسم الثاني فقد كانت هناك صيغتان، إحداهما صيغة جماعة العلماء نفسها بحيث تكون هي الشورى الاستشارية التي يرتبط بها المكتب، وقد بذلت عدة محاولات وجهود عديدة لتشكيل هذه الجماعة ولكن لم تنته إلى نتيجة واضحة مقبولة من جميع الاطراف

إلى أن حصل اجتماع الأهواز بين عدد من العلماء وتمخض هذا الاجتماع عن صيغة محددة للجماعة تتولى شؤون الساحة السياسية الاسلامية ويكون المكتب مرتبطاً بها، ولعل أهم مايميز هذه الصيغة الجديدة هي وجود شورى من كبار العلماء المجتهدين لها صلاحيات خاصة ومتميزة تنسجم مع اطروحة القيادة النائبة التي اقترحها سيدنا الشهيد (قده) إذا استثنينا عنصر الاشخاص فيها.

والصيغة الثانية هي أن تتكون الشورى الاستشارية من شخصيات اسلامية مع قطع النظر عن خصوصية أن يكون عالماً دينياً.

وبعد مناقشات طويلة ومباحثات تم الاتفاق على أن تدمج فكرة مكتب الثورة الاسلامية في العراق مع فكرة جماعة العلماء على أساس الصيغة الثانية ليتكون بذلك كيان سياسي واحد يتولى الشؤون السياسية والعسكرية كلّها وأقترح أن يكون إسمه (**المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق**).

٤ـ المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق:

ولا نحتاج أن نتحدث كثيراً في هذا المجال عن الاطروحة السياسية للمجلس وتفاصيلها بعد أن أعلن الكثير من تفاصيلها وخصائصها في بيان أعلان التأسيس، والتصريحات في المناسبات المختلفة، وصدور بعض الكراسات عنها، وإنّما نكتفي بالاشارة إلى بعض النقاط الرئيسة التي تتصف بها هذه الاطروحة وتجعلها أفضل الاطروحات التي عرفتها

الساحة الاسلامية العراقية حتى الآن في مجال تشكيل القيادة النائبة مع الأخذ بنظر الاعتبار المستجدات التي شهدتها الساحة الاسلامية العراقية بحيث أصبحت الثورة الاسلامية في العراق هي المحور الرئيس لتحرك المعارضة العراقية مضافاً إلى انّها محط آمال المستضعفين والمحرومين في العراق لانقاذهم من المأساة التي يعيشونها في ظل النظام العفلقي، وهذه النقاط هي كالآتي:

١ـ الخط السياسي الذي يتبناه المجلس وهو بتلخيص (الاسلام الأصيل)، سواء على مستوى تصورات الحكم في المستقبل أو الخطوط الاستراتيجية للتعامل مع الطغيان والاستضعاف أو الظلم والعدالة وكذلك في العلاقة المستقلة عن الشرق والغرب والاعتماد على الله والأمة الاسلامية والشعب العراقي... إلخ.

٢ـ الانفتاح على جميع قطاعات الشعب العراقي المسلم ، العلماء والمثقفين الرساليين وأبناء العشائر العراقية والعسكريين والمجاهدين، والكسبة وغيرهم والعرب والاكراد والتركمان والسنة والشيعة ليس على مستوى التفاعل فحسب بل على مستوى الأعضاء بحيث تصبح الاطروحة قادرة على تمثيل حركة الثورة الاسلامية للشعب العراقي المسلم.

٣ـ توحيد القوى السياسية الاسلامية جماهيراً، وشخصيات علمائية مستقلة، وتنظيمات سياسية، ومؤسسات. وهذا التوحيد ليس على مستوى الجهد السياسي والاسلامي والعسكري فحسب، بل أخذ

طريقه إلى الشعارات والمؤسسات والأعمال السياسية العامة حيث أصبح العمل العسكري الكلاسيكي موحداً كذلك الاعمال السياسية كالتظاهرات وغيرها موحدة وتحت شعار المجلس مضافاً إلى الكثير من المؤسسات، بل أخذ المجلس يستقطب الكثير من الطاقات التي كانت في السابق تتردد في ممارسة العمل السياسي أو تقف دون قرار بسبب الاختلاف في الاطروحة الأمثل للقيادة السياسية.

٤ـ قيادة سياسية جهادية إدارية تتبنى الأعمال الجهادية والسياسية والاعلامية المختلفة ولكنه في الوقت نفسه مؤسسة ذات كيان مستقل لها امتداداتها الطبيعية في المجتمع وتتولى تقديم الخدمات له.

فهو ليس مجرد قيادة بل مضافاً إلى ذلك مؤسسة لها أجهزتها المستقلة، كما أنه ليس مجرد جبهة لجمع القوى السياسية الموجودة بخصائصها التنظيمية وان كان يهتم بوحدتها وتعاونها معه.

٥ـ الأعضاء في المجلس وان كان بعضهم قد ينتمي الى تنظيم سياسي، ولكن وجوده في المجلس الأعلى ليس على أساس التمثيل الرسمي لذلك التنظيم وانما على اساس الكفاءة والمقاييس الموضوعية الثابتة في العضو وكافراز طبيعي للساحة الاسلامية وتتخذ القرارات فيه بالأكثرية العددية المطلقة أو النسبية.

٦ـ اعتراف التنظيمات والشخصيات الاسلامية بقيادته للساحة الاسلامية العراقية وإيمانها باطروحته كما عبرت عن ذلك في بياناتها وتصريحاتها وأدبياتها، مضافاً إلى التجاوب الواسع للجماهير العراقية

مع هذه الاطروحة ومواقفها في خارج العراق، بل وفي الداخل، بحيث أصبحت تمثل الأمل بالنسبة لها وبذلك حصل المجلس على الشرعية الاجتماعية أو الشعبية.

٧ـ الشرعية القانونية من خلال وجود عدد كبير من علماء العراق المجاهدين فيه بحيث يشكل هذا العدد أكثرية في المجلس وبضمنهم بعض المجتهدين وقد اقترن ذلك بمباركة امام الأمة والجمهورية الاسلامية.

ولعلّ السبب في تأخر استقبال إمام الأمة للمجلس الأعلى نسبياً بعد الاعلان عنه بفترة زمنية إنّما كان لأن امضاءه يأتي ـ عادة ـ بعد حصول الاطروحة على الصفة القانونية الاجتماعية الشعبية .

وبهذا أصبح المجلس الأعلى الاطروحة السياسية الصالحة لالتفاف جماهير الأمة حولها من ناحية، وللقيام بمسؤولية القيادة النائبة من ناحية أخرى.

وهذه الاطروحة وإن كانت تختلف في بعض الخصائص عن صيغة اقتراح سيدنا الشهيد في القيادة النائبة الا أنها تتفق معها في توجهاتها العامة كاطروحة للقيادة النائبة، كما أنها أخذت موقعها الطبيعي في الساحة الاسلامية العراقية بما اشتملت عليه من ميزات وما أثبتته من خلال التجربة الواقعية في صمودها أمام مختلف المناورات السياسية التي واجهتها، وهي تنمو وتتطور باستمرار نحو الأفضل[(١٤)] .

---

(١٤) وقد واجه المجلس بعد ذلك بعض المصاعب بسبب موقف حزب الدعوة منه الذي جمّد نشاط أعضائه في المجالات التخطيطية والتنفيذية للمجلس، وموقف منظمة العمل

وقد يأتي ذلك اليوم القريب الذي تصبح فيه هذه الاطروحة متطابقة تماماً مع كل خصائص اقتراح سيدنا الشهيد عندما تتحول إلى مرجعية سياسية موضوعية، حيث وجدنا اطروحة القيادة النائبة تأخذ مسارها بهذا الاتجاه دائماً في الماضي بالرغم من الصعوبات التي حفت بهذا المسار ومن الطبيعي أن تاخذ الاطروحة الصالحة طريقها نحو السمو والتكامل عبر الصعاب والمشاكل والآلام.

وسوف يبقى سيدنا الشهيد الصدر رائداً وهادياً للمسيرة الاسلامية في العراق ويغذيها بفكره وتوجهاته ومواقفه كما غذاها بدمة الزكي الطاهر... فسلام عليه يوم ولد ويوم أستشهد ويوم يبعث حياً والسلام على جميع الشهداء الابرار والمعذبين الاخيار والسلام على من سار على هديهم ووفقنا الله تعالى لنيل رضاه ورزقنا عاقبتهم وأجرهم.

* * * * *

الذي تعرضت للانشقاق وانسحب جانب منها من نشاط المجلس، وموقف بعض القوى الأخرى. ولكنه لازال بالرغم من ذلك يمثل الاطروحة الوحيدة التي تعبر عن وحدة نسبية وتعددية في العمل المشترك وادارة للعمل السياسي الاعلامي وغطاء للعمل العسكري العراقي الواسع.

صور الشهيد الصدر (قدس سره)



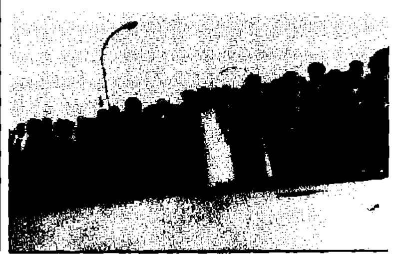
الشهيد الإمام الصدر (رض) وشهيد المحراب
السيد محمد باقر الحكيم (قدس سرد)



السيد موسى الصدر (رض) والشهيد
الإمام الصدر (قدس)

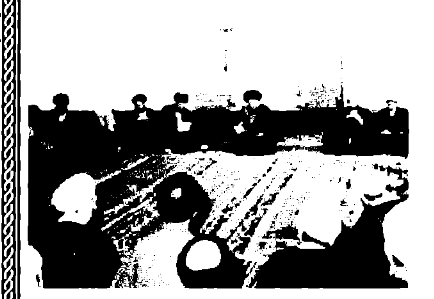


مجلس في الخمسينيات يضم الشهيد الصدر مع مجموعة من العلماء
يبدو من اليمين السيد الخوئي والسيد عبدالله الشيرازي



الشهيد الصدر في تشييع المرجع الديني الراحل السيد محسن الحكيم (١٩٧٠)



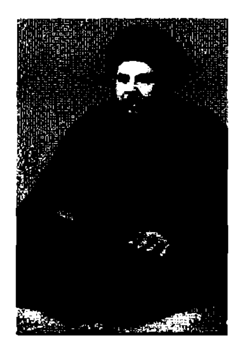
















فهرس

فهرس

فهرس

فهرس